



الأثر والدلالات الإعلانية
لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الملوك والفتاة

أحمد محمد العقيلي



الأثر والدلالات الإعلامية

لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم

إلى الملوك والقادة

أحمد محمد العقيلي

الطبعة الثانية

ح) أحمد بن محمد العقيلي، ١٤١٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العقيلي، أحمد بن محمد

الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة.
الرياض.

٢٨٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٩٩٦٠-٣١-٧٣٧-٤

١- الدعوة الإسلامية ٢- السيرة النبوية أ - العنوان

١٧/٢٠٦٦

ديوي ٢٣٩،٤

رقم الإيداع : ١٧/٢٠٦٦

ردمك : ٩٩٦٠-٣١-٧٣٧-٤



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
الرياض

مطابع الشرق الأوسط - الرياض
ت ٤٠٢٧٦٣٣

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المربي والمعلم للكتاب والحكمة، الذي حقق برسالته الخالدة النقلة الكبرى للأمة الأمية من موقع العزلة والتخلف والجهل إلى مقام السيادة، ومن الشتات والضلال إلى الوحدة والوحدانية الخالصة لله. قال تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ (الجمعة : ٢).

إن صاحب الدعوة النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتح لدعوته ما يتاح من وسائل الدعوة هذه الأيام بل كانت حسبما يوحى إليه ربه فهي الرسالة الخالدة لخير أمة أخرجت للناس لأنها رسالة الدنيا والآخرة للأمة الوارثة لجميع موارث النبوات والرسالات، والمؤتمنة على دين الخالق الواحد في مرحلة اكتماله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (سورة البقرة : ١٤٣).
أما بعد :

فإنه نظراً لنفاد نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب «الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة» ولكثرة الطلب من الأصدقاء وغيرهم بإعادة طبعه وتنقيحه، ولأن عدداً من الجهات الرسمية أوصت بضم نسخ من هذا الكتاب إلى المكتبات المدرسية في بعض مراحل التعليم كما هو الحال في مدارس وزارة المعارف السعودية، ووزارة التربية والتعليم الأردنية بالإضافة إلى المكتبات العامة في عدد من المصالح والوزارات فقد استعنت بالله وصححت ما وقع في الطبعة الأولى من أخطاء وحققت ما رأيت حاجة لتحقيقه.

وبذلك أرجو أن تكون هذه الطبعة أفضل من سابقتها ومحقة للهدف المنشود، وأرجو أيضاً ممن يطلع عليها تزويدي بملحوظاته كتابية لتلافي ما يمكن تلافيه في الطبعات القادمة إن شاء الله، والكمال لمن تفرد به.

ويسرني أن أضيف إلى هذه الطبعة بعض الملحوظات التي وردت إليّ من أساتذة كرام لهم باع طويل في مجال البحث لتعم الفائدة، ولإشعار الآخرين بأهمية التعليقات ومردودها الجيد على من يطلع على الكتاب والملاحظات عليه.

والله ولي التوفيق

المؤلف الرياض في ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

آراء بعض المختصين في الكتاب وما جاء فيه

من معجزات الإسلام الكبرى التي حيرت الباحثين والعلماء سرعة انتشار هذا الدين العظيم في معظم أنحاء الكرة الأرضية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن جنوب فرنسا شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً، وذلك كله قد تم في نصف قرن من الزمان وهي سرعة غير مسبوقة بكل المقاييس في أي عصر من عصور الحضارات الإنسانية. والمعجز أيضاً أن هذا الدين الفاتح كان يشق طريقه بين الكثير من العقبات وأمام العديد من التحديات، فمن كان يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لم يفرغ من بعد صلح الحديبية حتى نجد أنه يرسل رسائل عديدة إلى الملوك وأمراء وحكام العالم في عصره.

وقد اختار الأستاذ أحمد محمد العقيلي - وهو من شباب الباحثين في الإعلام الإسلامي - موضوع هذه الرسائل لإجراء بحوثه العلمية الجادة حول تلك الرسائل. ولما كان الأستاذ العقيلي من النابهين في دراسات الإعلام الإسلامي فقد جمع بين التاريخ الإسلامي والإعلام وتحقيق الوثائق والمخطوطات في نفس الوقت. ولعل أهم ما يلفت النظر في كتابه بعنوان: الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة، أنه استخرج لنا بعض القوانين الإعلامية التي تبين بحق عبقرية المسلمين وريادتهم في مجال الإعلام. مثال ذلك أن الأستاذ المؤلف قد بين لنا أن رسائل النبي عليه الصلاة والسلام تنقسم إلى قسمين كبيرين، القسم الأول موجه إلى الحكام العرب. والقسم الثاني موجه إلى القادة من غير العرب. وقد لاحظ أن الرسائل الموجهة إلى غير العرب قد لاقت بعض التعثر والإعراض بسبب اللغة والجنس والعادات والتقاليد والأعراف، فضلاً عن التمسك بالمصالح المادية، مما تعذر معه أن تبلغ نفس الغايات التي بلغتها الرسائل الموجهة إلى العرب.

كما يلفت النظر أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يكرم كل زعيم بما يناسبه من التعظيم، كما أنه كان يدرك أن القوم أطوع لكبيرهم فكان يقي هؤلاء الكبار في مناصبهم لتأليفهم إلى الإسلام، أما ما يروجه المفترون والمرجفون باتهام الإسلام بأنه نشر بحد السيف إنما هي أكاذيب تضلل الناس وتزيف التاريخ، لأن الدعوة الإسلامية تأبى الإكراه

وتتأفى لأن سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة.

فالإسلام دين اقتناع لا دين اتباع وهذا المبدأ هو سرّ من أسرار عظمة الإسلام الذي يتصف بالعدل والمساواة، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجمع بين الإعلام التدويني الذي يتمثل في رسائله إلى الملوك والقادة وبين الإعلام الشفهي الذي كان يقوم به الرسول المبعوث إلى القادة، كما فعل دحية الكلبي مع المقوقس وما فعله جعفر بن أبي طالب مع النجاشي.

وقد بين المؤلف بجلاء كيف تمكن الإسلام من قهر عبادة الأصنام بأشكالها المختلفة كما كشف عن انحراف اليهودية والنصرانية حيث دعا إلى التوحيد الخالص لله ربّ العالمين والمساواة بين الجنس البشري وتحقيق حقوق الإنسان مهما كان لونه أو جنسه أو طبقته. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث إلى كل قائد وفقاً لثقافته وقدرته على الاستيعاب، مثال ذلك أنه كان يتحدث إلى أهل الكتاب بطريقة تختلف تماماً عن طرق وأساليب الأديان الأخرى.

والحق أن الأستاذ العقيلي يعتبر رائداً من رواد علوم الإعلام الحديثة كما أنه استطاع بوسع اطلاعه وعميق علمه أن يخرج كتابه هذا إخراجاً طيباً وناجحاً، فنقدم له كل ثناء وتقدير آمليْن أن يمضي في السير على الدرب وأن يتحفنا بالمزيد من أبحاثه الجادة الشيقة. والله من وراء القصد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ. د. إبراهيم إمام

أستاذ الإعلام الإسلامي بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

«الأثر والدلالات الإعلامية، لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة»
لقد تفضل مؤلف الكتاب الباحث المحقق الأستاذ: أحمد محمد العقيلي، فأهداني مؤلفه
راغباً إليّ في قراءته، وإبداء الرأي فيه.

ولقد شدّني الأستاذ المؤلف بادئ ذي بدء بدماثة خلقه وطلاقة وجهه، وحسن عبارته،
كما راقني الكتاب بأنافة مظهره وطرافة موضوعه، وجمال طباعته، فأقبلت عليه بجماع
فكري وقضيت معه ساعات قارئاً متبعاً هذا الحشد الهائل من المادة الإعلامية التي جمعها
بدأب شديد، وصبر بالغ من أشتات المراجع المختلفة.

والحق أن الأستاذ أحمد العقيلي، قد بذل جهداً مشكوراً يتجلى فيه حرص الباحث،
وإخلاص العالم، وأمانة المحقق، ويجد القارئ دلائل هذا الجهد واضحة جلية في ثنايا
الكتاب، ومن تلك الدلائل ما يأتي:

١- المتابعة الدقيقة لكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رسائل، وما أصدره
من توجيهات، وهي متابعة تبرز عظمة الجهد الإعلامي الرائد الذي بذل لنشر الدعوة
الإسلامية في الجزيرة العربية وما حولها، كما تبرز إحاطة النبي صلى الله عليه وسلم،
ومعرفته بكل النظم القائمة آنذاك في شتى بقاع الدنيا.

٢- التوثيق العلمي الدقيق لكل ما ورد في الرسائل وحولها من أسماء البلدان، وأعلام
الرجال، وذلك بالترجمة لها، وذكر المراجع الواردة فيها، وفي ذلك ما يشهد للباحث
بالإخلاص لبحثه، والإتقان لعمله وفق الأصول العلمية المتعارف عليها.

٣- الفهم الذكي لمضامين الرسائل النبوية، والتوجيهات السامية واستخلاص القيم
الإعلامية منها، والنتائج المستفادة منها وفي ذلك ما يستوجب الإعجاب والثناء لضخامة
الجهد المبذول في جميع الرسائل، وتبويبها، واستخلاص المراد منها.

٤- هذا الحشد الهائل من الشواهد القرآنية في التأكيد على مافي الرسائل النبوية من
دلالات إعلامية، وما لها من آثار بارزة في نشر الدعوة الإسلامية، وفتح الطريق أمامها،
باستمالة القادة الذين كانوا يملكون القرار، ويتحكمون في مصائر الأتباع والأشياء.

٥- تلك الإضافة الخصبة إلى المكتبة العربية المتمثلة في تلك الدراسة الجادة حول

الإعلام الإسلامي في ذلك الزمن البعيد، حيث سدت تلك الدراسة فراغاً ملحوظاً في هذا المجال. إذ إن البحوث الإعلامية تستقي مادتها من الإعلام الغربي، وتركز على الدروس المستفادة منه، وتتخذة مثلاً أعلى للفن الإعلامي، وتبرز براعة القائمين عليه، ونجاحهم في تحقيق أهدافهم، متخذين من الإعلام النازي إبان الحرب العالمية الثانية صورة مثالية للفن الإعلامي الذي حقق نجاحاً ملحوظاً في التمهيد للانتصارات المتلاحقة التي حققتها النازية في بداية الحرب.

لكنه كان إعلاماً زائفاً يقوم على الخداع والتلفيق والكذب وكل إعلام من هذا القبيل مآله الفشل، وعاقبته الخذلان، وهو ما تحقق للنازية بهزائمها المنكرة، واندحارها المهين. أما الإعلام الإسلامي كما أبرزه الأستاذ أحمد العقيلي فهو إعلام يقوم على الصدق والوضوح والاستقامة، إعلام متفهم لدوره، مدرك لقدراته، عارف لجوانب قضيته، دارس لنفوس أعدائه، ومن ثم حقق نتائج باهرة بما أحدث من هزة في نفوس الملوك والقادة بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، والحفاظ على هيبته ومخاطبتهم بأسلوب حكيم يراعي أقدارهم، ويصون حقوقهم.

وقد تضمنت توجيهاته للقادة وبعض الولاة قيماً ومبادئ كانت صورة مشرقة للإسلام في تسامحه وعدله، ورفقه بالضعفاء، مما كان له فعل السحر في النفوس، فأقبلت عليه الأمم زرافات ووحداناً تشد العدل والحق والأمان في رحاب هذا الدين الذي حمل لواءه رجال تربوا في مدرسة النبوة، وثقفوا أخلاق الإسلام، وتشربوا تعاليمه، فجاء سلوكهم الحميد تطبيقاً علمياً لقيم هذا الدين الحنيف.

ولا تتسع هذه العجالة لاستقصاء كل الجوانب الإيجابية في هذا البحث القيم، لأن ما بذل فيه من جهد وإخلاص وصدق خير شاهد على قيمته العلمية، وفائدته الجمة للمعنيين بالإعلام من الطلاب والباحثين والقائمين على مخاطبة الرأي العام في الداخل والخارج على السواء.

ومع تلك الجوانب الإيجابية الكثيرة، فإن لي بعض الملاحظات التي لا بد من ذكرها، وهي ملاحظات قد يوافقني الأستاذ الباحث عليها، وقد يكون له رأي مغاير فيها. واختلاف الرأي وارد، لكنه الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الخلاف لأنه في غايته يساعد على اكتمال الصورة، وتحقيق الهدف المنشود.

وهذه الملاحظات أجملها فيما يأتي:

١- جاء في هامش (١) ص ١٥ سطر (٥) من نفس الهامش عبارة: (ونسبه القلقشندي في نهاية الأرب.. الخ) والعبارة على هذا النحو تحتاج إلى زيادة توضيح، لأن للنويري كتاباً مشهوراً بنفس الاسم والأولى أن يذكر اسم الكتاب كاملاً فيقال: نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي. حتى لا يذهب الذهن إلى نهاية الأرب للنويري. قد أغفل هذا الكتاب في ثبت المراجع بينما ذكر (نهاية الأرب) للنويري: وكان الأولى أن يقال: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري.

٢- أشير إلى بعض المصادر في الهوامش، ومع ذلك لم تُذكر في ثبت المصادر آخر الكتاب مثل كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة) المذكور في هامش (١) ص ١٥ سطر (٣) وكتاب (مسند الإمام) الوارد في هامش (٢) ص ٦٣ ولو كان القصد الاكتفاء بأهم المصادر لوجب الإشارة إلى ذلك.

٣- جاء في هامش (٢) ص ٦٣ سطر (٤) منه في وصف (دحية بن خليفة الكلبي) عبارة: (ومن أوصاف دحية أنه كان يشبه جبريل عليه السلام في حسنه) ولم ينسب هذا الوصف لقائله. وكان قد سبق هذا الوصف عبارة منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم بين قوسين هي: (إذا بعثتم إليّ بريداً فاجعلوه جسيماً وسيماً حسن الاسم) وبعد هذه العبارة جاءت عبارة الوصف التي لم تنسب لأحد، وكان ينبغي توثيقها لأهمية مضمونها.

٤- بعض الرسائل ذكر تاريخ إرسالها، كرسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ص (١٠٥) والكثير منها لم يذكر تاريخها، مع ما لهذا التاريخ من أهمية في معرفة تطور الأحداث وتسلسلها.

٥- في البحث السادس ص ١٣٦ وما بعدها جاء حديث عن جريمة شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله الحارث بن عمير الأزدي مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحد أمراء الغساسنة، وما ترتب على ذلك من تسيير جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل لتأديب المعتدين، ووضع حد للعدوان على دعاة الخير والسلام ودارت معركة مؤتة التي استشهد فيها القواد الثلاثة المعروفون رضوان الله عليهم.

وفي البحث الخامس ص ١٣٢ جاء في حديث (جبله بن الأيهم) إلى (شجاع بن وهب الأسدي) إشارة إلى غزوة مؤتة: وأن (جبله) رفض دعوة كسرى لمقاتلة المسلمين في مؤتة.

أما كان الأولى تقديم المبحث السادس على المبحث الخامس حتى تأتي الأحداث أكثر ترتيباً، فتذكر أسباب الغزوة أولاً، ثم يأتي الحديث عنها، لأنه لا ينبغي الإشارة لشيء لم يسبق الحديث عنه.

٦- جاء في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم عن غزوة مؤتة ص ١٣٩ سطر ١٦ وما بعده ذكره للقادة الذين استشهدوا، فذكر زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، ولم يذكر عبدالله بن رواحة القائد الثالث الذي استشهد قبل أن يتولى خالد القيادة. مع أن الأستاذ المؤلف قد ذكر القادة الثلاثة في سطري ١٣، ١٤ من نفس الصفحة.

٧- جاء في ص ١٤١ سطري ٨، ٧ هذه العبارة (قد جعلت الناس وخاصة القبائل العربية سواء منها المنتصرة أو التي على وثيتها... الخ) والصواب (منها)، لأن الضمير يعود على القبائل.

٩- جاء في ص ١٤٧ وما بعدها إشارة إلى رسالة التوحيد التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم لامبراطور الصين، والدلالات الإعلامية فيها. وإذا كان نص الرسالة لم يعثر عليه كما ورد في هامش (١) ص ١٥١ فكيف تستتج دلالات من أثر مفقود؟ وإذا كانت شبيهة برسائله صلى الله عليه وسلم إلى كل من هرقل وكسرى كما ذكر الأستاذ المؤلف ص ١٥٠ سطر (٥) فقد كان يكفي ما ذكر هناك عمّا ذكر هنا. ولا يعد اختلاف النتائج مبرراً لذكر الدلالات الإعلامية لأثر مفقود. ومثل ذلك يقال عن الرسالة النبوية لملك الهند (سريباتك) والدلالات الإعلامية فيها ص ١٥٨-١٦٠).

١٠- في ص ١٦٢ سطر ١٤ جاء الضبط غير دقيق لكلمة (رب) في عبارة (إذ إن قتل ربُّ محمد صلى الله عليه وسلم (ربُّ باذان) وهو كسرى أدى إلى نتائج عكسية... الخ) حيث جاءت كلمة (رب) مرفوعة في الحالتين، والصواب جرّ الأولى بالإضافة إلى المصدر (قتل) من إضافة المصدر لفاعله، ونصب الثانية مفعولاً به للمصدر.

١١- جاء في ص ١٦٩ سطر ١٥ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أيم رجل استعمل رجلاً... الحديث) ولعل الصواب (أَيُّما) لأن (ما) تزداد بين المضاف (أي) والمضاف إليه كثيراً، وحذف ألف (ما) هنا لا علة له. ومن زيادتها في القرآن الكريم ما جاء في سورة القصص من قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿أَيُّمَ الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ (من الآية رقم: ٢٨).

- ١٢- العلم الموصوف بابن لا ينون، ولا تثبت ألفه في حالة النصب، وقد ورد في غير موضع من الكتاب تنوين العلم الموصوف بابن وإثبات الألف نصباً ومن ذلك:
- أ- في ص ١٧٢ سطر ١٢ جاءت عبارة (كما استعمل عتاباً بن أسيد) والصواب (كما استعمل عتاب بن أسيد).
- ب- وفي ص ١٧٨ سطر ١ جاءت عبارة (بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد.. الخ) والصواب (بعث خالد بن الوليد..).
- ج- وفي ص ١٨٨ سطري ٦،٥ جاءت عبارة (ثم أمر عليهم قيساً بن الحصين وبعد أن انصرفوا بعث إليهم عمرو بن حزم).
- والصواب (أمر عليهم قيس بن الحصين، بعث إليهم عمرو بن حزم).
- ١٣- في ص ١٩٠ سطر (٦، ٧، ٨ جاءت عبارة (ومن النواحي التي شملت عناية وحرص النبي صلى الله عليه وسلم اليمن التي بعث إليها كبار الصحابة - رضي الله عنهم - وعلى رأسهم علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذاً بن جبل، وخالد بن الوليد، وأبا موسى الأشعري وغيرهم).
- والصواب رفع (علي) وما بعده من الأعلام (معاذ، خالد، أبو موسى) لأن الواو في (وعلى رأسهم علي) هي واو الحال، والجار والمجرور خبر مقدم و(علي) مبتدأ مؤخر، والجملة حالية، والأسماء المعطوفة على (علي) تابعة له في الرفع.
- ١٤- في ص ١٩٤ سطري ٩، ١٠ جاءت عبارة (ومن دراسة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه إلى عماله على نجران واليمن: عمرو بن حزم، ومعاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وأبو موسى الأشعري وغيرهم.. الخ) جاء لفظ (أبو موسى) بالواو مرفوعاً والصواب بالياء (أبي موسى) لأن كل تلك الأسماء بدل من (عماله) المجرورة بالياء، سواء بالإبدال المباشر في (عمرو بن حزم) أو بالعطف على البدل المجرور كما في معاذ إلى أبي موسى الأشعري، ومن ثم وجب التثنية.
- ١٥- في ص ١٩٧ سطر ١١ جاءت عبارة (خامساً: أخذ نصيب من مال الأغنياء كصدقة (زكاة سنوية) والتشبيه هنا لا مبرر له، لأن الشيء لا يشبه بنفسه، وقد عد القرآن الكريم الزكاة صدقة في قوله تعالى: إنما الصدقات للفقراء والمساكين... ﴿٦٠﴾ الآية ٦٠ سورة التوبة).

وعليه يكون الصواب: أخذ نصيب من مال الأغنياء صدقة.. الخ.

١٦- في ص ٢٠٩ سطر ٣ جاءت عبارة: (وأصبح هدفه العاجل هو توحيد المسلمين.. الخ) والعبارة على هذا النحو سليمة واستخدام ضمير الفصل (هو) ليس خطأ يستوجب التصويب كما ورد في صفحة التصويب الملحقة بالكتاب، ولهذا الاستخدام نظائر كثيرة في الأساليب العربية.

ومن أمثله في الذكر الحكيم قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آية ٣٢، سورة الأنفال). وقوله عز وجل في سورة المزمل آية ٢٠: ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا... الآية﴾.

وقوله عز وجل في سورة آل عمران آية ١٨٠: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ... الآية﴾.

١٧- وفي ص ٢٠٩ أيضاً سطر ٦ وردت عبارة: (لذلك بدأ العمل على إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين والأنصار (الأوس والخزرج) وعطف الأنصار على المسلمين فيه نظر، لأن العطف يقتضي المغايرة والأنصار مسلمون، لأنهم لم يتكسبوا هذا الوصف إلا بعد إسلامهم. فكيف يعطف الأنصار على المسلمين؟ والتصويب عندي بأحد طريقتين:

أ - إما بإسقاط واو العطف، ويكون ما بعدها بدلاً من المسلمين.

ب - أو تكون بزيادة (من) البينية قبل الأنصار مع إسقاط الواو وتكون العبارة (إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين).

١٨- في ص ٢١١ سط ١٢ جاءت عبارة: (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من أظلم وأثم).

ولعل الصواب: إلا من ظلم وأثم لأن المقصود الظلم لا الإظلام وقد جاء الفعل ثلاثياً في السطر ١٦ من نفس الصفحة (إلا من ظلم وأثم) وعليه يكون الخطأ في سطر ١٢ خطأ مطبعياً.

* * *

وبعد فهذه بعض الملاحظات التي بدت لي من خلال النظر في تلك الدراسة الجادة للجوانب الإعلامية في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة للباحث المحقق

الأستاذ: أحمد محمد العقيلي وكثير منها من قبيل الخطأ المطبعي، والبعض منها قد تختلف فيه وجهات النظر، والقليل الباقي يرد مثله كثيراً فيما بين أيدينا من الكتب والبحوث. وإذا كان كل باحث يريد لبحثه أن يكون مستوفياً كل المقومات الفنية وأن يأتي على الصورة التي ينشدها، فإني أبادر بتهنئة الأستاذ الباحث، وأطمئنه إلى أنه يبحث القيم قد حقق الهدف، وأدرك الغاية، ونال الرضا كله، فجزاه الله خيراً كفاء ما بذل من جهد في هذا البحث الرصين الذي يبرز قيم الإسلام ومثله العليا، ونفع به طلاب المعرفة من رجال الإعلام والباحثين، وطلاب الدراسات العليا في شتى أرجاء الوطن العربي الكبير. والله أسأل أن يتقبل ملاحظاتي بالرضا والقبول، وأن تدوم تلك الصلة العلمية بيننا فيما يستجد من أعمال.

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير

أ. د. حسن عبدالقادر مصطفى

الأستاذ المشارك في كلية المعلمين

سكاكا - الجوف

المملكة العربية السعودية

الفكر

إلى من جعلوا الدعوة إلى الله سبيلاً ، وبين دين الوحدانية مسلماً ،
 فيسروا سبلها رخص العقبات الكافراً ، والخصوم القذراً ، والظالمين الشراً .
 إلى من آزروها ومازروا يؤزرونها من الرجال الناصين الباطلين
 أخلصا ممالك البشر ، وحملوا كلمة رب البشر ، ولجئوا بالبشرية ويلات
 الطروب ، والمساكنات والتعصبات ، واليهبوط بالهتاف إلى مستوى الباطل .
 إلى المجاهدين من العلماء والرجال القذرة الذين ساهموا ومازروا بسامعون
 في رفع راية التوحيد والسلام في كل زمان ومكان .

إلى خدام الحرمين الشريفين الذين نهضوا بحمد العزيز وولي عهده
 المؤمنين والخواننة البررة الذين حملوا رسالة الدعوة ، لتأويدهم الله بآياته
 ، ومنهضة قضايانا المحترمة في العالم من أفضاء إلى أفضاء ، طمعا في سرحنة
 الله ، وليسود على القوم السلام .

إلى هؤلاء جميعاً ، أهدى نعمة جبري الشرف ، راجياً من الله التوفيق والقبول .

أحمد محمد العفيلاني

مقدمة

الحمد لله الذي أعلم نبيه ما كان وما سيكون عن طريق وحيه، وأمره بتبليغ أمره ونهيه، فقال جل شأنه ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

والصلاة والسلام على من أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فأعلى الله ذكره، وشرح صدره، ويسر له أمره، وصلّ يارب عليه وسلم صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم القيامة وبعد:

فإن كلمة «الإعلام» قديمة قدم الزمان، ذكرها القرآن الكريم وأوردتها السنة النبوية المطهرة. فمن ذلك قول الله لنبيه إبراهيم بعد انتهائه من بناء البيت هو وولده إسماعيل ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَبْجِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢).

والأذان والتبليغ معناهما الإعلام. وفي السنة المطهرة يقول «ﷺ» في معنى حديثه «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع»^(٣).

ومن كل ماتقدم يتضح لنا أن للإعلام أهميته وأثره في شرائح المجتمع عامة فإن كان الإعلام إسلامياً صادقاً إيمانياً مخلصاً وجدنا أثره ونفعه في المجتمع حتى يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

ومن هذا المنظور والمنطلق جعلت عنوان هذا الكتاب الأثر والدلالات^(٤)

(١) سورة المائدة — الآية ٦٧.

(٢) سورة الحج، الآية ٢٧.

(٣) حديث شريف رواه أحمد وأحمد والبخاري (٣٧٩، ج٣، .. نيل الأوطار).

(٤) الدلالات: جمع دلالة بالكسر أو الفتح ومعناها العلامة التي تدل على الشيء كما في حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة رضي الله عنهم جميعاً (ويخرجون من عنده أدلة) جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ سورة الفرقان، الآية ٤٥، لسان العرب المحيط لابن منظور، ج١، ص ١٠٠٦.

الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة، لتتطرق الرسائل والمعاهدات والعهود بالتوجيهات النبوية التي تلزم وتقع، وفيها من الدلالات الإعلامية ما ينطق بصدق اللهجة، وإخلاص الطوية، وعنفوان الأمر والنهي، ورقة الأسلوب، وحنان الصاحب، ولين الجانب، وتقدير صاحب الدعوة ﷺ لمن يرسل إليهم كتبه ورسائله، لأن لطيف القول وحسن موقعه له تأثيره الذي يأخذ بالألباب والأفهام، ولا يدفعه ويرده إلا كل مسرف كذاب — كذلك القول فيمن حملوا الرسائل من أصحابه «رضي الله عنهم» وما بذلوه من توضيحات نفيسة، وما زادهم إعراض من أعرض إلا إيماناً وتشبثاً.

وهذا الكتاب جعلته في خمسة فصول: الأول منها يتحدث عن الأثر الإعلامي لرسائل النبي ﷺ في جزيرة العرب، ويحتوي على أربعة مباحث هي:

أولاً: رسائله ﷺ إلى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين.

ثانياً: رسالته ﷺ إلى هوزة بن علي ملك اليمامة.

ثالثاً: رسالته ﷺ إلى ملكي عمان.

رابعاً: رسائله ﷺ إلى ملوك اليمن.

أما الفصل الثاني منه فيختص برسائله ﷺ إلى الملوك والقادة خارج جزيرة العرب وآثارها الإعلامية ويضم عشرة مباحث، ثم صدى هذه الحملة خارج الجزيرة العربية وداخلها.

أولاً: رسالته ﷺ إلى هرقل إمبراطور الروم.

ثانياً: رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس.

ثالثاً: رسالته ﷺ إلى ملك الحبشة.

رابعاً: رسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط.

خامساً: رسالته ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

سادساً: رسالته ﷺ إلى أحد أمراء الغساسنة.

سابعاً: رسالته ﷺ إلى فروة بن عمرو الجذامي.

ثامناً: رسالته ﷺ إلى الأسقف ضغاطر.

تاسعاً: رسالته ﷺ إلى إمبراطور الصين.

عاشراً: رسالته ﷺ إلى ملك الهند سرباتك.

أما الفصل الثالث:

فيتناول الآثار الإعلامية لرسائله «ﷺ» إلى عماله وولاته ويحتوي على سبعة مباحث هي:

- أولاً : رسالته «ﷺ» إلى مصعب بن عمير.
- ثانياً : رسالته «ﷺ» إلى عبدالله بن جحش.
- ثالثاً : رسالته «ﷺ» إلى خالد بن الوليد.
- رابعاً : كتبه «ﷺ» إلى العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين.
- خامساً : رسالته «ﷺ» إلى عمرو بن حزم عامله على نجران.
- سادساً : رسالته «ﷺ» إلى عامله على اليمن معاذ بن جبل.
- سابعاً : توجيهاته «ﷺ» إلى قادة المجاهدين وبعض الولاة حين يبعثهم إلى إحدى المهمات العسكرية أو المدنية.

الفصل الرابع:

خاص بكتب المعاهدات والأحلاف وصداها في الجزيرة العربية ويضم أربعة مباحث.

- أولاً : كتب المعاهدات والأحلاف.
- ثانياً : صلح الحديبية.
- ثالثاً : المعاهدات مع زعماء الحدود في شمال الجزيرة العربية.
- رابعاً : كتبه «ﷺ» في بعض الموضوعات المختلفة.

أما الفصل الخامس والأخير.. فيوضح القيمة الإعلامية لرسائله «ﷺ» إلى الملوك والقادة.

وبعد هذا فإني بقدر استطاعتي طفت بين دفات الكتب المتنوعة باحثاً عن النصوص التي وردت في هذا الكتاب، فإن كانت نصاً فهي النص المرجو، وإلا فالقراءة بالمعنى لها جائزة إن شاء الله، مع ملاحظة وجود نقص أو زيادة في بعض الألفاظ بين المراجع والمصادر. وهذه محاولة متواضعة في هذا السبيل، وأعلم قول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١) وحسب إمكاناتي فقد أجهدت العقل والفكر، واتخذت

(١) سورة هود — الآية ٨٨.

الأسباب مضحياً بأعلى ما يملكه البشر، وهو (الوقت) لعظم المطلوب حتى أضع هذه اللبنة الحية (إن صح التعبير) في بناء صرح الثقافات الإسلامية التي تنطق بالحق ودعاء إلى الله أن تكون اللبنة في ركنها الذي يحسن بها ويكمل. قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١). وإن هذا الكتاب وما ينطق به من كتب ومعاهدات وأعطيات وأحلاف ورسائل وتوجيهات نبوية شريفة إلى الحكام والقادة والشيوخ ووجهاء القوم داخل وخارج شبه الجزيرة العربية ليعلم الدعوة الحققة، لذلك تحررت الدقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وكم من كاتب كتب فأبدع، وكانت له أخطاؤه لأن من طبع البشر (غير الأنبياء) أن يخطئوا، مصداقاً لقول الرسول ﷺ «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ومن هنا فإنني ألهج بآيات الشكر والعرفان لكل من ينقد هذا الكتاب نقداً نافعاً يثرى ويغنى ولا يهدم ويغوي بما يفيد هذا الكتاب في مادته العلمية التي أرجو من الله العلي القدير أن ينتفع بها من يبحث ويطلع حتى تعم الفائدة وعلى الله قصد السبيل.. مصداقاً لقوله ﷺ «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة».

وفي حديث آخر قوله ﷺ «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء» ويقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

أحميد محمد العقيلي

الرياض ص.ب ١٢٣١٥٥

الرمز البريدي ١١٧٤١

(١) سورة إبراهيم — الآيات ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة المجادلة — الآية ١١.

الفصل الأول

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والفتاوة
داخل شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى^(١)

بعث الرسول محمد ﷺ العلاء بن الحضرمي^(٣) برسالة منه إلى المنذر بن ساوى عامل البحرين^(٢) من قبل كسرى أنوشروان هذا نصها:

(١) المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله التميمي الدارمي صاحب البحرين نسبته ابن الكلبي، كان عاملاً للنبي على البحرين حيث دخل في الإسلام فأبقاه الرسول ﷺ — أميراً عليها في العام السادس الهجري. انظر: ابن الأثير (أسد الغابة) في معرفة الصحابة ج ٤ ص ٤١٧ وعدوه من عبد القيس سكان تهامة الذين نزلوا إلى البحرين فزاحموا بكر بن وائل وتميماً (الكامل ج ٢ ص ٨٠)

ونسبه القلقشندي في نهاية الأرب ص ٣١٢، ص ٤٣٥ بأنه من بني عبدالله بن دارم وهم من بني تميم، وكان تابعاً (لما تولى البحرين) لكسرى ملك فارس وكان مجوسياً وهو الذي كان يعشّر سوق هجر في الجاهلية (أحد الأسواق المعروفة آنذاك) وقد أسلم ومعه جميع العرب هناك كما أسلم معه بعض العجم (انظر علي بن حسين علي الأحمدي مكاتيب الرسول ﷺ — دار المهاجر بيروت ص ١٤١، ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٨).

(٢) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان وقيل هجر قصبة البحرين وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة، قال أبو عبيد بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام وبين هجر مدينة البحرين والبصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل وبينها وبين عمان مسيرة شهر، وكانت البحرين تابعة لمملكة الفرس وبها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم مقيمون في باديتها وكان بها من قبل الفرس المنذر بن ساوى بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم. وقد ذكر أن سبب تسميتها بالبحرين هو وجود بحيرة على باب الأحساء وقدرت تلك البحيرة بثلاثة أميال في مثلها ولا يفيض ماؤها لأنه راكد. ومما يجدر ذكره أنه ينسب إليها رجال من أهل العلم منهم محمد بن معمر البحراني بصري ثقة تحدث عنه البخاري (معجم البلدان لياقوت الحموي ص ٣٤٧، ص ٣٤٨، ص ٣٤٩. وتتألف البحرين من مجموعة من الجزر في الخليج العربي بين قطر والأحساء وبها عيون ماء عذبة.

انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، لبنان، بيروت، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ج ١، ص ٣٣٠، وهناك مصادر أخرى تشير إلى موقعها فهي الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين عُمان والبصرة وتشمل الكويت، والأحساء، قطر، جزر البحرين المعروفة قديماً باسم أوال).

انظر: عبدالرحمن عبدالكريم النجم: البحرين، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٣، ص ١٧،٥ كحالة: جغرافية جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٤٤، ص ٢٦١. النهائي: التحفة النهائية في تاريخ الجزيرة العربية، ط ٢، المطبعة المحمدية، القاهرة ١٣٤٢هـ، ص ١١.

(٣) العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس وقد وجهه رسول الله ﷺ سنة ثمان للهجرة إلى

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

(فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل الله لك ماتحت يديك واعلم أن ديني

البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى دفع الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سبيخت مرزبان هجر يدعوها إلى الإسلام أو الجزية فأسلم معه جميع العرب هناك وبعض العجم. وصالحه أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى وكتب بينهم وبينه كتاباً. وروى عن العلاء أنه قال: إن رسول الله ﷺ قد بعثني إلى البحرين أو قال هجر وأخذ من كل مسلم العشر ومن كل مشرك الخراج. وقال قتادة إن البعض أسلم والبعض صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر. وقيل إنه أرسل لرسول الله ﷺ مالا كثيراً ما أتى الرسول مثله من قبل ثم عزله الرسول وولى مكانه إبان بن سعيد ثم بعد وفاة الرسول ﷺ طلب أهل البحرين من أبي بكر تولية العلاء فتولى البحرين مرة أخرى إلى أن مات سنة عشرين للهجرة وقيل: إنهم دفنوه بالبحرين.

ولما احتاجوا رفع لينة لم يجدوا العلاء في اللحد. وقيل: إنه تولى البصرة عندما طلب عمر بن الخطاب منه ذلك (انظر: ابن هشام سيرة النبي جـ ٤، ط ١، ص ٢٤٣ وياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١، ص ٣٤٧، ٣٤٨). وقد قيل إنه العلاء الحضرمي واسم الحضرمي عبدالله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر ابن عوف بن مالك بن الخزرج بن أبي بن الصرف. وقيل عبدالله بن عمار وقيل عبدالله بن ضمار وقيل عبدالله ابن عبيدة بن ضمار بن مالك وقال الدارقطني: زعم الأملوكي أنه عبدالله بن عباد فصحف ولا يختلفون أنه من حضرموت حليف حرب بن أمية وولاه النبي ﷺ البحرين وتوفي النبي ﷺ وهو عليها فأقره أبو بكر خلافة كلها ثم أقره عمر وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل توفي سنة إحدى وعشرين ويقال إنه مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها ولما قاتل أهل الردة بالبحرين كان له في قتالهم أثر كبير (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة ج ٤، ص ٧). وقيل إنه عبدالله بن عباد بن أكبر بن ربيعة، حضرمي الأب والأم وأمه الصعبة بنت الحضرمي، هاجر أبوه من حضرموت إلى مكة وأقام بها واستطاع أن يكون حليفاً لحرب بن أمية وروى العلاء عن النبي ﷺ وروى عنه من الصحابة أبوهريرة والسائب بن زيد وقد جعله النبي ﷺ عاملة على البحرين. وكتب الرسول ﷺ له كتاباً يبين فيه فرائض الصدقة من الإبل والبقر والغنم والأموال والثمار وذكر كذلك أن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها والله يؤتي الحكمة من يشاء ومات العلاء سنة ٢١ هـ وقيل سنة ٢٤ هـ.

انظر: د. أحمد عبدالرحمن عيسى: كتاب الوحي ص ٤٤٨، ص ٤٤٩، وقيل: إن المنذر قد استجاب للدعوة الكريمة التي حملها العلاء وقد أرسل الرسول للعلاء يوصيه بأهل البحرين خيراً، ومما يشار إليه أن العلاء كان يفقه الناس في الدين ويدعو إلى الإسلام ويسير سيرة عادلة. وكان رجلاً صالحاً فقد قال أبوهريرة: إنه رأى من العلاء ثلاثة أشياء أدت إلى حبه إياه: قطع البحر على فرسه يوم دارين. أنشاء رحلتهم عندما كانوا بالدنهاء ونفذ ماؤهم فدعا الله فنبع لهم الماء فارتووا وعندما مات كان يوم جفاف بلا ماء أمطرت السماء فغسلوه وحفروا له بسببهم ودفنوه (انظر: صور من الجهاد، ج ٢، ص ٧٣، ص ٧٥).

سيظهر إلى منتهى الخف والحافر^(١)، وهناك نص آخر أورده الشيخ محمد الخضري بك^(٢) وهو كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم: أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ومن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن عليه الجزية).

وقد ألقى العلاء بين يدي المنذر بياناً ضافياً موضحاً له صلب العقيدة الإسلامية والفرق بينها وبين النحل الأخرى ومن ضمنها عقيدة المنذر المجوسية فقال: (يامنذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة. إن هذه المجوسية شردين، ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحي من نكاحه ويأكلون ما يتكرم من أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر: هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ألا تصدقه ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تتق به، فإن كان هذا هكذا فهو هذا النبي ﷺ الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت مأمراً به نهى عنه أو مانهى عنه أمر به، أو ليت زاده في عفوه أو نقص من عقابه. إن كل ذلك منه على أمانة أهل العقل وفكر أهل البصر^(٣)، فقال المنذر: قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيت له للآخرة والدنيا فما يمنعي من قبول دين فيه أمانة الحياة وراحة الموت؟ ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه، وأن من إعظام ماجاء به أن يعظم الرسول ﷺ) وسأنظر^(٤).

وكان للبيان التوضيحي الإعلامي الذي أدلى به العلاء واستجابة المنذر لدعوة رسول الله ﷺ الأثر الكبير الذي دعاه إلى أن يكتب الرسالة التالية:

(١) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١١٣، الدكتور عون

الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ، ص ٣٢٣.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﷺ.

(٣) الروض الأنف السهيلي، ج ٧، ص ٥١٩. وقد ورد هذا البيان على اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) سيرة الأمين والمأمون الشهيرة بالسيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٠٠، ص ٣٠١.

(من المنذر بن ساوى أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين^(١))
فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضى مجوس ويهود
فأحدثني في ذلك أمرك^(٢).

ولقد كانت رسالة المنذر إلى النبي ﷺ إيذاناً بأن تدخل البحرين تحت لواء
الإسلام وتعاليمه المتعلقة بالعقيدة وما يتبع ذلك من أمور تتعلق بشعب البحرين من
مسلمين ويهود ومجوس وغيرهم. ولذلك فإن المنذر بعد أن أعلن للرسول ﷺ
إسلامه ثم ولاءه طلب منه أن يوجهه إلى الطريق السليم لكيفية معالجة الأمور في
البحرين، وخاصة لمن هم على غير عقيدة الإسلام من مجوس ويهود، فلم يتوان
الرسول ﷺ في سرعة الرد عليه وتبليغه ما يجب أن يكون على ضوء تعاليم الدين
الإسلامي، وهذا مانراه واضحاً في الرسالة الآتية:

(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام الله
عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ماعلينا ومن لم
يقبل فعليه دينار من قيمة المعافري^(٣) والسلام ورحمة الله يغفر الله لك^(٤)).

وتدعيماً للتعاليم والتعليمات المتعلقة بكيفية معالجة الأمور المختلفة فقد استمر
الرسول الكريم في توجيهاته وإرشاداته للمنذر ليتصرف على هدى وبينة.

وهاهي ذي الرسالة التالية في سلسلة توجيهاته (صلوات الله وسلامه عليه) للمنذر
للأغراض المشار إليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك،

(١) وفي رواية أخرى (قرأت كتابك على أهل هجر) البحرين في صدر الإسلام، ص ١٤٧. وانظر ابن سعد
الطبقات، ج ٢، ص ١٩ وابن سيد الناس (عيون الأثر)، ج ٢، ص ٢٦٧ والزبيعي (نصب الراية)، ج ٤،
ص ٤٢٠. والسيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٢) جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص ٤٦، وفي تاريخ السيرة، ص ٢٥٥ وفيها فأرسل إليّ في ذلك أمرك بدلاً
من فأحدثني في ذلك أمرك. انظر: مجموعة الوثائق السياسية، ج ١، ص ١١٥.

(٣) المعافري: برود من اليمن منسوبة إلى معافر وهي قبيلة باليمن.

(٤) انظر: الخراج ص ١٤١، ومجموعة الوثائق ص ١١٥ وفيه زيادة (فإن كتابك جاءني وسمعت مافيه فمن
صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا...) وهذه هي الرسالة الثالثة من الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فإنني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطلع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن ينصح لهم فقد نصح لي، وأن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وأنا قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية^(١).

ونتيجة لتنفيذ أوامر الرسول الكريم من قبل المنذر وإيجابية هذا الوالي، وتعاونه المشرف مع معوثي النبي «ﷺ»، ولإبلاغ المبعوثين النبي «ﷺ» ذلك فقد ارتأى صاحب الدعوة أن يشجع المنذر ويذكر له مواقفه المطمئنة، واستحسان طاعته للتعاليم الإسلامية. لذلك كتب له الرسول «ﷺ» مؤازراً موقفه وهو ما سنراه في هذه الرسالة. أما بعد (فإن رسلي قد حمدوك وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك)^(٢)، ولم تقتصر كتابات الرسول «ﷺ» ووفادته إلى البحرين على المنذر بن ساوى وإنما تعدتها إلى مرزبان^(٣) هجر^(٤) وذلك حين كتب إلى المنذر بن ساوى يدعو للإسلام أو الجزية وهذا نصها:
(إلى أسيبخت^(٥) بن عبدالله صاحب هجر: إنه قد جاءني الأقرع^(٦) بكتابك

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ج ١، ص ١١٤. ويلاحظ أنها الرسالة الرابعة من رسائله «ﷺ» إلى المنذر بن ساوى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ١، ص ٢٧٦.

(٣) مرزبان : هو حاكم الولاية وهي من ولايات الإمبراطورية الفارسية القديمة. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٩٤١.

(٤) هجر : هي مدينة داخلية بعيدة عن السواحل، وهي أهم مدينة في إقليم البحرين حتى سماها بعض المؤلفين باسمها فذكر الهمداني أنها مدينة البحرين العظمى ووصفها ابن حوقل بأنها أكبر أعمال البحرين ومدنها وكانت عند ظهور الإسلام وصدره قاعدة البحرين وقصبتها وكان بها أحد الأسواق الهامة السنوية قبل الإسلام وقد قاتل العلاء الحضرمي ابن ربيعة المرتد عام ١١هـ بهجر وهي مدينة الهفوف إحدى مدن المملكة العربية السعودية.. وانظر المسالك والممالك ص ٢١٨ وأحسن التقاسيم ص ٧١ وفي معجم البلدان ج ٥، ص ٣٩٣ (قال ابن الحائك : الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين).

(٥) الأصل الفارسي «سبخت» الوثائق السياسية، ص ١٢٠.

(٦) الأقرع يحتمل أن يكون الأقرع بن حابس التميمي أحد أشرف قومه أو الأقرع ابن شفى العكي، أو الأقرع بن عبدالله الحميري. انظر : مكاتيب الرسول للشيخ علي بن حسين علي الأحمدي، ص ١٥٩.

وشفاعتك لقومك، وإني قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك، فأبشر فيما سألتني وطلبتني بالذي تحب، ولكنني نظرت أن أعلمه وتلقاني فإن تجئنا أكرمك وإن تقعد أكرمك. أما بعد: فإني لأستهدي أحداً وإن تهد إلي أقبل هديتك وقد حمد عمالي مكانك، وأوصيك بأحسن الذي أنت عليه من الصلاة والزكاة وقراءة المؤمنين، وإني قد سميت قومك بني عبدالله فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين^(١).

واستكمالاً لنشر الدعوة فقد كتب النبي ﷺ إلى الهلال صاحب البحرين كتاباً هذا نصه:

(سَلِّمْ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، تَوْمَنُ بِاللَّهِ وَتَطِيعُ وَتَدْخُلُ فِي الْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ خَيْرُ لَكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ)^(٢).

وكتب الرسول ﷺ كتاباً عاماً شاملاً إلى أهل البحرين جاء فيه:

(أما بعد فإنكم إذا أقمتُم الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتُم لله ورسوله وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمجسوا أولادكم، فلكم ما أسلمتم عليه غير أن بيت النار لله ورسوله، وإن أبيتم فعليكم الجزية)^(٣).

وكتب ﷺ كذلك كتاباً عاماً للدعوة الإسلامية إلى أهل هجر: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى أهل هجر سَلِّمْ أَنْتُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أما بعد، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِاللَّهِ وَأَنْفُسَكُمْ أَنْ لَا تَضْلُوا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتُمْ وَلَا تَغْوُوا بَعْدَ إِذْ رُشِدْتُمْ. أما بعد ذلكم فإنه قد جاءني وفدكم فلم آت فيهم إلا ما سرهم وإني لو جهدت حقي كله فيكم أخرجتكم من هجر فشفت شاهدكم ومننت على غائبكم اذكروا نعمة الله عليكم أما بعد: فإنه قد أتاني ما صنعتُم وإن من يجمل منكم لا يحمل عليه ذنب المسيء فإذا جاءكم أمراؤكم فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله، فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضل له عند الله ولا عندي، أما بعد يامنذر

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) البحرين، عبدالرحمن نجم، ص ١٥٠، فتوح البلدان ص ٨٩ للبلاذري.

(٣) جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص ٤٧ وفتوح البلدان ص ٨٩.

ابن ساوى فقد حمدك لي رسولي، وأنا إن شاء الله مثيبك على عملك^(١).
وعمت الدعوة الإسلامية أهل البحرين بشكل أوسع ليؤدي الرسول ﷺ «الأمانة التي أمره الله بها حيث كتب إلى عبد قيس^(٢): (من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد قيس أنهم آمنون بأمان الله، وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القبح وعليهم الوفاء بما عاهدوا ولهم أن لا يحبسوا عن طريق الميرة^(٣)) ولا يمنعوا صوب القطر، ولا يحرقوا جريم^(٤)) الثمار عند بلوغه، والعلاء بن الحضرمي أمير رسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها، وما خرج منها، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم، وأعوانه على الظالم، وأنصاره في الملاحم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، لا يبدلوا قولنا ولا يريدوا فرقتنا، ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء والعدل في الحكم، والقصد في السيرة، حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما والله ورسوله يشهد عليكم^(٥).

كذلك بعث الرسول ﷺ رسالة أخرى إلى عبد القيس وهذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم»: هذا كتاب من محمد رسول الله لعبد القيس وحاشيتها من البحرين وما حولها، أنكم أتيتموني مسلمين، مؤمنين بالله ورسوله، وعاهدتم على دينه، قبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم وتقيموا الصلاة وتؤدوا الزكاة وتحجوا البيت، وتصوموا رمضان، وكونوا قائلين لله بالقسط ولو على أنفسكم. وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم فتزد على فقرائكم على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين^(٦).

(١) مكاتيب الرسول للأحمدي، ص ٣٨٢ وقد ورد في طبقات ابن سعد، ج١، ص ٢٧٦، ٢٧٥ وفي فتوح البلدان ص ٩٠ هذا النص مع وجود اختلاف في الألفاظ لا تحل بالمعنى العام لمضمون الرسالة.
(٢) عبد القيس قبيلة جاءت إلى البحرين من تهامة وتغلبت على من كان قد سكن قبلها بها من إباد والأزد وأجلت إباداً عنها.. ولقد استحوذ عبد القيس على معظم البحرين ولذلك عدّها بعضهم لعبد القيس ومن زعمائهم المشهورين عند ظهور الإسلام الأشج الذي تزعم وفد عبد القيس إلى الرسول ﷺ في المدينة. والجارود العبدي. انظر: مكاتيب الرسول للشيخ الأحمدي ص ٣٧٩، ص ٣٥٠. وانظر: أيضاً البحرين لعبد الرحمن النجم ص ٤٢، ٤١.

(٣) الميرة: هي الحبوب الغذائية.

(٤) حريم في الأصل جريم بالحاء المهملة ولعل الصواب جريم الثمار. انظر: الوثائق ص ١٢٦.

(٥) الوثائق السياسية، ص ١٢٦.

(٦) مجموعة الوثائق السياسية ص ١٢٦، ١٢٧. وانظر: الطبقات الكبرى ص ٢٨٣.

ولم يكتف الرسول ﷺ بتعميم الدعوة إلى أهل البحرين بصفة عامة، وإنما خصها برسالة خاصة يدعوهم فيها إلى الاسلام مؤملاً أن يهتدوا إلى دين التوحيد ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام. حيث كتب لهم.. (أما بعد: من شهد منكم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فله مثل مالنا وعليه مثل ماعلينا، ومن أبى فعلية الجزية، على كل رأس دينار على الذكر والأنثى ومن أبى فليأذن بحرب من الله ورسوله)^(١). وبناءً على البيانات الإلهية المبلغة للرسول ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

وإن طبيعة الاسلام هي الابلاغ بدين التوحيد دون ضغط أو إرهاب. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾^(٤)، فالإسلام هو دين اليسر ودين التسامح ودين العقل والتدبر والافتناع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٥).

والنجاح المؤزر الذي حققته الدعوة في البحرين يرجع إلى حكمة الرسول ﷺ عندما أبقي المنذر بن ساوى والياً على قومه لأنه منهم، حيث سارع هذا إلى قبول الإسلام عن قناعة، مما طمأن قومه الذين أسرع العرب منهم إلى الدخول في الإسلام، ووافق المجوس واليهود طائعين على دفع الجزية.

ومن يتأمل هذه الرسالة يتضح له أنها مستكملة لسائر عناصر الرسالة الإعلامية من حيث المضمون والمرسل والمستقبل، لأنها انبثقت من القاعدة الأساسية للإعلام عن الدعوة الإسلامية. والبلاغ المبين كما أن حامل الرسالة (الداعية) صحابي جليل اختاره المرسل (النبي الكريم) لكونه كفواً للقيام بمثل هذه المهمة السامية ووفق المرسل

(١) انظر: نصب الراية، ج٣، ص ٤٤٧ للزيلعي، وانظر: البحرين ص ١٥٠ لعبدالرحمن نجم.

(٢) سورة الحج — الآية ١٧.

(٣) سورة المائدة — الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة — الآية ٩٩.

(٥) سورة النحل — الآية ٣٦.

(النبي الكريم) في الخصائص الذاتية لمبعوثه فرآه قادراً على الإجابة على أي سؤال قد يوجه إليه، فالمبعوث كيسٌ فطن، عايش موضوع الرسالة التي حملها وتغلغل في وجدانه إيمان وعمل فظهر ذلك واضحاً في المحاوراة التي جرت بينه وبين المنذر كما سبق.

ونجد عمق العقيدة والإيمان في مبعوث الرسول عليه الصلاة والسلام (المبشر)، وكان من ثمارها أن اعتنق المنذر دين التوحيد ورد رداً إيجابياً وعن قناعة وفهم، ينمان عن عقل راجح. وكان من أهم أسباب هذا القبول وضوح رسالة المصطفى وصراحتها وزاد من وضوحها إيمان حاملها وشرحه للعقيدة الإسلامية وأهدافها في الوقت الذي آمط فيه اللثام عن مفاصل عقيدة المجوس والعقائد الأخرى.

أما عن التأثير الإعلامي للرسائل فقد كان تأثيراً إيجابياً فعالاً إذ ذاع صيت الإسلام في تلك البلاد، وتحدث عنه في المجالس الخاصة والعامة، ومن ثم اتسع نطاقه في البحرين وما حولها، وقد خاطب^(١) الرسول ﷺ الملوك والأمراء ودعاهم إلى الإسلام لأن اعتناقهم له سيكون سبباً في إسلام شعوبهم، ويفسح مجالاً للدعوة في أن تشق طريقها بين عامة الناس وخاصتهم من خلال البث الإعلامي المتمثل في الرسائل والدعاة الذين كان رسول الله ﷺ يرسلهم بين الحين والآخر، وذلك لأن الناس في تلك الفترة — التي لم تكن هناك وسائل إعلام سوى ما يصدره الملوك والحكام لشعوبهم من نظم وتوجيهات الأحكام — يتبعونها مقلدين ومنفذين لأفعالهم وأعمالهم، فالناس على دين ملوكهم^(٢)، كما يقال، أي أنه إذا ارتضى الملك نظاماً له فهو دين له، فإذا تبعته رعيته قالوا الناس في دين الملك أي يتبعون نظامه، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُؤَسَّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٣) وبدا هذا الأمر واضحاً حين أسلم أمير البحرين مع كثير من قومه. ولقد عالجت تلك الرسالة عدة أمور نوجزها فيما يلي:

(١) البلاذري، فتوح البلدان ص ٨٩.

وانظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٤٩، وعبد الرحمن النجم، البحرين، ص ١٠٣.

(٢) د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفهية، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م، ص ٥٧.

(٣) سورة يوسف — الآية ٧٦.

أولاً :الدعوة إلى اعتناق الإسلام ونبذ ما عداه من الشرك والديانات الأخرى كالمجوسية وغيرها.

ثانياً :معالجة شؤون الأمة من عبادات ومعاملات وواجبهم نحو الدولة.

ثالثاً :عدم إكراه أصحاب الديانات الأخرى على اعتناق الإسلام حيث إن الرسول الكريم مكلف بالدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة^(١)، قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾.

رابعاً :ترك الملوك والأمراء في مناصبهم عند اعتناقهم الإسلام وتوجيههم من قبل الرسول ﷺ لإدارة شعوبهم على هذه العقيدة الإسلامية.

خامساً :تشجيع الرسول وتقديره لمن يقوم بعمل طيب يخدم الإسلام والمسلمين وأن في ذلك ثواباً له مثل قوله: ﴿وإِنَّكَ تَصْلِحُ أَصْلَحَ إِلَيْكَ وَأَثْبَكَ عَلَى عَمَلِكَ﴾.

(١) سورة النحل — الآية ١٢٥.

رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم لأمير البحرين أثرها ودلالاتها الإعلامية

من خلال قراءة رسائل النبي «ﷺ» التي يدعو فيها أمير البحرين إلى الإسلام يمكننا استنباط الدلالات الإعلامية التالية:

١ — فاتحة القول «بسم الله الرحمن الرحيم» وهي من شعائر الإسلام المقدسة التي تفتتح بها الكتب والأقوال وعند البدء بالأفعال، والبدء بالبسملة هو الأدب الذي أوحى الله به إلى نبيه «ﷺ» في أول ما نزل من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) وهو يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبير من أن الله هو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فهو الموجود الحق الذي يستمد منه كل موجود، ويبدأ منه كل مبدوء، ولذلك يكون كل ابتداء باسمه «والرحمن الرحيم» يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها التي تبعث في النفوس الطمأنينة والثقة. والله وحده المختص بهاتين الصفتين.

٢ — الإعلان عن شخصيته «ﷺ» بأنه رسول الله مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٢).

٣ — التحية وهي «سلام على من اتبع الهدى» وفيها تحفظ لكي لا تكون على إطلاقها حقاً مفروضاً للكافر على المسلم.

٤ — الدعوة إلى الإسلام «أسلم تسلم» لأن اعتناق الإسلام سبيل إلى الأمن والسلام في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة، وليس كما يدعي أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعتقدون أن الأمن والسلام والنعيم سوف تتحقق بظهور المخلص «المسيح» عليه السلام.

٥ — في حالة اعتناق الوالي للإسلام فسوف يتحقق له المطلب الأول وهو بقاءه في سلطته، وشموله بالسلام والأمن الذي يدعو إليهما الإسلام.

٦ — «اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر» أي أن هذا الدين سوف يغطي

(١) سورة العلق — الآية ١.

(٢) سورة الأحزاب — الآية ٤٠.

كل ماتصل إليه وسائل المواصلات المعروفة آنذاك من خيل وجمال وهي أهم وسائل النقل في السلم والحرب.

٧ — ثقة الرسول ﷺ بأن الدين الإسلامي منتصر لامحالة وهكذا فإن الدلالات التي أشرنا إليها تدرج تحتها الرسائل اللاحقة المرسله إلى المنذر مع وجود دلائل أخرى قمت باستخراجها بعد الدراسة والتحليل.

(١) «لا إله إلا الله» وهي أولى الدلائل الإعلامية التي أمر النبي ﷺ بتبليغها الناس منذ أول يوم بدأت فيه الدعوة، وهي أساس عقيدة التوحيد، كما جاء في الرسالة رقم (٤).

(٢) توضيح بعض صفات المسلم كقوله (فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم).

(٣) دفع الجزية ممن لا يعتنق دين الإسلام ومقدارها دينار كقوله (ومن لم يفعل فعليه دينار)، وهذا تسامح من الرسول ﷺ حيث لم يجبر أحداً على اعتناق الإسلام.

(٤) الدعاء للمنذر بأن يغفر الله له لقوله «يغفر الله لك» وقد جاءت الرسالة الثالثة للمنذر تؤكد مايلي:—

أ — وحدانية الله سبحانه وتعالى لقوله: «وأشهد أن لا إله إلا الله».

ب — إثبات رسالة ونبوة النبي ﷺ كقوله (وأن محمداً عبده ورسوله).

ج — وجوب طاعة رسل النبي لتنفيذ الأوامر كقوله: «وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني».

د — الإشارة إلى ما قدمه الوالي من مساعدة لمبعوث الرسول ﷺ لقوله «وأن رسلي قد أثنوا عليك». ونتيجة لذلك قدر الرسول ﷺ له ذلك الموقف فشفعه في قومه.

هـ — أمر من الرسول ﷺ للمنذر ألا يتعرض للمسلمين في أموالهم وما يملكون لقوله «فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه». وفي نفس الوقت العفو عن الأشخاص الذين صدرت منهم بعض الهفوات لقبول أعذارهم كقوله «وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم».

و — طمأنة المنذر بأن أعماله الطيبة ولو كانت بسيطة فلن تقلل من شأنه ولن

تؤدي إلى عزله لقوله «ﷺ» «وإنك مهما تصلح فلن نزالك عن عملك».

ز - ترك من بقي على عقيدته من يهود أو مجوس دون قهر أو تخويف، مقابل دفع جزية رمزية، وهي دينار كقوله «ﷺ» «ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية». وتؤخذ الجزية من هؤلاء نظير حماية أرواحهم وأموالهم.

أما الدلالات الإعلامية التي لمسناها من رسالته «ﷺ» إلى أسبيخت بن عبدالله مرزبان هجر فهي:

١ - تسامح الرسول «ﷺ» وتقديره لشفاعة الولاة في أقوامهم رغبة في ميلهم للإسلام لقوله «قد شفعتك وصدقت رسولك الأقرع في قومك».

٢ - تلبية الرسول «ﷺ» لطلب أسبيخت بما يحب، تقديرًا لمركزه لقوله «فأبشر فيما سألتني وطلبتني بالذي تحب».

٣ - إكرام الرسول «ﷺ» للوالي سواء قدم للرسول أو بقي لقوله «فإن تعجنا أكرمك، وإن تقعد أكرمك».

٤ - عدم طلب الرسول «ﷺ» للهدية مع قبوله إياها إذا أهديت له دون طلب.

٥ - إعلامه وتوجيهه بأفضل ما يحب أن يتبعه وهو إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وقراءة المؤمنين.

٦ - أن الرسول «ﷺ» غيّر اسم قوم الوالي باسم حسن مقبول انطلاقاً من قوله «ﷺ» «إذا أبردتم إليّ بريدًا فليكن حسن الاسم، حسن الوجه» كما في قوله: «قد سميت قومك بني عبدالله».

٧ - أن يأمر قومه بالصلاة والأعمال الطيبة كما في قوله «ﷺ» «فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل».

٨ - وختم «ﷺ» رسالته بالسلام عليه وعلى قومه المؤمنين، وهذا فيه الأمن والأمان للوالي وللمن آمن من قومه.

وأما عن الدلالات الإعلامية المستفادة من كتابه «ﷺ» إلى الهلال صاحب البحرين فهي:

١ - رفع شعار الإسلام الخالد كما في قوله: «الله الذي لا إله إلا هو لا شريك له»،

وفيه التأكيد على وحدانية الله ونبذ عبادة الشرك والعبادات الأخرى الموجهة لغير الله.

٢ — دعوة الهلال إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ العبادات الأخرى كما في قوله: «أدعوك إلى الله وحده تؤمن بالله». انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾^(١).

٣ — حثه على الطاعة واعتناق الإسلام لما في ذلك من خير له ولأن الإسلام أصبح عقيدة الغالبية كما في قوله «تدخل في الجماعة فإنه خير لك».

٤ — ختم الرسول ﷺ رسالته بالسلام عليه في حالة اتباعه لدين التوحيد كما في قوله: «والسلام على من اتبع الهدى».

ويمكن استخراج دلالات إعلامية بارزة من رسالته «عليه السلام» إلى أهل هجر وهي:

١ — «بسم الله الرحمن الرحيم» شعار إسلامي يوضح وحدانية الخالق وأنه الرحمن الرحيم الذي يجب أن تنصرف العبادة إليه وحده لا شريك له.

٢ — الإعلام عن نفسه بأنه النبي المرسل من الله كما في «من محمد النبي رسول الله».

٣ — تكرر التأكيد على وحدانية الله كما في قوله «الذي لا إله إلا هو» وكما في قوله «أوصيكم بالله».

٤ — التحذير من الضلالة بعد الهداية كما في قوله: «أَنْ لَا تَضَلُّوا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتُمْ وَلَا تَغْوُوا بَعْدَ إِذْ رُشِدْتُمْ».

٥ — إكرام وفده مع إعلامهم بأن الرسول ﷺ لو استعمل صلاحياته وسلطاته متركهم في هجر، ولكنه انطلقاً من روح الإسلام السمحة فقد طمأنهم كما في قوله: (فلم آت إليهم إلا ماسرهم وأني لو جهدت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر). حيث عفا عن الغائب وأكرم تفضلاً منه ﷺ الحاضر بين يديه.

٦ — أن يذكروا نعم الله عليهم وأن المحسن لا يحمل إثم المسيء. كما ورد في كتاب الله.. ﴿الْأَنْزِلُ وَأَنْزِلُ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (٢).

(۱) سورة آل عمران — الآية ۱۸.

(٢) سورة النجم — الآية ٣٨.

٧- حثهم على طاعة مبعوثيه وأن يساعدهم على تنفيذ المهمة المكلفين بها من قبل رسول الله وهذه المهمة هي خدمة للدين حيث إن الخالق سبحانه وتعالى سوف يجازي كل إنسان على عمله مهما كان بسيطاً، وسوف يثاب من الله ومن رسوله كما في قوله: (فإذا جاءكم أمراي فأطيعوهم وناصروهم على اتباع أمر الله، وفي سبيله فإنه من يعمل منكم عملاً صالحاً فلن يضيع عند الله ولا عندي). ويمكن استنباط بعض الدلالات الإعلامية الإسلامية من رسالته «ﷺ» إلى عبد القيس:

- ١ - الإعلام عن شخصيته وأنه رسول الله.
- ٢ - أنهم في أمن وسلام من الله ورسوله بالنسبة للأعمال التي اقترفوها في الجاهلية كما في قوله: (إنهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهلية من القبح)^(١).
- ٣ - وجوب الوفاء بالعهد ونظير ذلك السماح لهم بأن لا تمتنع عنهم المواد الغذائية «الحبوب» ولهم حرية التنقل بسلام وأن يمنعوا من قطع الثمار.
- ٤ - الإعلام عن تعيين مبعوث الرسول «ﷺ» وهو العلاء أميناً لرسول الله على برها وبحرها وحاضرها وسراياها وما ينتج منها.
- ٥ - أن على أهل البحرين حراسته من كل أذى وضرر وظلم كما في قوله (وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم).
- ٦ - أنه منحهم الأمن والأمان والسلام بشرط عدم تغييرهم أو تبديلهم للاتفاق الذي أبرم معهم مؤكداً ذلك بعهد الله وميثاقه على الطرفين كما في قوله: (عليهم بذلك عهد الله وميثاقه لا يبدل قولاً ولا يريد فرقه).
- ٧ - أنهم إذا قاموا بما عاهدوا الله عليه من نصر لجند المسلمين فلهم نصيب كجند المسلمين في الفء ومن حقق العدل في الحكم وحسن الأحداث وأذن ذلك بين الفريقين دائم، والله ورسوله يشهدان على ذلك، كما في قوله: (ولهم على جند المسلمين الشرك في الفء، والعدل في الحكم، والقصد في السيرة. حكم لا تبديل له في الفريقين كليهما، والله ورسوله يشهد عليهما).

(١) القحمة : الذنوب العظام، انظر : ابن منظور. لسان العرب ج٣، ط١، دار السعادة، بيروت، ص ٢٥، ط١، يوسف خياط.

٨ — أن إسلام عبد القيس وما حولها من مناطق البحرين الذين أسلموا وآمنوا بالله ورسوله وعاهدوا على دينه قد قبل ذلك رسول الله منهم نظير طاعة الله ورسوله فيما أحبوا وكرهوا كما في قوله: (إنكم أتيتموني مسلمين مؤمنين بالله ورسوله وعاهدتم على دينه فقبلت على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم).

٩ — إقامة شعائر الله من صلاة وزكاة وصوم وحج وإقامة العدل ولو على أنفسهم، كما تؤخذ الصدقات من أوسط أموال ذوي اليسار منهم وتوزيعها على الفقراء بحسب ما فرض الله ورسوله في أموال المسلمين كما في قوله: (وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة... الخ) حسب ما جاء في رسالته «عليه السلام».

وهذه هي الدلالات الإعلامية المستنبطة من كتابه «عليه السلام» إلى مجوس هجر:

- ١ — التأكيد على شعار الإسلام السامي كما في قوله (لا إله إلا الله).
- ٢ — نبوة ورسالة محمد «عليه السلام» الواضحة بالرسالة.
- ٣ — توجيههم إلى بعض شعائر وتعليمات الإسلام كما في قوله «واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا إذا قاموا بها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين».
- ٤ — أن من يرفض اتباع تعاليم الإسلام فإن عليه الجزية كما ورد في قوله «ومن أبى فعليه الجزية».

٥ — من يرفض اعتناق الإسلام أو دفع الجزية فعليه الحرب كما ورد في قوله «ومن أبى فليأذن بحرب من الله ورسوله».

فالدلالات الإعلامية التي استنبطت من رسائله «عليه السلام» تؤكد حرص الرسول «عليه السلام» على التأكيد على وحدانية الله ورسالته وتعاليمه إلى الشعوب التي دعاها فمن قبلها فله ما للمسلمين، ويضمن بذلك الأمن والسلام في الدنيا، والنعيم في الآخرة، ومن أبى فلا إكراه عليه ولا إجبار على اعتناق الإسلام، ولكنه مادام في حظيرة الإسلام فعليه دفع جزية مقررّة بسيطة في سبيل حفظ دمه وماله. ومن لم يقبل اعتناق الإسلام أو دفع الجزية، فليأذن بحرب من الله ورسوله. وهنا يتجلى تسامح الدين الإسلامي بعدم إكراه الناس على اعتناقه كما كان يفعل أصحاب الديانات الأخرى في حالة انتصارها حيث كانت تبطش وتقضي على الحرث والنسل وتجبر من يبقى على اعتناق عقيدتها مهما كانت خالية من كل إنسانية، كما حدث حين أرغم ذو نواس الحميري الناس على اعتناق اليهودية، وقتل من رفض ذلك كما في قصة أصحاب الأخدود.. قال

تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ
بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ (١).

(١) سورة البروج — الآيات : ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨.

المبحث الثاني

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي ملك اليمامة

وهذا نص الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك» (٣).

(١) هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل وهو صاحب اليمامة بنجد وشاعر قومه وخطيبهم قبيل الإسلام وهو من أهل كران وهي قرية من قرى اليمامة وأهل هذه القرية أفصح بني حنيفة وكان هوزة يتردد على كسرى في المهمات وسَمِي «ذو التاج» وقيل إنه عندما دخل على كسرى أعجب به ودعا بعقد من در فقعه على رأسه لذلك سَمِي «ذو التاج» وقال المبرد في الكامل كان هوزة ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبهاً بالملوك ونقل عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: (لم يتوج أحد في الجاهلية من بني معد وإنما كانت التيجان لليمن) وقد أسره بنو تميم ففدا نفسه. انظر: الزركلي في الأعلام، ج٨، ص ١٠١. وقد أشار الإمام الكازوني في مخطوطة السيرة النبوية الشريفة ج١، ص ٢٣٤ في تعريفه لهوزة ذكر أنه كان من الملوك العقلاء إلا أن التوفيق عزيز (المعنى أنه لم يسلم).

ولقد شاركه في حكم اليمامة ثمامة بن أثال حيث بعث إليهما رسول الله ﷺ سليط بن عمرو سنة ست أو سبع من الهجرة (السيرة النبوية لابن هشام، ج٤، ص ٣١٤، ص ٣١٥، ٣١٦، يروى أن ثمامة أول من دخل مكة ملياً عند اعتماره وقال للرسول عند مقابلته له للمرة الأولى (لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ) ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إليّ).

(٢) اليمامة هي معدودة من نجد، ونجد تقع في جنوب بادية الشام وتشتمل على وسط جزيرة العرب بين الحجاز والأحساء. انظر تاريخ العرب العام لسيدى ترجمة عادل زعير ص ٢٠ وقد أشار ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤١، ص ٤٤٢ أن بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وتسمى اليمامة جوى والعروض بفتح العين وكانت تسمى قديماً جوى وسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسوم (زرقاء اليمامة). وزرقاء اليمامة لقب اشتهرت به خلال العصر الجاهلي امرأة نجدية من أهل اليمامة ضرب بها المثل في حدة البصر. انظر: أحمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة، ٢م، ص ٩٥٢.

(٣) الإمام أحمد القسطلاني مخطوطة المواهب اللدنية، ح ٣، ٢٤٢٤ الكاتب محمد نور الدين، مكتبة الحرم النبوي الشريف المدينة المنورة ورقة ٣٨٠، وفي صبح الأعشى للقلقشندي ج٦، ص ٣٧٩ لم يذكر البسمة وذكر يدك بدلاً من يدك ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ١٢٣. وانظر: زاد المعاد لابن الجوزي ص ٦٣، ج٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مبعوث النبي ﷺ هو سليط بن عمرو^(١) الذي قدم على هوزة بن علي الذي أنزله وحياه، وبعد أن سلمه الرسالة ألقى بين يديه البيان الإعلامي الإسلامي التالي: (إنما السيد من منع بالإيمان ثم زود التقوى، وإن قوماً سعدوا برأيك فلا تشق به، وأني آمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت فلك ما رجوت، وأمنت ماخفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء، وهول المطلع)^(٢).

فقال هوزة (ياسليط سودنى من لوسودك^(٣)) شرفت به قد كان لي رأي اخترت به الأمور ففقدته، فموضعه من قلبي هواء، فاجعل لي فسحة يرجع إليّ رأيي فأجيبك به إن شاء الله^(٤).

وبعد أن أصغى هوزة إلى البلاغ الإعلامي الشامل الذي أفصح به المبعوث الإسلامي الإعلامي، وبعد أن تليت عليه رسالة الرسول ﷺ طلب فسحة من الوقت للتفكير والتشاور بقوله: (فاجعل لي فسحة يرجع إليّ رأيي فأجيبك به إن شاء الله).

وتمخض تفكيره ووزنه للأمور وعلمه بالدين وصاحب الدعوة وما يدعو إليه كتب إلى النبي ﷺ (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك)^(٥).

ومما يؤسف له أن هذا الملك اشترط لإسلامه شرطاً دنيوياً بحثاً ينم عن حبه للمادة أكثر من الغذاء الروحي الذي يملأ القلب إيماناً وأماناً وقناعة، كما جاء في تهديده حيث قال: (إن جعل الأمر لي بعده سرت إليه وأسلمت ونصرت وإلا قصدت حربه)^(٦).

(١) سليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي. انظر: تاريخ ابن خلدون ج٢، ص ٤٤٩ وأيضاً أسد الغابة لابن الأثير ج٢، ص ٣٤٤ حيث قال إنه هاجر إلى الحبشة وشهد بدرأ.

(٢) الإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي: الروض الأنف، ط١، ج٦، ص ٥٩٠.

(٣) سؤد: لغة من ساد يسود سؤدداً وسيدودة فهو سيد والمعنى أجله وعظمه. انظر: ابن منظور لسان العرب، ج٢، ص ٢٣٦.

(٤) الإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي، الروض الأنف، ط١، ج٦، ص ٥٩٠، ٥٩١.

(٥) أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الوفا بأحوال المصطفى، ج٢، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٦هـ ص ٧٣٨. وانظر ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ٢٦٢. وانظر: مخطوطة المواهب اللدنية

للقسطلاني ح ٣، ص ٣٨٠، عام رقم ٢٤٢ مكتبة الحرم النبوي الشريف.

(٦) زين الدين عمر بن الوردي: تمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ١٣٨٩هـ، بيروت، دار المعارف.

ورغم سوء قصده في شرطه إلا أنه أجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر
فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره وقرأ النبي كتابه ^(١) وقال: (لو سألتني سبابة من
الأرض ما فعلت. باد وباد ما في يديه) ^(٢) فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه
مات ^(٣).

وقد ذكر أن هوزة بن علي قد أرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيه مجاعة بن مرارة ^(٤)
والرَّجَال بن عنفوة ^(٥). أما مجاعة والرَّجَال فقد اعتنقا الإسلام، ومكث الرَّجَال عند رسول
الله حتى قرأ سورة البقرة وغيرها، وتفقه ثم رجع إلى اليمامة، وارتد وشهد أن رسول الله
أشرك مسيلمة معه، وكانت فتنته أشد من فتنه مسيلمة ^(٦). ولقد ذكر أن أركون دمشقي ^(٧)
كان عند هوزة فسأله عن النبي ﷺ فقال جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه،
قال الأركون لم لاتجيب..؟ فقال ضننت بديني وأنا ملك قومي ولكن اتبعته لم أملك.
قال: بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وإن الخيرة لك في اتباعه.

وأنه النبي ﷺ العربي الذي بشر به عيسى بن مريم وأنه لمكتوب عندنا في الإنجيل
«محمد رسول الله» ^(٨).

ونستشف من رسالة الهداية إلى مملكة اليمامة الدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له
ونبذ العقائد الأخرى المخالفة، والإعلام بانتصار هذا الدين، وأنه سوف يغطي أرجاء العالم

(١) ابن الجوزي: زاد المعاد، ج٣، ص ٦٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٤) هو من أشراف بني حنيفة وهو الذي صالح خالد بن الوليد بعد مقتل مسيلمة. انظر: ابن خلدون، ج٢، ص ٥٠٣. وانظر: الأعلام للزركلي ج٤، ص ٢٧٧ الذي ذكر أنه صحابي وكان بليغاً حكيماً من رؤساء قومه في اليمامة أقطعته النبي أرضاً، وتزوج خالد ابنته.

(٥) هو من أشراف بني حنيفة شهد لمسيلمة بأن رسول الله ﷺ أشركه معه في الأمر لأن الرِّجَال قد هاجر وأقام مع النبي وقرأ القرآن وتفقه في الإسلام فلما ارتد مسيلمة بعث الرسول ﷺ الرِّجَال معلماً لأهل اليمامة ومشوشاً على مسيلمة إلا أن فتنته كانت أشد من فتنه مسيلمة وكان يؤذن لمسيلمة ويشهد برسائله وكان مستشاراً لمسيلمة وقد قتل على يد زيد بن الخطاب. انظر: ابن خلدون، ج٢، ص ٥٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢١٥.

(٧) هو عظيم من عظماء النصارى. انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس، ج٢، ص ٢٧٠.

(٨) ابن القيم الجوزي. زاد المعاد ص ٦٣ - ح٣

لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَنْعَمْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاءَ آخَرَفَتَكُمْ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾^(٢).

ولعل لتفضيل النبي ﷺ أسلوب الاتصال الشخصي في الدعوة حكمة مقررّة، وهي تحقيق الإيجابية الإعلامية، وإقامة العلاقات الحميمة بين المرسل والمستقبل^(٣)، قال تعالى: ﴿فِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤) وأن هدف الرسول ﷺ من بعث حامل الرسالة ليستطيع رسوله أن يدعو إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بدين الإسلام، وبه يقترن الإعلام التدويني بالإعلام الشفهي الشخصي، وصولاً إلى الهدف المنشود.

ولقد تمثل ذلك في البيان الإعلامي الذي أدلى به المبشر للدعوة من قبل صاحب الدعوة «ﷺ» إلى ملك اليمامة وشعبه. ومن الواضح أن ما نتج عن رسالة الدعوة وما شرحه تفصيلاً حاملها هو استماع الملك إليه وإكرامه، وحسن استقباله، وإغداق الهدايا عليه لاقتناعه المشروط. وإرساله وفداً على مستوى عالٍ إلى النبي الكريم وما دارين ملك اليمامة وأركون دمشق الذي سبق سرده، وإسلام أعضاء الوفد اليمامي وهم من أشرف القوم وتفقه بعضهم في الدين كما سبق وأن ذكر وعودتهم معترفين بدين محمد ﷺ. لدليل على أن هذه الرسالة قد أدت إلى مناقشات فردية وجماعية بين أهل اليمامة بعضهم بعضاً والذي أدى في النهاية إلى اعتناق الإسلام ولاسيما أن شريك هودة في الحكم وهو ثمامة بن آثال الذي اعتنق الإسلام عن قناعة وإيمان ثم تحمسه لهذا الدين حيث أنه منع الميرة عن أهل مكة^(٥) أعداء الإسلام.

ومن الدلالات الإعلامية لهذه الرسالة:

أولاً: الإعلام بشعار الإسلام وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» كما هو متبع عند كتابة الرسول ﷺ للرسائل إلى الملوك والحكام والقادة وغيرهم للدعوة للإسلام وهو أمر

(١) سورة الحج — الآية ٦٢.

(٢) سورة الشعراء — الآية ٢١٣.

(٣) الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي «المرحلة الشفهية» ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ٥٢.

(٤) سورة آل عمران — الآية ١٥٨.

(٥) انظر: ابن هشام. السيرة النبوية، ج٤، ص ٣١٦، ص ٣١٧.

أوحى به الله إلى نبيه في قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ^(١) لأنه يتضمن معاني الرحمة وحالاتها التي تقرر العلاقة بين الله والعباد ^(٢).

ثانياً: اشعارهم بنبوته «ﷺ» وأنه مبعوث للناس كافة بدين التوحيد. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسُ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِلَهُكُمُ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(٣).

ثالثاً: التحية وفيها احتياط خشية أن تكون حقاً للكافر على المسلم كما في قوله (سلام على من اتبع الهدى) لأن السلام هو تحية من أنعم الله عليهم بالإسلام فتحيتهم في الجنة سلام قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ^(٤).

رابعاً: إفهام الملك أن دين محمد «ﷺ» (الإسلام) سيصل إلى كل البقاع التي تستطيع وسائل النقل في ذلك الوقت أن تصل إليها ^(٥) كما في قوله «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر».

خامساً: دعوته إلى الإسلام صراحة لأن فيه السلامة له وأنه في حالة عدم إسلامه سيعرض نفسه إلى عكس ذلك كقوله «فأسلم تسلم».

سادساً: أنه بدخوله الإسلام سوف يحتفظ بملكه ولا يتعرض إلى ما يعكر صفو حياته.

سابعاً: عدم رغبة الرسول «ﷺ» من وراء الدعوة الحصول على مراكز دنيوية أو أي سلطة كقوله «وأجعل لك ما تحت يديك».

وهكذا تتجلى أهداف الإسلام السامية لدعوة الناس لعبادة خالق الناس وحده لاشريك له وتخليصهم من عبادة الشرك التي جعلتهم في متاهات من الحيرة والضلال.

(١) سورة العلق — الآية ١.

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن، ط ٤، ج ٨، ص ٢١.

(٣) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٤) سورة الواقعة — الآيات : ٢٥، ٢٦.

(٥) أهم وسائل النقل في ذلك الوقت هي الخيل والابل.

وانتشر الإسلام بفضل الله ثم بحكمة صاحب الدعوة «ﷺ» في ربوع اليمامة،
واتضح هذا في تكرار الوفود على الرسول الكريم^(١) بعد عودته من غزوة تبوك.

(١) ابن هشام : سيرة النبي، ج٤، ص ٢٤٤.

المبحث الثالث

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى ملكي عمان

من المعلوم أن رسالة الإسلام التي أنزلت على محمد ﷺ موجهة إلى الناس جميعاً في كل زمان ومكان لإخراجهم من الزيغ والانحراف واتباع الأهواء والشرك إلى الدين القويم، دين الوحداية والرحمة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

والرسول الكريم ﷺ هو المعلم الأمثل الذي اصطفاه الله عز وجل ليكون مبلغاً لهذه الرسالة وشاهداً ومبشراً ونذيراً قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

وذلك لأن دين الحق دين إعلامي يقوم على الإفصاح والبيان^(٧) قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٨) لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ^(٩).

(١) ملكا عمان هما : جيفر وعبد أبناء الجلندی، وجيفر هو الأكبر والمقدم في السن والملك ثم أخوه الأصغر عبد وهو نائبه. انظر : عيون الأثر، جـ٢، ص ٢٦٧، ص ٢٦٨.

وقيل جيفر بن جلندی بن عامر بن جلندی صاحب عمان. انظر : ابن خلدون، جـ٢، ص ٢٢٢. وذكر ابن الأثير أن جيفر بن الجلندی بن المستكبر بن الحراز بن عامر بن عبد العزيز بن معولة بن عثمان. كان رئيس أهل عمان هو وأخوه عبد وأسلما على يد عمرو بن العاص ولم يقدموا على النبي ولم يرياه، وإسلامهما بعد خيبر، جـ١، ص ٣١٣.

(٢) عمان شرقي شبه الجزيرة العربية على خليج عمان ويشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع وحرها يضرب به المثل وقصبة عمان صحار، معجم البلدان، جـ٤، بيروت، ص ١٥٠، ١٥١ لياقوت الحموي.

(٣) سورة الأنبياء — الآية ١٠٧.

(٤) سورة الحجرات — الآية ١٣.

(٥) سورة الفتح — الآية ٨.

(٦) سورة سبأ — الآية ٢٨.

(٧) الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، ص ٥، ص ٩.

(٨) سورة التكوين — الآيات : ٢٧، ٢٨.

ومن وظائف الإعلام الاتصال بالجماعات المؤثرة وهم النخبة، ويتحقق الاتصال بالجماهير من خلال النخبة حيث يمكن الاتصال بها بطريق غير مباشر^(١)، قال تعالى: **مَوْضِعًا اتَّبَعَ الْجُمَاهِيرُ لِلزُّعَمَاءِ ﴿٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَافُ لَنَا كَبِيرًا ﴿٨﴾**^(٢).

لذا كان ملك عمان واحداً من ملوك العالم وحكامه الذين امتدت إليهم الحملة الإعلامية الإسلامية، وتلقى من الرسول ﷺ رسالة يعلمه فيها بأمر الإسلام ويدعوه إلى الله وذلك سنة ثمان من هجرته ﷺ^(٣).

وهذا هو نص الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي^(٤) السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوكم بدعاية الإسلام. أسلما تسلما، فإنني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»^(٥).

وكان أهل عمان من المجوس والقبائل العربية حولها^(٦)، وحامل رسالته ﷺ

(١) الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، ص ١٦.

(٢) سورة الأحزاب — الآيات : ٦٧، ٦٨.

(٣) الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٢.

(٤) الجلندي : هو اسم ملك من ملوك عُمان. انظر : الزركلي : الأعلام، ج١٠، ص ٦٢، وانظر : ابن خلدون ج٢، ص ٢٢٢ بالحاشية أن الجلندي اسم ملك عُمان.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٢٨. وانظر أيضاً : عيون الأثر، م٢، ص ٢٦٧، ص ٢٦٨. وانظر : صبح الأعشى مع عدم ذكر البسملة وسلام على من اتبع الهدى بدلاً من السلام وزيادة (لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) (وعنكما) ج٦، ص ٣٨٠. وانظر عيون الأثر مع زيادة في بعض الألفاظ دون الإخلال بالمعنى، م٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨. وزاد المعاد، ج٣، ص ٦٧.

(٦) انظر : الكامل لابن الأثير، ج٢، ص ٢٧٢.

ومبعوثه الخاص لملك عمان كان الصحابي الكبير عمرو بن العاص^(١) رضي الله عنه. حيث كان النبي ﷺ يختار حملة رسالاته من صفوة أصحابه ليستطيع أن يفصح عن دينه بما عرف من روح رسالته^(٢) ويتضح هذا من المحاوراة التي دارت بين عمرو ونائب الملك (عبد وهو الأصغر) وبين الملك أيضاً عند المقابلة معه.

قال السهيلي:

عندما قدم عمرو بن العاص على الجلندي قال له: يا جلندي إنك وإن كنت منا بعيداً، فإنك من الله غير بعيد، إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك. وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك، واعلم أنه يملك الذي أحياك، ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة فإن كان يريد به أجراً فامنعه، أو يميل به هوى فدعه. ثم انظر فيما يجيء به: هل يشبه ما يجيء به الناس، فإن كان يشبه فسله العيان وتخبر عليه في الخبر، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف ما وعد^(٣).

قال الجلندي: (إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي إنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به. ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد، وينجز الموعد وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله وأشهد أنه نبي)^(٤).

(١) أسلم بعد صلح الحديبية سنة ست وقاد غزوة (ذات السلاسل) سنة ثمان من الهجرة وفتحت مصر على يديه حيث استخلصها من الدولة الرومانية بعد أن أقنع الخليفة عمر بن الخطاب بفتحها. انظر: الموسوعة الذهبية للدكتور إبراهيم عبده ج٢، ص ٢٥٤ وكان من ذوي الرأي الحصيف فقد انتدبه قريش قبل إسلامه للعمل على إعادة المسلمين من الحبشة. انظر: سيرة النبي لابن هشام ج١، ص ٣٥٦. كما انتدبه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ليكون مثله في قضية التحكيم بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. انظر: مروج الذهب، ج٢، ص ٤٠٢.

(٢) الدكتور محمد أحمد البيومي: رسالة دكتوراه، سيدنا محمد في إبداعه الأدبي عام ١٣٨٦هـ، ص ١٠٤.

(٣) الروض الأنف، ج٧، ص ٥٢١.

(٤) المصدر السابق، ويلاحظ أن ابن سيد الناس قد ذكر ذلك في كتابه، ج٢، ص ٢٦٧، ٢٦٨ حيث قال: «قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً فقلت إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيه فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال لي: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عُبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟ فقلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى

وبفضل الله أولاً ثم بوضوح رسالة النبي ﷺ وبالأسلوب الإعلامي المقنع المدعم بالحجج الصادقة الواضحة من قبل مبعوث النبي ﷺ أسلم الملكان (١) بعد أن اقتنعا تماماً بصدق الرسالة النبوية الشريفة حيث أجاب عمرو بن العاص ملك عمان بقوله: (الناس رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدي الله تعالى إياهم أنهم كانوا في ضلال) (٢) وأن المحاورة والاستجابة لما في الكتاب تدل على أن الإسلام قد تغلغل في نفس العربي (٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ وقال تعالى:

هذان الله للإسلام. قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريباً. فسألني : أين كان إسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقره واتبعوه. قال : والأساقفة والرهبان ؟ قلت : نعم. قال : انظر يا عمرو ماتقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من كذب. قلت : ما كذبت وما نستحل في ديننا ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت : بلى. قال : بأي شيء علمت ذلك ؟ قلت : كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين ديناً محدثاً. قال هرقل : رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به. والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال : انظر ماتقول يا عمرو وقلت والله صدقتك.

قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنى وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً. قلت : إنه ان أسلم ملكه يرسل الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. قال : إن هذا الخلق حسن. وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الأبل فقال : يا عمرو تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه ؟ قلت : نعم. فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

هذه المحاورة التي تتم عن عمق التفكير والاستقصاء الدقيق من قبل نائب ملك عُمان (عبد) مع مبعوث الرسول ﷺ عمرو بن العاص الذي أجاب إجابة واضحة وصريحة بحكمة وفهم وإيمان وصدق في القول مما أدى إلى ميل وقبول نائب الملك للإسلام وإقناعه لأخيه الأكبر بقبول الإسلام أيضاً.

(١) انظر : أسد الغابة، ج١، ص ٣١٣.

(٢) انظر : خاتم النبیین، ج٣، ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٤) سورة النحل — الآية ٣٦.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وتوالت رسائل الهداية إلى عمان وما حولها رغبة في إسلام مجوسها وعربها وغيرهم وتحذيراً لهم من مغبة ضلالتهم، وتبنيهم إلى جادة الصواب، وإلزامهم بدفع ما عليهم نظير حمايتهم وذلك لأن الإعلام الصادق هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الواضحة والحقائق الثابتة التي تساعد على الاقتناع باتجاه أو فكر صحيح^(٢).

فكتب رسول الله ﷺ إلى أهل دما^(٣):

نص الرسالة: «من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد: فأقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة، وخطوا المساجد كذا وكذا وإلا غزوتكم^(٤)». قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥).

وهذه رسالة نبوية ثلاثة لأهل عمان والبحرين:

«من محمد النبي رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان، وأسنيدي عمان من كان منهم بالبحرين أنهم إن آمنوا، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون، وإن لهم ما أسلموا عليه غير أن مال بيت النار ثنيا لله ورسوله، وأن عشور التمر صدقة ونصف عشور الحب وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم، وأن لهم على المسلمين مثل ذلك، وأن لهم أرحاءهم يطحنون بها ماشاءوا^(٦)». قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٧).

والله سبحانه وتعالى يرسم لنبيه الكريم الخط الذي يجب أن يتبعه في إبلاغ الدعوة

(١) سورة الجمعة — الآية ٢.

(٢) انظر: الإعلام والدعاية، د. عبداللطيف حمزة، ص ١٩٦.

(٣) دما: بفتح أوله وتخفيف ثانيه وهي بلدة من نواحي عُمان وقيل مدينة تذكر مع دبا كانت من أسواق العرب المشهورة منها أبوشداد. انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦١ لياقوت الحموي.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٢٩.

(٥) سورة الجن، الآية ١٨.

(٦) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٢١.

(٧) سورة الأنعام — الآية ٨٢.

للمشركين وغيرهم ليوضح لهم بطلان عقائدهم أولاً ثم بيان أوجه اختلافهم مع بعضهم وانحرافهم في نفس الوقت قال الله تعالى موجهاً تعليماته لنبيه ﷺ ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (٢) وداعياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴾ (٣).

والذي يمعن النظر بدقة وروية في رسائله ﷺ إلى ملوك عمان وأهل عمان وماحولها يتبين له أنها تتناول مجموعة من الأمور أهمها:

أولاً: الدعوة إلى اعتناق الاسلام حيث أنه دين الوحداية ونبت كل العقائد الأخرى قال تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٤).

ثانياً: الاعتراف برسالة النبي محمد ﷺ وأنه الرسول المبعوث من الله لهداية البشرية إلى دين التوحيد وإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (٥).

ثالثاً: ان اعتناق الإسلام والإقرار برسالة النبي ﷺ سوف يتيح لملكي عمان الاحتفاظ بملكهما وإذا لم يقرأ فسوف يزول ملكهما، وملك من يخالف دعوة الإسلام من أهل عمان وماحولها قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٧).

رابعاً: أمر من الرسول لأهل عمان بوجوب الإقرار بشهادة التوحيد ورسالة النبي مع أداء الزكاة وإقامة المساجد وطاعة الله ورسوله قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٨) وإعطاء حق النبي وأن يسلكوا في عبادتهم

(١) سورة النحل — الآية ٦٤.

(٢) سورة الأحزاب — الآيات : ٤٥ — ٤٦.

(٣) سورة النساء — الآية ١١٦.

(٤) سورة النجم — الآيات : ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٥) سورة الزمر — الآيات : ٥٣ — ٥٤.

(٦) سورة النساء — الآية ٥٩.

مسلك المسلمين في أدائها كقوله: «ونسكوا نسك^(١) المسلمين».

وبذلك سيشملهم الأمن، ويبقى لهم ما كان لهم قبل قبولهم الإسلام ديناً ومحمداً رسولاً.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٣). ونظراً لأهمية إخلاص النحر لله وحده قرنه بالصلاة لأنهما من العبادات البدنية والقلبية.

خامساً: فساد عقيدة عبادة النار ويطانها قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(٤). ولذلك أمر الرسول ﷺ أن تؤزل ملكية بيت النار وما يتعلق به لله ولرسوله لأن الإسلام أبطل هذه العبادات التي أوجدها البشر.

سادساً: إعلامهم بما يجب عليهم من صدقات في التمور والحبوب وأن عليهم نصر ونصح المسلمين ولهم مثل ذلك على المسلمين وترك لهم حرية التصرف في أرحائهم. ورسائل الرسول ﷺ الإعلامية المتكررة للدعوة الإسلامية لملكي وشعب عمان من الوضوح وقوة الحجة المدعمة بقوة المسلمين المنطلقين لنشر الدعوة والقضاء على المعارضين لإيصالها لمن يرغبون فيها من الناس، ولما امتاز به حامل الرسالة من حسن المحاورة والإقناع فقد أسلم ملكا عمان وغيرهم قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٥).

وملكا عمان والملأ الذين كاتبهم الرسول هم النخبة المؤثرة في جماهير عمان وما حولها، وإسلام هؤلاء دليل صريح على نجاح رسائل النبي الإعلامية في تلك الناحية، وكان من نتائج ذلك أن أخذ الناس يتساءلون عن هذا الدين الجديد وسماحته ومعرفة هذه العقيدة الجديدة التي حطت من شأن تلك العقائد الباطلة وبذلك فإنه كان للوسيلة الإعلامية الناجحة التي استخدمها الرسول ﷺ لتبليغ دعوة الإسلام (وهي ذلك

(١) نسك : ذبيحة.

(٢) سورة البقرة — الآية ١٢٨.

(٣) سورة الكوثر — الآية ٢

(٤) سورة يونس — الآية ١٨.

(٥) سورة الاسراء — آية ٥

الصحابي الجليل) أكبر الأثر في تحقيق تلك النتيجة الباهرة.

وكان من نتيجة هذا الجهد الإعلامي المركز أن انضوى شعب عمان بكامله تحت راية الإسلام واعتزوا به وأعز الله بهم الإسلام^(١).

ولا يخفى أن الرسائل الإعلامية في تلك المنطقة قد واجهت في البداية بعض المعارضين «خاصة» من المجوس وبعض الأغنياء، وهم الزمرة التي تعارض الرسل والمصلحين في كل الأزمنة. فكان لابد من إزالة العقبات وتطهير الطريق أمام الإسلام لأن الإعلام الإسلامي وسيلة لتوجيه كافة الناس على اختلافهم إلى حقائق الإسلام. يقول العليم الخبير مخاطباً رسوله الكريم: ﴿قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢).

وملكا عمان والقبائل المتواجدة هناك عرب يعقلون ويفهمون جلياً ما دعاهم إليه النبي العربي. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

ويمكن أن نستخلص من الرسائل النبوية لملكي عمان وما حولها (سواء أكانوا بها أم بالبحرين) الدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: «بسم الله الرحمن الرحيم» و (لا إله إلا الله) من مبادئ التوحيد الإسلامي المعلنة دائماً والمبطللة لكل عقيدة تخالف ذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٤) فالله سبحانه وتعالى عدل ولا ظلم في رحابه أبداً إنه، (الرحمن الرحيم) ورحمته أحاطت بكل شيء، فالتوجه إلى الله بالرجاء في الضراء وبالحمد في السراء تجعل المؤمنين يتحررون من خوف الفقر، وعبودية المناصب، ورهبة السلطان، وأن حياتهم الفانية متصلة بالله العليّ القدير.

ولقد أثبت القرآن الكريم وكل المرسلين وجود الله ووحدانيته المطلقة وذلك لأن

(١) عبدالله السحيباني: السياسة الخارجية للدولة الإسلامية — رسالة ماجستير ص ٢٣٠.

(٢) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٣) سورة يوسف — الآية ٢.

(٤) سورة النمل — الآية ٣٠.

عملية انتظام المخلوقات في طابع واحد يؤكد أن موجدتها واحد^(١)، قال تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ يَمَآخُلِقُ وَلَمَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٣).

ثانياً: الإعلام بشخصيته الشريفة ﷺ بأنه النبي المرسل من عند الله للناس كافة لهديتهم والإقرار بذلك كقوله من (محمد رسول الله) وقوله (فإني رسول الله إلى الناس كافة) وقوله (من محمد النبي رسول الله) وذلك لإعلامهم بأنه النبي المبعوث من عند الله للناس كافة لكي يؤمنوا برسالته، والإقرار بنبوته، وهذا مطلوب منهم لأنهم عرب، والعرب هم المكلفون بنشر رسالة التوحيد.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٤). وأمر الله رسوله الكريم أن يعلم الناس بأنه مرسل من عند الله جل شأنه: ﴿قُلْ يَتَايَبَةُ النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٥) وقال جل شأنه مؤكداً أن محمداً هو النبي المرسل: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(٦).

ثالثاً: السلام على من اتبع الهدى هي التحية التي ألقاها الرسول الكريم على ملكي عمان لأن السلام هو تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب. يقول الرسول الكريم: «ألا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، وإذا تحاببتم دخلتم الجنة، أفشوا السلام بينكم» والرسول في تحيته لم يجعلها على إطلاقها بل هناك تحفظ، فجعل التحية والسلام على من اتبع الهدى.

رابعاً: قوله: (أدعوكمَا بدعاية الإسلام. أسلما تسلما). شرح عصب العقيدة الإسلامية وهي عقيدة التوحيد لأن الإسلام هو العقيدة التي ارتضاها الله لعباده أجمعين

(١) الدعوة الإسلامية، الدكتور أحمد غلوش، ص ٣٢، ص ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون — الآية ٩١.

(٣) سورة طه — الآية ٩٨.

(٤) سورة آل عمران — الآية ١١٠.

(٥) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٦) سورة الأعراف — الآية ١٥٧.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(١)
 فالإسلام طريق السلام، والأمن في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة.
 فالله سبحانه أضاف دعوة الحق إلى نفسه ونسبها إليه فقال سبحانه: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾^(٢).

خامساً: قوله وتظهر نبوته «على ملككما» إيمان الرسول ﷺ أن رسالته ستنتصر وتظهر على الديانات الأخرى وتغطي شبه جزيرة العرب ومن ضمنها عمان. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).
 وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٤).

سادساً: قوله في رسالتيه : إلى أهل دما.. وإلى أهل عمان.
 بدأت الحملة الإعلامية النبوية تشق طريقها إلى الشعب ولم تقتصر على الملوك وهذه حكمة من صاحب الدعوة لإيصالها لكل الناس كما أمره الله بذلك: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٥). وقال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٦).

سابعاً: قوله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» و «خطوا المساجد» و «انسكوا نسك المسلمين» وهذه تعليمات إسلامية لإقامة العبادات المطلوبة من المسلم. وكيفية أداء الزكاة من الثمر والحبوب وكذلك الذبح وهو النسك لأن أي شيء يصرف لغير الله فهو شرك.

ثامناً: إلغاء بيوت عبادة المجوس (وهي بيوت النار)، وإقامة المساجد كقوله: «وخطوا المساجد».

(١) سورة آل عمران — الآية ٨٥.

(٢) سورة الرعد — الآية ١٤.

(٣) سورة الصف — الآية ٩.

(٤) سورة الفتح — الآية ٢٩.

(٥) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٦) سورة الحجرات — الآية ١٣.

تاسعاً: الأمان والسلام لمن أسلم ولا يضارون في أملاكهم ولهم حرية التصرف في أرحائهم.

وهكذا فإن الإسلام لا يسعى إلا لتحقيق هدف واحد أسمى وهو صرف العبادة لله وحده والتصديق برسالة نبيه محمد ﷺ، أما الماديات الأخرى من أملاك وغيرها فلا ينظر إليها إلا من ناحية فائدتها للإنسان فيتركها لأصحابها. وهذا التصرف يخالف ماكانت تقوم به الدول الغالبة كالرومان والفرس الذين لايهمهم عند الانتصار والغلبة إلا القتل والسبي والاستيلاء على الأموال والذراري.

المبحث الرابع

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى ملوك اليمن^(٢)

بعث عليه الصلاة والسلام برسائل يصح لنا أن نصفها بأنها إعلامية لإعلام الناس وإبلاغهم عقيدة التوحيد، فقد بعث بهذه الرسائل إلى ملوك حمير واليمن لعلمه «ﷺ»

(١) استطاع سيف بن ذي يزن بن عفير أحد سلالة ملوك حمير بمساعدة الفرس أن يحرر أرض اليمن من الأحباش وبعد ذلك تولى أمر اليمن من قبل كسرى فارس ووفدت إليه وفود العرب ومن ضمنها وفد مكة بزعامة عبدالمطلب بن هاشم جد النبي «ﷺ» مهتة لخلاص اليمن من استعمار الأحباش وتولية سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، وبعد موت سيف بن ذي يزن تولى الأمر المرزيان وهرز الفارسي ثم التيجان بن كسرى ثم خسرو بن التيجان ثم باذان، وقد بقي الأخير حتى جاءت البعثة المحمدية. انظر : أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٦٠، ١٦١.. وقيل إن اسم باذان هو باذان بن سامان من ولد بهرام. انظر : الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية، ج١، ص ٣٨٤.

وذكر أن كسرى بعث باذان إلى اليمن نائباً عنه حيث بقي إلى البعثة المحمدية وكان آخر من قدم اليمن من ولاة العجم. انظر : المعلم البستاني، دائرة المعارف، ج٥، ص ٤٢.

ملوك اليمن : الحارث، ومسروح، ونعيم بن كلال من حمير. انظر الدكتور محمد حميد الله مجموعة الوثائق، ص ١٧٩. وكذلك ذكر الإمام الكاظمي في مخطوطة السيرة النبوية ١٢، ص ٢٦١ كتاب ملوك حمير وذكر نفس المرجع أن الرسول بعث جرير بن عبدالله الجبلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع فأسلم وأسلمت امرأته، ص ٢٧٢، كما بعثه إلى ذي رعين وذي ظلم باليمن. انظر : تاريخ الفكر الإسلامي للأستاذ أحمد حسين شرف الدين، ص ١٧.

(٢) اليمن : تقع بين عُمان إلى حدود المملكة حالياً ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٥، ص ٤٤٧. وانظر : صفة جزيرة العرب للهمذاني، ص ٦٥. وعرفت اليمن عبر تاريخها بالعربية السعيدة لاشتقاق اسمها (من اليمن) وهو الرفاه والبركة علماً أن أهل اليمن يتنسبون إلى يعرب بن قحطان. انظر : اليمن عبر التاريخ للأستاذ أحمد حسين شرف الدين، ص ١٤ وفي الجاهلية قامت على أرض اليمن أقدم الحضارات معين وسبأ وحمير وأنه لأهمية موقعها في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وتعتبر حلقة اتصال بين الهند وماحولها من بلاد شرق آسيا من جهة، وبين الحبشة والصومال وما جاورهما من أقاليم شرق أفريقيا ثم بين بلاد البحر الأحمر والبلاد المطلة على البحر المتوسط وبذلك فقد كانت ملتقى القوافل والسفن التجارية القادمة من الامبراطورية الرومانية والحبشة وفارس والهند والصين وغيرها وقد قيل إن اليمن والشام والعراق ومصر كالرأس للظائر والجناحين والذنب، فالرأس الشام والجناحين العراق ومصر. والذنب اليمن وقيل العكس. انظر غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ص ٣، ٤، ٥.

بأن الكبار إذا آمنوا به وصدقوا برسالته تبعهم العامة في ذلك. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى وجود عدة عقائد باليمن في ذلك العهد منها: الوثنية وهي الديانة القديمة، واليهودية التي وفدت إليها عام ٧٠م من فلسطين بعد تدمير الإمبراطور الروماني (تيتوس) هيكل سليمان. وقد اعتنق ديانة اليهود ذو نواس الحميري وهو آخر الملوك الكبار لدولة حمير وهو أيضاً الذي أوقع بنصاري نجران^(١)، وقصة الأخدود في القرآن مشهورة حيث خير النصاري بين الرجوع عن دينهم أو إلقائهم في الأخدود لحرقهم. وكذلك الديانة النصرانية التي قويت عندما استولى الأحباش على اليمن بقيادة أرياط^(٢) انتقاماً من الملك اليهودي (ذي نواس) ودخلت إليها المجوسية عند انتصار سيف بن ذي يزن واندحار الأحباش عام ٥٩٩م بمساعدة الفرس^(٣) الذين بقوا فيه وكان آخر ولاية اليمن منهم - باذان - حتى جاءت البعثة الإسلامية. علماً بأن كسرى مزق كتاب النبي ﷺ الذي بعثه إليه جهلاً وجبروتاً وطمعاً ولم يلتفت إليه البتة، بل طلب من نائبه أو عامله على اليمن وهو باذان أن يبعث إلى الرسول لإحضاره إليه فبعث باذان رجلين أحدهما خرخره^(٤) والثاني بانويه وكان حاسباً كاتباً بكتاب فارس وقال باذان لبانويه: اختبر الرجل وعرفني بأمره^(٥) (يعني الرسول) فلما قابلا الرسول ﷺ وأبلغهما بما روعهما وأذهلهما وهو أن ملكهما (كسرى) قد اغتيل من قبل ابنه شيرويه^(٦). قالوا للرسول: هل تدري ماتقول...؟ يحذرانه عاقبة ذلك القول فقال ﷺ وهو الواثق مما يقول والصادق بما ينطق ويحدث لمبعوثي باذان محملاً إياهما رسالة شفوية إعلامية إسلامية لسيدهما عامل كسرى حيث قال الرسول ﷺ لهما (اذهبا وأخبراه بذلك عني^(٧)) وقولا إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى وإن أسلمت أعطيتك ماتحت يدك وملكك على قومك من الأبناء^(٨). فلما عاد المبعوثان لباذان

(١) انظر: اليمن عبر التاريخ، ص ١٥٨ لأحمد حسين شرف الدين.

(٢) الطبقات الكبرى، ج١، ص ٩١.

(٣) انظر: اليمن عبر التاريخ، ص ١٦٠ لأحمد حسين شرف الدين.

(٤) زين الدين عمر بن الورد، تنمة المختصر في أخبار البشر، ص ٩٥ وقيل خرخرة.

(٥) عبدالرحمن بن خلدون. انظر: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٤٥٢.

(٦) هو قباد بن كسرى أبرويز بن هرمز أنوشروان أحد ملوك الدولة الرابعة الساسانية من الفرس، خلع والده ثم قتله

وكان ملكه ثمانية أشهر. انظر: المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج١، ص ٦٥٤.

(٧) يعني قتل شيرويه لوالده الطاغية كسرى.

(٨) تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٢٢٦.

وأخبراه الخبر قال والله ما هذا كلام ملك وإني لأراه نبياً ولننظرن فإن كان ما قال حقاً فإنه لنبي مرسل ولن يسبقني أحد من الملوك إلى الإيمان به^(١)، وإن لم يكن ففري فيه رأينا^(٢). وقد قال بانويه مبعوث باذان لبازان ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه فقال له باذان ليتأكد من أنه نبي وليس ملكاً. هل معه شرط...؟ قال لا^(٣) فلما تسلم باذان رسالة شيرويه قال إن هذا الرجل «يعني الرسول» رسول فأسلم وأسلم، الأبناء معه (من فارس ومن كان منهم باليمن)^(٤). قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

فبعث باذان بإسلامه وإسلام من أسلم معه إلى رسول الله فرضي الرسول ﷺ عنهم وأقره عليهم^(٦) ويعتبر باذان أول أمير في الإسلام على اليمن وكذلك أول من أسلم من ملوك العجم^(٧).

وقد جمع الرسول ﷺ لبازان أعمال اليمن كلها وأمره على جميع مخاليفها وبقي عاملاً لرسول الله طوال أيام حياته ولم يعزله عن الولاية ولا عن أي شيء، ولم يشرك معه فيها أحداً حتى مات باذان.

إن رسالة الرسول ﷺ الإعلامية لبازان وإسلامه ومعه أتباعه من الفرس إيماناً منه بصدق نبوة النبي ﷺ واقتناعاً منه عن تجربة ويقين لأمر له خطره الإعلامي في اليمن، وحادث له صدها الواسع بتلك البلاد، ولو أمعنا النظر في مضمون الرسالة النبوية الشفهية لبازان التي بلغها إياها مبعوثاه ﷺ لوجدنا أنها تشتمل على عدة أمور أهمها:

أولاً: ثقة النبي ﷺ بصدق رسالته وقوة إيمانه بما يقول حيث خاطب مبعوثي نائب

(١) الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٢٤، محمد بن علي الأكوخ الحولاني.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ص ٢١٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، الإمام الطبري، ج ٢، ص ٩١.

(٤) محمد رضا : محمد رسول الله، ص ٢٦٨، ويقصد «وأسلمت الأبناء معه» أي أبناء ملوك اليمن السابقين.

(٥) سورة الأنعام — الآية ١٢٥.

(٦) الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٢٤.

(٧) أحمد القسطلاني : مخطوطة المواهب اللدنية، رقم ٣٠١، ج ١، ٢٤٢ خ في عام ١٠١٢، مكتبة الحرم

النبي الشريف، المدينة المنورة.

كسرى بكل صدق وإيمان موضحاً لهما أن ربه أكبر وأعظم من ربهما كسرى عندما قال: «إن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاري» وذلك عندما رأى مبعوثي كسرى قد أعفيا لحيتهما وشواربهما (١).

ثانياً: علمه «ﷺ» بوحى من السماء عن لحظة وتاريخ اغتيال كسرى من قبل ابنه شيرويه قبل أن يصل الخبر إلى أحد داخل شبه الجزيرة العربية ثم إعلامه لمبعوثي باذان بذلك عند مقابلتهما له في الموعد الذي حدده لهما وكان الخبر مفاجأة لهما مما أذهلهما حيث قالوا للرسول «أتدري ماتقول»؟. يحذرانه عاقبة ذلك القول فأكد النبي «ﷺ» لهما الخبر وحملهما الرسالة الشفهية بدعوة باذان للإسلام الذي فوجيء بالخبر وجعل إسلامه رهن صدق ماذكر الرسول وفعلاً تأكد له الخبر عند وصول رسالة شيرويه فأسلم باذان وأسلم الكثيرون كما ذكر.

ثالثاً: أن النبي «ﷺ» لا ينطق عن الهوى. قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٣).

رابعاً: إيمان الرسول وثقته بانتشار الإسلام وأنه سيشمل ملك كسرى عندما قال لمبعوثي باذان «وقولا أن ديني وسلطاني يبلغ مابلغ ملك كسرى» (٤).

ونستطيع أن نستنبط من تلك الرسالة الشفهية لبازان الدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: تأكيد نبوة محمد «ﷺ» ورسالته عندما تأكد لبازان اغتيال كسرى من قبل أقرب الناس إليه وهو شيرويه ابنه قال تعالى: مبيناً نهاية الطغاة ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٥).

ثانياً: علم الرسول بانتصار دينه وانتشاره حتى يشمل امبراطورية كسرى حيث قال: «إن ديني وسلطاني يبلغ مابلغ ملك كسرى» قال تعالى: مبيناً أن النصر للرسول وأتباعهم

(١) الوثائق السياسية اليمنية، ط ١، ص ١٢٣.

(٢) سورة يونس — الآية ٢.

(٣) سورة النجم — الآيات : ٣، ٤، ٥.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٥) سورة الدخان — الآية ٤٩.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُفَّارُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (١).

ثالثاً: الدعوة إلى الإسلام لأن في اعتناق باذان الإسلام سيحقق له السلام والأمن وسيبقيه الرسول على مايملك ولنسوف يتحرر من العبادة الباطلة ويوجه عبادته إلى الله سبحانه قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿١٦١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢) وقال مخاطباً رسوله الكريم: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

هذه بعض الدلالات الإعلامية المؤثرة التي من نتائجها أن انتقلت دعوة الإسلام إلى مجالس الناس العامة والخاصة وانتشرت المناقشات بين القبائل وأصبح في اليمن رأي عام حيال صاحب الرسالة وصفته وما يدعو إليه، والمقارنة بين عباداتهم المختلفة وبين الدين الإسلامي. وهذا بدوره هباً النفوس والأذهان لتقبل الدعوة الإسلامية ولم يكتف الرسول الكريم بدعوة باذان وأتباعه فقط وإنما عمم الإسلام على عظماء القبائل في اليمن ورؤسائها من أبناء الملوك السابقين على تبعية اليمن لفارس (٤) وكان لشيوخ القبائل وملوكها وأمرائها الكلمة العليا فيما يراود فعله أو عمله، وحتى وقتنا الحاضر فإن لرؤساء القبائل الكلمة الفصل في معظم الأمور التي تهمهم. وتقديراً من الرسول الكريم لمراكزهم الاجتماعية، وماهم من أثر فعال على أتباعهم فقد كتب لهم داعياً إليهم إلى قبول الإسلام ديناً ونظاماً وبمحمد رسولاً.

وقد شعر أهل اليمن منذ وقت ليس بالقصير بالاضمحلال العقائدي لتضارب عقائدهم المنتشرة وتعددتها من وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية. وبذلك فهم في أشد الحاجة إلى ديانة صافية خالية من الطقوس والخرافات، فكان اعتناقهم للإسلام.

فكتب رسول الله ﷺ إليهم الرسالة التالية:

(١) سورة الصافات — الآيات : ١٧١ — ١٧٣.

(٢) سورة طه — الآيات : ٤٩ ، ٥٠.

(٣) سورة الحج — الآية ٦٧.

(٤) لقد ذكرنا سابقاً أن سيف بن ذي يزن استطاع الانتصار على الأحباش بمؤازرة الفرس وأهل اليمن إلا أن هذا الملك العربي قد اتخذ خدمه من الأحباش الذين مالبتوا أن غدروا به وقتلوه وهربوا واستطاع أصحاب الملك المقتول قتل هؤلاء القتل ولم يملك أهل اليمن أحداً، غير أن أهل كل منطقة ملكوا عليهم رجلاً فكانوا كملوك الطوائف حتى أتى الله بالإسلام. انظر المعارف، ص ٦٣٨، ٦٣٩ لابن قتيبة، ط ٢، القاهرة.

إلى الحارث ومسروح ونعيم أبناء عبد كلال من حمير «سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله وإن الله وحده لا شريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته قالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة عيسى بن الله^(١). وبعث بالكتاب مع رسوله إليهم عياش^(٢) بن أبي ربيعة^(٣). وكما نرى أن الرسول ﷺ يشير إلى العقائد المنتشرة في اليمن وهي اليهودية والنصرانية، وهي عقائد فاسدة بسبب تحريفهم لها عما أراده الخالق لها وما أشار إلى حقيقة الرسولين موسى وعيسى عليهما السلام، وذلك للخلط والإضافات التي أضافها رجال الدين وما أنزل الله بها من سلطان، وكان من نتائج الزيف الذي أدخل على هاتين الديانتين أن دارت حروب طاحنة بين أتباعهما^(٤).

ونستشف من الرسالة النبوية الإعلامية بعض الحقائق التالية:

أولاً: أن ضمان الأمن والسلام يتحقق بالإيمان بالله وحده وبرسالة رسوله ﷺ كما في قوله «سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله».

ثانياً: عدم الشرك بالخالق كما في قوله: «وأن الله وحده لا شريك له».

ثالثاً: بعث الله موسى رسولاً وكذلك خلق عيسى بن مريم بكلمة منه جلّت قدرته. قال

(١) انظر الطبقات الكبرى، م، ص ٢٨٢. وانظر: أيضاً مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ١٧٩ مع نقص (عبد) كلال. وانظر: الوثائق السياسية اليمنية لمحمد بن علي الأكوخ، ص ١٠٣.
(٢) عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وكان إسلام عياش قديماً قيل أن يدخل رسول الله دار الأرقم وهاجر للحبيشة ثم للمدينة وقتل عياش يوم اليرموك وقيل مات بمكة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٤، ص ١٦١.

(٣) انظر: العقد الفريد لأحمد محمد بن عبدربه، ج ٢، ص ٥٠ (وذكر ابن عبدربه الأندلسي في العقد الفريد، ج ٢، ص ٥٠، ٥١ أن الرسول ﷺ قد بعث بالكتاب مع عياش بن أبي ربيعة المخزومي وقال: خذ الكتاب يمينك وادفعه يمينك في أيماهم فهم قائلون لك اقرأ فاقراً ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ فإذا فرغت منها فقل: آمين محمد وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا وقد دحضت ولا كتاب زخرف إلا وذهب نوره ومجّ لونه وهم قارئون، فإذا رطنوا فقد ترجموا فقل: حسن. آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله، فإذا أسلموا، فسلهم قضيتهم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم: وهي الأتّل، قضيب ملمع بياض، وقضيب ذو عجر كأنه من خيزران، والأسود البهيم كأنه من ساسم، أخرج بها فحرقها في سوقهم. مع لونه: درس. تخصروا بها: أي أمسكوها بأيديهم لأنهم كانوا يمسكونها إذا ظهوروا للناس. الأتّل: شجر شبيه بالطرفاء، العجر: العقد الواحدة عجرة. ساسم: شجر أسود أو هو الأبوس.

(٤) انظر: المعارف، عبدالله بن مسلم (ابن قتيبة) ط ٢، ص ٦٣٧.

تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (١).

رابعاً: إن اليهود والنصارى مشركون لأن اليهود يعتقدون أن عزيراً ابن الله والنصارى يعتقدون أن عيسى ابن الله. قال تعالى مبيناً فساد اعتقادهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِي قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قُلْ لَّهُمْ اللَّهُ أَفَنُؤْفَكُونَ﴾ (٢).

وبدراسة الرسالة النبوية بإمعان وتروى يمكن الوقوف على الآثار والدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: الوجدانية للمخالق جل شأنه وصدق رسالة النبي محمد ﷺ وهما من شعائر الإسلام القائمة إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَمَنَاسِكِي وَمَعَايِي وَمِمَّا قَالَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْلَمُوا﴾ (٤) وقال جل شأنه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُوا لِيَافَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٦).

ثانياً: السلام والأمن يتحققان باتباع الإسلام كما في قوله: «سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله» قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧). وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨).

(١) سورة آل عمران — الآية ٤٥.

(٢) سورة التوبة — الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنعام — الآيات: ١٦٢، ١٦٣.

(٤) سورة آل عمران — الآية ١٩.

(٥) سورة الأنعام — الآية ١٤.

(٦) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٧) سورة التوبة — الآية ٧١.

(٨) سورة النحل — الآية ٩٧.

ثالثاً: فضح أكاذيب اليهود والنصارى بادعائهم ألوهية الرسل بقوله: «وأن الله وحده لا شريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته» قال تعالى مبيناً زيف وفساد وشرك عقائد اليهود والنصارى ﴿ اتَّخَذُوا أَسْبَاطَهُمْ آلِهَةً مِثْلَ آلِهَةِ آبَائِهِمْ لَعَلَّ يَأْتِيهِمُ الرِّسَالُ كَمَا جَاءَ آبَاءَهُمْ وَهُمْ يُكْفَرُونَ ﴾ (١) «وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (٢).

وقال تعالى: نافياً ادعاءات اليهود والنصارى ﴿ يَدْعُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونَا لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

رابعاً: وضوح الرسالة النبوية الشريفة مع الإيجاز، وقوة الأسلوب، والحجة في الإقناع، وهي رسالة من نبي عربي إلى ملوك عرب يعرفون أنه من أكبر القبائل وأعزها وطرقت أسماعهم أنباء انتصاراته في غزواته وخاصة على اليهود، كما أن أحد ملوكهم السابقين وهو (تبع) قد آمن برسول الله قبل بعثته بسنين طويلة. (٤)

والأهم من هذا كما رأينا أن نائب كسرى على اليمن وهو باذان قد أسلم وآمن برسالة النبي ﷺ.

ومن خلال دراسة ماجاء في الرسالة النبوية ودلالاتها الإعلامية وحقائقها الإيجابية فقد تحققت النتيجة التالية:

إسلام ملوك اليمن وأتباعهم إيماناً بما جاء به النبي محمد ﷺ فقد أرسلوا إليه رسلاً هم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين (٥) وهمدان ومعاقر (٦) وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرارة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله (٦)، ولم يكتفوا بذلك بل أرسلوا وفودهم للمبايعة على الإسلام

(١) سورة التوبة — الآية ٣١.

(٢) سورة الأنعام — الآية ١٠١.

(٣) انظر: المعارف، ط٢، ص ٦٣١ لاین قتيبة.

(٤) هو الملك، ويقال بل هو الذي دون الملك الأعلى وسمي بذلك لأنه ذو قول أي الذي إذا قال لم يرد أحد قوله.

(٥) الإمام الكاظمي. مخطوطة السيرة النبوية الشريفة عام ١١٤٧ بمكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة، م١، ص ٢٦١ (المعافر: مخلاف واسع وهو ما يسمى اليوم الحجرية).

(٦) سيرة النبي، ج٤، ص ٢٥٨.

والاقرار برسالة النبي ﷺ، ومؤازرته ضد كل المشركين. وقال الرسول عند استقباله لوفد أهل اليمن:

«أتاكم أهل اليمن هم ألين أفئدة وأرق قلوباً. الايمان يمان والحكمة يمانيه»^(١).

وهكذا شمل الاسلام اليمن فاعتزوا بالاسلام وأعز الله بهم الاسلام.

(١) أحمد حسين شرف الدين، تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص ٦.

الفصل الثاني

رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والفتاة
خارج شبه الجزيرة العربية وأشارها الإسلامية

المبحث الأول

المبحث الأول: رسالة الهداية النبوية الإعلامية بدين التوحيد الموجهة إلى هرقل^(١)
امبراطور الروم. أرسل النبي رسالة الإسلام والسلام إلى هرقل مع الصحابي الجليل
دحية بن خليفة الكلبي^(٢).

(١) هو قيصر الروم الامبراطور البيزنطي وكان يحكم امبراطورية واسعة تقاسمت مع الامبراطورية الفارسية العالم المتمدن آنذاك، وحكمت نصف العالم تقريباً، وكان هرقل من أسرة يونانية، ونشأ في قرطاجنة وهو ابن حاكم أفريقيا، ولم يكن هناك شيء يدل على عصاميته ونبوغه أو عبقرية القيادة إلى أن قتل فوقس المغتصب للعرش الامبراطوري الشرعي موريدس سنة ٦٠٢م.

فدعى هرقل، وقام بقتل فوقس وتسلم زمام الحكم والقيادة سنة ٦١٠م. والمملكة في حالة من الضعف والفوضى. ولم يظهر هرقل أي نشاط يذكر في السنوات الأولى من حكمه. وجرى انقلاب في حياته سنة ٦١٦م، حيث تحول هرقل إلى قائد نشط غيور ذو همة عالية واتجه إلى محاربة الدولة الفارسية وهزيمتها حيث توجه إلى بيت المقدس لاعادة الصليب الذي سبق وأن استولى عليه الفارسيون ليفي هرقل بنذره الذي قطعه على نفسه بإعادة الصليب إلى القدس. وفي ذلك الوقت وصلته رسالة النبي ﷺ.

ودام حكم هرقل إحدى وثلاثين سنة. وفي حكمه انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى (انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص ٢٣٦، ٢٣٧، وانظر: الإمام الكازوني في مخطوطة السيرة النبوية، ص ٢٣٠).

(٢) هو من الخزرج، وهم أنصار الرسول ودعوته في المدينة، ودحية ممن اعتنقوا الإسلام مبكراً. وحضر أحداث الدعوة الإسلامية وغزواتها ماعدا غزوة بدر، وبذلك يعتبر أحد أفذاذ خريجي مدرسة الاعلام النبوية في المدينة وهو يتمتع بالميزات التي يطلبها الرسول ﷺ في المبعوث من رجاله. قال ﷺ: (إذا بعثتم إليّ بريداً فاجعلوه جسيماً وسيماً حسن الاسم). ومن أوصاف دحية أنه كان يشبه جبريل عليه السلام في حسنه لأن من صفات السفراء أيضاً تمام العقل وسرعة الفطنة والذكاء حتى لا تقتحمهم العيون ولا تزدرهم الأنظار، والصحابي المذكور له معرفة ببلاد الشام ويقول الأستاذ محمد رضا: (فاختار لذلك الغرض رسله من تجار المسلمين الذين سبق أن رحلوا إلى البلاد التي يريد دعوة ملوكها إلى الإسلام مما يعرفون عاداتهم) ولقد قيل للرسول ﷺ: إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ ﷺ خاتماً من فضة ونقشه بثلاثة أسطر (محمد سطر، رسول سطر، الله سطر) وتقرأ الثلاثة من أسفل إلى أعلى. (انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٣٢٩ وكنز العمال لعلاء الدين الهندي، ج٦، ص ٤٥ ومسند الإمام، ج٤، ص ٢٠٣ ومحمد رسول الله لمحمد رضا) ص ٢٦٢.

«نص الرسالة النبوية الشريفة»

بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فأني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين^(١) (يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله. ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

(١) جمع أريس وهم الخول والأكاريون جاء في لسان العرب لابن منظور. الأرس والأصل والأريس الأكار.. وهنا يتساءل القارئ المتعمق إذا كان المراد من الأريسيين الفلاحين فقد كان كسرى أبرويز امبراطور إيران أحق بأن يحذر من وقوع إثمهم ومسئوليتهم عليه.. لأن طبقة الفلاحين كانت أعظم وأوسع في المملكة الساسانية ولذلك يرجح الشيخ الندوي أن المراد بالأريسيين أتباع آريوس المصري وهو مؤسس فرقة مسيحية كان لها أثر كبير في تاريخ العقائد المسيحية والإصلاح الديني. وآريوس هو الذي نادى بالتوحيد والتمييز بين الخالق والمخلوق وقد نفاه رئيس الكنيسة المصرية البطريرك الكسندر سنة ٣٢١م من كنيسة الإسكندرية وغادر آريوس المدينة ولكن لم ينته النزاع بخروجه.. ودانت بأفكاره طائفة من النصارى اشتهرت بالفرقة الأريسية أو الأريسيين.. وبناء على ما تقدم فمن المرجح المعقول أن النبي ﷺ، إنما عني أو قصد هذه الفرقة بقوله ﷺ: «فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» لأنها هي الفرقة القائمة بالتوحيد النسبي في العالم المسيحي الذي تنزعه الدولة البيزنطية الكبرى التي كان على رأسها القيصر هرقل وجاء في مشكل الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي مؤلف شرح معاني الآثار المشهور فيما نصه (وقد ذكر بعض أهل المعرفة أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأريسية توحده الله وتعترف بعبودية المسيح له) (انظر: السيرة النبوية للشيخ الندوي، ص ٢٤٩ وما بعدها).

(٢) هذا نص الوثيقة الأصلي التي عثر عليها في المملكة الأردنية الهاشمية وقصة العثور على هذه الوثيقة كالاتي: ان الوثيقة الأصلية كانت ضمن وثائق الملك عبدالله بن الحسين بن علي الخاصة التي يعثر بها، وأنه قبل وفاته أهداها للسيدة ناهدة أمان قائلاً لها: إن الوثيقة سوف تكون أماناً لها من الفقر وسوف تعينها على نوائب الدهر، وعوناً على مواجهة المصاعب، وفعلاً هذا ما حصل فقد اهتمت الحكومة الأردنية وعلى رأسها الملك حسين بن طلال بالوثيقة وبعد حصولها عليها دفعها إلى المتحف البريطاني المتخصص حيث قام فريق من العلماء بدراسة علمية تاريخية في ٢٥/ ٦/ ١٩٧٣م وكانت نتيجتها إثبات صحة الوثيقة المرسله من النبي ﷺ إلى هرقل وقد اطلعت بنفسي على الدراسة التي أثبتت أن المواد المستعملة في كتابة الوثيقة من جلد وحبر وأسلوب في الكتابة هي ماكان يستعمل في الكتابات في القرن السابع الميلادي.

ووضعت الدراسة مقارنة مطوّلة بين المعلومات الواردة في الرسالة وما جاء في المراجع والمصادر المختلفة ووجدت مطابقة ما عدا بعض الزيادات أو النقص في بعض كلمات بين وثيقة وأخرى. وهذا لا يخل بالمعنى العام المقصود من الرسالة. ولقد أهداها الملك حسين للشعب الأردني بمناسبة عيد يوبيله الفضي كما كتبت عنها الصحف الأردنية منها «الرأي»، و «الدستور»، وكتب عنها الدكتور صفوان التل*).

* د. صفوان التل: تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الإسلامي، الطبعة الأولى عام

وتتوفر في الرسالة النبوية الإعلامية المتضمنة دعوة الامبراطور هرقل إلى الإسلام عدة عناصر إعلامية منها:

١ — المرسل (المصدر) وهو الرسول محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(١).

فالنظريات الحديثة تقول: إن العلاقات الإنسانية ينبغي أن تبدأ من الداخل وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

ثم تنتهي بالعلاقات العامة مع الخارج هذا طبقاً لما جاء في التنزيل الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) وسار النبي ﷺ في دعوته على هذا المنهج وهو متخصص من قبل خالقه فيما يدعو إليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤). وبذلك فإن محمداً ﷺ يتمتع بصفات وميزات اصطفاها الله جل شأنه ليكون خير رسول لإنقاذ البشرية من وهدتها قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).

٢ — الفكرة (مضمون الرسالة) وتعلق بالدعوة إلى التوحيد واتباع النبي الكريم ﷺ. الذي يهدف إلى نشر السلام والأمن في ربوع العالم ليتجنب ويلات الحروب، ويلاحظ أن الرسول ﷺ لم يضع فكرته بصيغة الأمر أو الاستعلاء على المرسل إليه، فقد ذكر نفسه ﷺ بصيغة الأفراد تواضعاً، وخاطب المرسل إليه وهو هرقل — عظيم الروم ليكون في موضع المسؤولية تجاه المهمة التي أنيطت به وأتاح له الرسول ﷺ فرصة المشاركة في اتخاذ مايناسب تجاه قبول الإسلام عندما قال له: (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)

١٩٨٠م، ص ١٣، وانظر: مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٨١، ومخطوطة السيرة النبوية للإمام الكلاعي، ص ١٦١، وكنز العمال ج٤، ص ٣٨٤، ومكاتيب الرسول للشيخ علي الأحمدي، ص ١٠٥.

(١) سورة آل عمران — الآية ١٤٤.

(٢) سورة الشعراء — الآية ٢١٤.

(٣) سورة سبأ — الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنبياء — الآية ١٠٧.

(٥) سورة القلم — الآية ٤.

كما أمر الله رسوله بقوله: ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(١).

واختار الرسول ﷺ أنجح وسيلة اتصال جماهيرية لبث الدعوة، وتوصيل الفكرة، ألا وهي رسالة الإعلام بدين الإسلام يحملها رسول مؤمن بمهمته والمكلف بها على استعداد لشرح أية نقطة أو استفسار يطلب منه قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(٢) وقال عز من قائل: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣).

وهرفل من أهل الكتاب ويعلم من الكتب المقدسة ورود البشارة بالرسول الكريم ﷺ في قوله: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك لأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)^(٤). ومحمد ﷺ هو المقصود بالبشارة، وهو لا يتكلم من نفسه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ﴾^(٥) وبذلك فإن اتباع النبي العربي واجب على كل البشر، وخاصة أهل الكتاب، لمعرفةهم قبل غيرهم به قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾^(٦) الآية. والله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه أن يعلن للناس كافة البيان الإلهي العام ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(٧). وأهل الكتاب هم أول الناس معرفة برسالة محمد ﷺ ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٨).

(١) سورة العنكبوت — الآية ٤٦.

(٢) سورة النساء — الآية ٥٨.

(٣) سورة آل عمران — الآية ١٠٤.

(٤) إبراهيم خليل أحمد: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ط ١، ص ٢٢.

(٥) سورة النجم — الآية ٥.

(٦) سورة الأعراف — الآية ١٥٧.

(٧) سورة الأعراف — الآية ١٥٨.

(٨) سورة البقرة — الآية ١٤٦.

فأصول الإسلام تتفق مع سائر الدعوات الإلهية التي تتضمن: (التوحيد وإثبات الرسالة. والإسلام هو الإخلاص لله في عبادته حيث أنه ميسر وعلى قدر طاقة البشر وعالميته مقررة بما وضع الله فيه من ميزات لأنه لم يرتبط باسم شخص أو قبيلة كما ارتبطت اليهودية بيهودا وكما ارتبطت المسيحية بالمسيح ولكن الإسلام ارتبط بآمال راودت الناس كافة لتحقيق أملها المنشود وهو السلام الذي يعتبر من العناصر الهامة في الدعوة الإسلامية)^(١).

ومن أجل تحقيق ذلك تكررت نداءات الإسلام إلى البشر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾. والصديق يوسف يقول: (توفني مسلماً) وسليمان عليه السلام يرسل إلى بلقيس (ان لاتعلوا علي واتوني مسلمين) فلما أسلمت بلقيس قالت: (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وإبراهيم (ماكان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً). وبهذا فإن الدين الإسلامي دين شامل لكل الناس.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وبالقرآن خاطب محمد أهل الكتاب منادياً إياهم بأسمى مايفتخرون به وهو الكتاب المقدس (ياأهل الكتاب) وبذلك خاطب النبي ﷺ عقولهم وحرك نفوسهم بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

ومحمد ﷺ على حق فيما يدعو إليه، لأنه ينفذ أوامر الخالق جل شأنه، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

(١) الدكتور أحمد أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، عام ١٣٩٩م، القاهرة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ص ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٢) سورة آل عمران — الآية ٨٥.

(٣) سورة النحل — الآية ١٢٥.

وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾

فالخالق سبحانه وتعالى يأمر نبيه الكريم ﷺ : قل يا محمد لأهل الكتاب هلموا إلى كلمة عدل بيننا وهي أن نوحده الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ (٢).

إن عملية اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً تعني سجود بعضهم لبعض قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَنْبَاءَهُمْ وَرُؤُسَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣).

ومسلمون: تعني خاضعين لله متذللين له بالإفراد بقلوبهم وألسنتهم وهدف الرسول ﷺ من بث الدعوة هو هداية البشرية إلى الإسلام والسلام، ولا يريد من وراء ذلك مركزاً أو سلطاناً دنيوياً (٤) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (٥).

وتهدف التعاليم الإسلامية إلى نقل الناس فكرياً وسلوكياً من عبادة كل الطواغيت إلى عبادة الخالق الواحد الذي ليس له شريك في الملك قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً﴾ (٦).

إذ أن فهم النفس الإنسانية هو المدخل الأساسي أمام الداعية للوصول إلى أعماقها، والتأثير فيها، وتحقيق التغيير المطلوب، الذي بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٧).

(١) سورة المائدة — الآيات : ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة المائدة — الآية ١٧ .

(٣) سورة التوبة — الآية ٣١ .

(٤) جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن، ص ٢١٣ إلى ص ٢١٥ .

(٥) سورة هود — الآية ٢٩ .

(٦) سورة الكهف — الآية ٢٩ .

(٧) سورة الرعد — الآية ١١ .

والرسول «ﷺ» يريد تحقيق الأهداف المرجوة عن طريق الإعلام الدولي الذي يركز على مبدأ الحوار المنطقي والحقائق، للوصول إلى أرضية مشتركة^(١) لتحقيق مصالح الدعوة الإسلامية الإعلامية، وقد توخى النبي «ﷺ» الدقة والموضوعية والصدق في دعوة هرقل للإسلام^(٢).

ومن المعروف إعلامياً أن عملية الاتصال تؤدي غرضها بكفاءة أكبر كلما ارتقت معانيها ومدلولاتها وقلت ألفاظها ومفرداتها، وهذا ينطبق تماماً على رسالة الهداية التي أرسلها الرسول الكريم إلى هرقل، فمفرداتها محدودة وواضحة ومعانيها كثيرة متسعة، فمن المتفق عليه إعلامياً أنه كلما قلت المفردات عد الإعلام ناجحاً. والعكس إذا احتوى الأسلوب^(٣) الاعلامي على العديد من هذه المفردات فإنه يسبب حالة من الظلام القاتم. وهرقل يتوقع انتصار ملك الختان وقرب ظهور نبي آخر الزمان. قام مبعوث الرسول «ﷺ» بدفع الكتاب النبوي إلى عظيم بصرى^(٤) فدفعه عظيم بصرى بدوره إلى هرقل^(٥) وكان هرقل له علم بالملاحم وأخبار النجوم^(٦) ويرى في ملاحمهم أن ملك الختان قد ظهر، ووصلت الرسالة النبوية أثناء تداول امبراطور الروم مع رجال الدين وكبار رجال دولته تفسير الحلم الذي أزعجه وجعله مهموماً وهو ظهور ملك الختان، وأفهمه رجاله أنهم لا يعلمون أمة تختن إلا اليهود وهم تحت حكمه وبإمكانه أن يقضي عليهم ويستريح^(٧). وبينما هم كذلك إذ أحضر إليهم رسول صاحب بصرى رجلاً من العرب قد دفعه إليهم وأعلم الإمبراطور أن الرجل العربي من أهل الشاة والإبل وأنه يحدث عن أمور حدثت ببلاده فسأله عن ذلك فقال الإمبراطور لترجمانه سله

(١) الدكتور أحمد بدر : الإعلام الدولي، ط ١ عام ١٣٩٧هـ، مكتبة غريب بالقاهرة، ص ٩، ١٠، ١١.

(٢) نفس المرجع، ص ١٧.

(٣) الدكتور حسين محمد علي : المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات العامة، ط ١ عام ١٩٧٦م، مكتبة الأنجلو بالقاهرة، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) بصرى في الشام من أعمال دمشق وهي قسبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديماً وهي من مستعمرات ملك الروم كسائر مخاليف الشام. انظر : معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١ وعظيم بصرى هو الحارث بن أبي شمر الغساني الذي دعاه رسول الله إلى الإسلام، انظر مخطوطة المواهب اللدنية للقسطلاني، ص ٣٨٢.

(٥) الإمام مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ط ٢، بيروت عام ١٣٩٢هـ، دار الفكر بيروت، ج ١٢، ص ١٠٣.

(٦) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، ط ١ عام ١٩٧٣م، القاهرة، دار الفكر العربي، ج ٣، ص ١٢٧.

(٧) الإمام الكازوني : مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، ص ٢٣٠.

ما هذا الخبر الذي في بلاده..؟ فأجاب.. العربي أن رجلاً من العرب ومن قريش خرج^(١) يزعم أنه نبي وقد اتبعه قوم وخالفه آخرون، وجرت بينه وبينهم ملاحم.. وأمر هرقل بنزع ثياب العربي فوجده مختوناً فقال هرقل.. هذا الذي رأيت^(٢) ثم دعا صاحب شرطته وقال له قلب لي الشام ظهراً وبطناً حتى تأتي لي برجل من قوم هذا الرجل يعني النبي «ﷺ» فأحضروا له جماعة من غزة وكان فيهم أبو سفيان^(٣). وفي تلك اللحظة أعلن ممثل رسول الله «ﷺ» البيان الإعلامي التالي أمام الحضور:

(يا قيصر، أرسلني إليك من هو خير منك. والذي أرسله هو خير منه ومنك فاسمع بذل ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف قال: هات.. قال هل تعلم أكان المسيح يصلي..؟ قال نعم، قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له.. وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى بن مريم من بعده، وعندك من ذلك آثار من علم، تكفي عن العيان وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا واعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة ويغير النعم)^(٤).

وأمام هذا المؤتمر الحاشد الذي تواجد في مجلس هرقل من عظماء الروم وكبار رجال الدولة والمجموعة العربية بزعامة أبي سفيان قال هرقل لترجمانه: قل للعرب (أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟) قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، قال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا أن يؤثر عني كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم..؟ قلت هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط من قبله..؟ قلت لا قال.. فهل كان من آباءه من ملك..؟ قلت لا.. قال فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون..؟ قلت: بل يزدون قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل

(١) خرج : بعث.

(٢) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، ط ١ عام ١٩٦٦م، بيروت، مكتبة المعارف، ج ٣، ص ٢٦٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٦.

(٤) السهيلي : الروض الأنف، ط ١ عام ١٣٨٧هـ، دار النصر، ج ٧، ص ٥١٦، ٥١٧.

فيه؟ قلت: لا قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه..؟ قلت: نعم قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال فينال منا وننال منه، قال ماذا يأمركم؟ قلت يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباءكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال لترجمانه: قل له سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آباءه (من ملك) فذكرت أن لا فلو كان من آباءه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك (أأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه. فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك. بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به إليه مع دحية إلى عظيم بصرى^(١).

وتدل المحاوراة الصريحة والاستفسارات التي دارت بين هرقل وأبي سفيان على عقلانية ورجاحة عقل خبير بتاريخ الديانات وصفات الأنبياء وسيرهم وأحوال الأمم معهم وسنة الله في أمرهم، وصدقه أبو سفيان كما هي عادة العرب الأقدمين حياء من أن يؤثر عنهم الكذب^(٢).

(١) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ط ١ عام ١٩٦٦م، بيروت، مكتبة المعارف ومكتبة النصر بالرياض، ج ٤، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) السيد أبي الحسن علي الندوي: السيرة النبوية، ص ٢١٦.

وتوفرت لدى هرقل علامات قد علم منها بعث النبي ﷺ وكان يعتقد أنه ملك، ولكن الله تعالى قد آتاه ماهو أسمى وأعظم، وهو النبوة التي تبشر بخير الدنيا والآخرة ومعلومات هرقل قد أثرت في نفسه وجعلته مستعداً لتقبل الحق إذا ما أتاه، والمقدمات السابقة التي كانت خيالية أو ظنية قد مهدت لقبول الحق. ورغب هرقل أن يعرض الأمر على الملأ^(١) من قومه وهم قساوسة الروم وبطارقتها^(٢).

ولذلك جمع عظماء قومه في دار له بجمص وقال: (يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعوا ما قال عيسى بن مريم؟ قالت الروم: وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النبي العربي. قال: فحاصوا حصة حمر الوحش وتناحزوا ورفعوا الصليب^(٣).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ^(٤) كَانَهُمْ حُمُومٌ مُّسْتَفْزِعَةٌ ﴿٥﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٦﴾

وفي رواية السهيلي أن هرقل بعد البيان الذي ألقاه المبعوث الإعلامي بالدين الإسلامي وبين فيه دين الوجدانية قد أخذ الكتاب ووضع على عينه ورأسه وأنه قبله ثم قال لدحية (أما والله ما تركت كتاباً إلا وقرأته ولا عالماً إلا وسألته، فما رأيت إلا خيراً، فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له فأني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ماهو أحسن منه فأرجع عنه، فيضرنى ذلك ولا ينفعني أقم حتى أنظر^(٥).

إلا أن نتيجة المحاورة وما عرضه هرقل على كبار رجال الدولة لم يؤثر فيهم وذلك بسبب تمسكهم بمراكزهم وتعصبهم الأعمى حيث كانوا يعتقدون أن النبوة محصورة في نسل إسحق ولا يمكن أن تكون من نسل إسماعيل، فهم لم يسمعوا إلى كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على محمد ﷺ ليتأكدوا فعلاً من أنه رسول الله وأن نظرتهم الضيقة وتعصبهم العرقي قد أدى إلى كبريائهم وتعنتهم وبقائهم على شركهم. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِيةَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٦).

(١) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، ج٣، ص ١٣٠.

(٢) الدكتور محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية، ط ٣ عام ١٣٨٩هـ، بيروت، دار الإرشاد، ص ٨٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٥٩.

(٤) سورة المدثر — الآيات: ٤٩، ٥٠، ٥١.

(٥) السهيلي: الروض الأنف، ج٧، ص ٥١٧.

(٦) سورة فصلت: الآية ٢٦.

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (١).

وموقف أصحاب هرقل هو موقف يتكرر للأقوام أمثالهم عند ظهور الأنبياء والمرسلين. كما أن الروم كانوا ينظرون إلى العرب نظرة أفل، إضافة إلى أن هرقل نفسه كان ضعيفاً أمام أصحاب الرأي من دولته، نتيجة للحروب المتلاحقة التي أرهقت الدولة بكاملها، حيث أنه خيرهم بين قبول الدعوة المحمدية أو الاتفاق مع المسلمين (٢).

وذكر أن هرقل قد كتب إلى رجل برومية كان عالماً بالعبرانية وذكر له أمر الرسول ﷺ ووصف له شأنه وأخبره بما جاء به فكتب الرجل إلى هرقل أن محمداً هو النبي الذي كنا نتظره لاشك فيه فاتبعه.

وبناءً على ذلك قال هرقل لقومه: (تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده ونعرفه بصفته التي وصف لنا فهل فلنتبعه فتسلم لنا ديانا وآخرتنا). فردوا عليه (نحن نكون تحت أيدي العرب. ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثره رجالاً وأقصاه بلداً؟ قال لهم: أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه؟ قالوا: نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً وأعظمه ملكاً وأمنعه بلداً لا والله لانفعل هذا أبداً قال فهل ف لأصلاحه على أن أعطيه سورية ويدعني وأرض الشام (٣) إلا أنهم رفضوا.

ومن هذا نرى أن كتاب الرسول ﷺ قد أثر في قلب قبصر الروم فنلاحظ من تصرفاته أنه يميل إلى الإسلام. ولكنه مع الأسف اتبع الملاء من قومه فأثر الملك، وبهذا اشترى الضلالة بالهدى فبارت تجارته في الدنيا والآخرة (٤).

إلا أن بعض الروايات تفيد أن الرجل أسلم سراً وأنه بعث رجلاً إلى النبي ﷺ لينظر إلى صفة الرسول وعلامات فيه (٥). وعاد مرسل هرقل إلى النبي وأخبر هرقل بما

(١) سورة الشورى — الآية ١٣.

(٢) الدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص ١٦٥.

(٣) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٦٨.

(٤) محمد أبو زهرة: خاتم النبیین، ج ٣، ص ١٢٧.

(٥) الإمام الكازوني: مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، ص ٢٥٧.

وجد من صفات النبوة التي أحب هرقل التأكد من وجودها فيه^(١) وكتب هرقل بإسلامه إلى الرسول مجيباً إياه: (إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم: أنه جاءني كتابك مع رسولك وأني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وأني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك فقال رسول الله ﷺ: «يقتى ملكهم مابقي كتابي عندهم»^(٢)).

وهرقل كما نرى مغلوب على أمره وفي نفس الوقت متعصب وعنصري حيث أورد أكثر من مصدر أنه قال: (فإن يقل حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم)^(٣) (أي العرب) لأن أهل الكتاب يعتقدون أن الأنبياء المرسلين من نسل إسحق و ليسوا من نسل إسماعيل قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

والمهم أن هرقل أجاز دحية الكلبي (سفير الرسول) مالاً وكسوة فلما عاد السفير قال النبي ﷺ: (كذب عدو الله ليس بمسلم ولكنه على النصرانية)^(٥).

والصدى الإعلامي الذي أحدثته الرسالة قد نتج عنه هزة رن صداها في مشارق الأرض ومغاربها، ففي الإمبراطورية الرومانية كثر النقاش حيال الدين الجديد وخاصة بين الإمبراطور هرقل وعظماء قومه حيث أثرت الغالبية العظمى منهم البقاء على النصرانية لا من قبيل الإخلاص لها ولا من قبيل تحقيق السلام والأمن في الأرض ولكن من قبيل تعصب أعمى وكراهية متأصلة في نفوسهم.

والدليل قولهم: (يدعونا إلى أن نذر النصرانية ونكون عبيداً لأعرابي جاء من

(١) الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) أحمد بن يعقوب : تاريخ يعقوبي، عام ١٣٨٤هـ، المكتبة الحيدرية ومطبعها بالنجف، ج٢، ص ١٦٧.

وانظر : مجموعة الوثائق للدكتور محمد حميد الله، ص ٨٢، ٨٣.

(٣) النويري، ج١٨، ص ١٦٠، ١٦١.

(٤) سورة يوسف — الآية ٢.

(٥) دكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٥، ٨٦.

الحجاز^(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا إِنَّا إِتِمَمْنَا ضِعَفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَمُ لَنَا كَبِيرَا﴾^(٢).

وقد دفعهم الحقد إلى قتل من دخل الإسلام قلوبهم فأعلنوه للملأ، ومنهم الأسقف ضغاظر الذي أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: (يامعشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) قال: فوثبوا عليه.. فقتلوه^(٣) قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(٤).

ولما أسلم القائد العربي التابع للروم فروة بن عمرو الجذامي غضبوا لاعتناقه الإسلام واتهموه بالخيانة^(٥). والعرب المنتصرة سواء من كان منهم في الفرق العسكرية الرومانية أو القاطنين على حدود الدولة المتاخمة لشبه جزيرة العرب قد دانوا بالدين الإسلامي لأنه رمز لقوة إخوانهم العرب وخير لهم أن يعتزوا بقوة إخوانهم ودينهم من أن يعتزوا بالرومان. وهناك فرق كبير بين أن تقول أخي في الإسلام وأن يقال أنت تابعي وبذلك أسلم أو انضم إلى صفوف المسلمين عدد كبير من العرب الذين كانوا بالأمس أتباعاً للرومان أو عملاء لهم ضد المسلمين^(٦)، لأن الدين الجديد يتغلغل في النفس بتعاليمه وأحكامه ويغزو البلاد برجاله.

وأهم الحقائق التي تشتمل عليها هذه الرسالة ما يأتي:

(أ) أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأمر رسوله ﷺ بتبليغه الناس كافة. وقد أدى الرسول ﷺ الأمانة.

(ب) أصبح قيصر ملك الروم ورجال دولته على علم بدين التوحيد الذي دعاهم الرسول ﷺ للدخول فيه.

(١) محمد علي الشامي الصالحي : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، عام ١٠٩٦، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ج-٢، ص ٣٣٢.

(٢) سورة الأحزاب — الآيات : ٦٧، ٦٨.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، عام ١٣٨٥هـ، بيروت، دار بيروت ودار صادر، ج-٢، ص ٢١١.

(٤) سورة المائدة — الآية ٧٠.

(٥) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، ج-٣، ص ٢٥٣.

(٦) نفس المرجع، ص ٥٤.

(ج) تأكد أبو سفيان من خلال مناقشة هرقل له من علو وانتصار الإسلام. ويستفاد من الرسالة النبوية إلى هرقل الأثر والدلالات الإعلامية التالية:

أولاً: عنوان الرسالة تضمن التواضع الشديد في اسم المرسل وهو محمد بن عبد الله والتفخيم الكبير للمرسل إليه ليس للتملق بدليل (السلام على من اتبع الهدى) وذلك لتجسيم وإبراز المسؤولية الضخمة المنوطة بهرقل فهو عظيم الروم ومسؤول عنهم إذا اتبع الهدى اتبعوه هم أيضاً، وإذا أصر على الكفر فهو لا يتعرض وحده للعذاب وإنما يكون مسؤولاً عن أتباعه أي الأريسيين.

التحية: (السلام على من اتبع الهدى) فيها احتياط لكي لا تكون على إطلاقها حقاً للكافر على المسلم فقيدها بأنها على من اتبع الهدى.

ثانياً: إن الإسلام ينقذ من يدخل فيه. ويضمن له السلامة كما في قوله: (أسلم تسلم) وفي هذا إشارة إلى أن من ينتظرون (المخلص) وبمعنى آخر المسيح عند اليهود والنصارى إنما يعتمدون على بشر بينما السلامة من العذاب هي في سلامة العقيدة (أسلم تسلم).

ثالثاً: الوعد بالثواب المضاعف أحدهما لنفسه والآخر لهدايته لقومه عندما يؤمنون كما في (يؤتلك الله أجرك مرتين).

رابعاً: الوعيد حيث يبدأ من (فإن توليت...) وهنا يحمله إثم قومه ثم يشرح عصب العقيدة الإسلامية وهو تحريم الشرك بالله (أن لا نعبد إلا الله).

خامساً: الإشارة إلى أن الإسلام أمانة شخصية في عنق من دخل فيه وهو بعد إبلاغ الدعوة غير مسؤول عمن يتقبلها طبقاً لمبدأ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١).

وعلى ذلك نجد أن هذه السطور الوجيزة تحتوي على مدخل دبلوماسي دولي تليه الدعوة بما تضمنته من وعد ووعيد وشرح لأهم ماتقوم العقيدة الإسلامية عليه وهو تجنب إظهار العبودية لغير الله قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الزمر — الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران — الآية ١٨.

(٣) سورة آل عمران — الآية ٨٥.

ثم إن الرسالة النبوية الشريفة كانت لها نتائج مهمة منها الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان عن سير الأنبياء وخاصة صفة رسول الله ﷺ أمام الملأ من الرومان وكذلك المناقشة بين هرقل ورجال دولته حيث حاول إقناعهم باتباع دين التوحيد وموقفهم المؤسف وإسلام الكثيرين من أتباع هرقل ومتنصرة العرب ومنهم الأسقف ضباطر وفروة بن عمرو الجذامي وغيرهم كثير لم تذكر أسماءهم في الكتب.

المبحث الثاني

رسالة النبي الإعلامية بالدعوة الإسلامية إلى كسرى ملك الفرس

وملك فارس ذلك الوقت هو كسرى خسرو برويز بن هرمز^(١)

حفيد كسرى الأول (أنو شروان) الذي ازدهرت البلاد في عهده في جميع المجالات^(٢).

أما حفيد كسرى الذي كتب إليه الرسول ﷺ فقد اتسعت المملكة في عهده وازدهرت وكان الرجل محباً لجمع الأموال والنفائس واكتناز الكنوز وحكم سبعاً وثلاثين سنة وقد قابل المذكور المعارضة الشعبية ضده بالقوة، واستولى على بعض أقاليم الدولة البيزنطية، ولكن هزمه «هرقل» إمبراطور الروم، ومن ثم تمرد عليه الجيش الفارسي^(٣) وقتله ابنه «شبرويه» كما أخبر الرسول ﷺ مبعوثي (باذان) حاكم اليمن من قبل كسرى اللذين حضرا إلى الرسول ليصحبهما لمقابلة كسرى المتعنت حيث قال لهما الرسول ﷺ: (أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأول سنة سبع من الهجرة).

وان الله سلط عليه ابنه «شبرويه» فقتله فرجعا إلى «باذان» وأعلماه بما أعلمهما رسول الله.

ونتيجة لذلك بدأ الإيمان يدنو من قلب «باذان». عندما تأكد من خبر موت كسرى أعلن إسلامه وإسلام أتباعه في اليمن وهم الأبناء^(٥).

(١) شاهين مكاربوس : تاريخ إيران، عام ١٩٦٨م، القاهرة، ص ٩٤.

(٢) انظر : الدكتور حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، مطابع دار الشعب بالقاهرة، عام ١٩٧٢م، القاهرة، ص ٨٠٣.

(٣) السيد الحسن الندوي : السيرة النبوية، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، دار الشروق بجدة، ص ٢١٠.

(٤) انظر : الدكتور حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، ص ٨٠٣.

(٥) النويري، ج ١٨، ص ١٦٣، والأبناء هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا من العرب فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم.

وقد لاحظنا في المبحث الأول من هذا الفصل طرفاً من الحالة السائدة في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، وكيف كانت الأحوال متردية نتيجة للحروب والصراعات على السلطة، وفرض عقائد الحكام على المحكومين بكل وسائل الضغط والاضطهاد. والحديث عن رسالة النبي ﷺ إلى كسرى تقودنا إلى إعطاء فكرة عن الأوضاع في بلاد فارس.

فإيران بلاد قديمة لها تاريخها وحضارتها، وأن كلمة فارس أو فرس اسم لإحدى ولاياتها الأولى، وتذكر في كتب الإفرنج باسم فارس ويطلق عليها العرب بلاد العجم^(١).

وظهر فيها رجل اسمه (مزدك) ادعى الوحي والإلهام وأبطل احترام النار ونادى بعدم امتلاك الأفراد للعقار والحريم، واتبعه من الجشعين والأشرار عدد كبير لأنه أجاز لكل واحد مشاركة جاره في ماله وحرимه ونهى مزدك عن أكل اللحم وكان الرجل محتالاً، ولذلك أمر أنوشروان بذبحه واضطهاد أتباعه حتى انقرضوا (ويقال إن مذهب الاشتراكيين المنتشر الآن في أوروبا مأخوذ عن هذا المذهب) وتضعفت الإمبراطورية الفارسية وذلك لفساد أمورها وبدأ الاضمحلال يظهر^(٢)، وأهم مظاهر الضعف تعدد الانقسامات الدينية.

فالزرادشتية^(٣) وهي دين الدولة والمانوية وهي مذهب فلسفي يدعو إلى الزهد المطلق وعدم الإنتاج ثم المزدكية الشيعية الإباحية كما رأينا وهي التي أثارت الفقراء على الأغنياء ثم النصرانية واليهودية والصابئة وهي خليط من العقائد المتضاربة الجوفاء التي تسبب للإنسان أكثر من أن تفيده ولا تضمن له السلامة والأمان.

(١) شاهين مكاريوس : تاريخ إيران، ص ١.

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ إيران، ص ٨١، ٨٢، ٨٣.

(٣) الزرادشتية مذهب ديني أسسه زرادشت حوالي القرن السابع والسادس ق.م. وزرادشت زعيم ديني فارسي، كتابه المقدس مؤلف من «الأفستا» أو الزند أفستا. زند : معناها تفسير، وأفستا معناها قانون.

ومكتوب بلغة إيرانية قديمة، ويحوي خمسة كتب، والزرداشتية في أساسها ضرب من الإصلاح لدين فارس، ترمي إلى تنمية الحصاد، والرفق بالحيوان، ولم يكن للزرداشتية معابد في البداية ثم ظهرت بعض الطقوس التي يقرها زرادشت وليست الزرادشتية ثنائية وإنما هي شبه ثنائية ويقدس أتباع الزرادشتية النار ويستعملونها في شعائهم الدينية مما أدى إلى الاعتقاد بأنهم عبدة نار «الموسوعة العربية الميسرة»، ج ١، ١٩٨٠م، دار نهضة لبنان، ص ٩٢١، ٩٢٢.

ومما يدل على فوضى تصرفات ساسة فارس أنهم عملوا على القضاء على مملكة الحيرة العربية.. وهي درع لهم^(١) فقد كان من سياسة الأكاسرة أن يقووا العرب على العرب ويرسلوا إحدى القبائل لمحاربة إخوانهم العرب، والفرس بذلك في أمن من شر هذه الأمة التي سادها جهل وانقسام^(٢) ومما يدل على مدى انهيار الأوضاع السياسية بإيران أنه تعاقب على عرشها اثنا عشر ملكاً بين رجل وامرأة، وصبي صغير ومغتصب^(٣) في فترة قصيرة جداً.

ومع كل ماسبق استسلم الناس لتقديس كسرى على أساس صلته بالإله وقربه منه^(٤)، ومصدقاً لذلك انظر إلى ألقاب الإمبراطور كسرى خسرو الثاني «في الالهة إنسان غير فان، وفي البشر إله ليس له ثان، علت كلمته، وارتفع مجده، يطلع مع الشمس بضوئه، وينير الليالي المظلمة بنوره»^(٥) وهو بهذا ارتفع على طاغوت البشرية فرعون مصر، ولذلك فقد كان أتباع كل عقيدة في الشرق على استعداد للإعلان أن جميع المذاهب ماعدا مذهبهم جديدة بأن توصم بالوثنية وتعدد الآلهة^(٦).

وبعد أن كان الفرس يقدسون النور والظلمة باعتبارهما رمزاً للخير والشر أصبحوا يعبدونهما على أساس أنهما إلهان اثنان ويعبدون كذلك غيرهما من المظاهر الطبيعية^(٧) وكان زرادشت قد بشر أتباعه بمقدم الرسول محمد ﷺ قائلاً لهم: (تمسكوا بما جئتمكم به إلى أن يأتيكم صاحب الجمل الأحمر من بلاد العرب «ودعا زرادشت الثاني لعبادة الله وحده (اهورامزدا) إله النور، وفرض خمس صلوات، والتقوى، والصدقة، وحرّم الربا، وأكد أن الكفر رأس الخطايا كلها، وحرّم عبادة الأوثان والأصنام، ووعد

(١) عبد الحميد العبادي : الدولة الإسلامية، تاريخها وحضارتها، ط ١ سنة ١٩٥٤م، القاهرة، ص ٥.

(٢) شاهين مكاربوس : تاريخ ايران، ص ٩٣.

(٣) عبد الحميد العبادي وآخرون : «الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها»، ط ١ سنة ١٩٥٤، القاهرة، ص ٥.

(٤) الدكتور أحمد أحمد غلوش : «الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها»، ص ٩٩.

(٥) السيد ابن الحسن علي الحسيني الندوي : السيرة النبوية، ص ٢٣٩.

(٦) ادوارد جيون (EDWARD GEEPON7) ترجمة محمد سليم سالم «اضمحلال الامبراطورية الرومانية

وسقوطها»، ج ٣، الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص ٣٦.

(٧) دكتور أحمد أحمد غلوش : «الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها»، ص ١٠٩.

المؤمنين بجنات عرضها السموات والأرض وقال بالوعيد وأن جهنم مثوى للكافرين»^(١).

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الزَّلَّاتِ ۚ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٢).

ويقول الأستاذ عبدالحق.. إن اسم الرسول العربي «أحمد» مكتوب بلفظه العربي في «السامافيرا» من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها: «أن أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس»^(٣).

وليس من المعقول أن تخفى على كسرى أخبار الدين الإسلامي الجديد الذي بشر به محمد ﷺ ولا سيما إذا علمنا أن الإعلام بدين الاسلام بشتى وسائل الإعلام المتاحة، قد ملأت الآفاق ومضى عليها أكثر من تسع عشرة سنة اعتباراً من البعثة وحتى وصول رسالة النبي ﷺ في السنة السادسة من الهجرة وهي في صراعات وملاحم مع عقائد مختلف الفرق المتواجدة في مكة والمدينة سواء من أهل الكتاب أو المجوس أو الوثنيين وعبد الكواكب فهذا سلمان الفارسي (المجوسي) رضي الله عنه يسمع بالدين الجديد فيتجشم الصعاب للوصول إلى مركز الرسول ﷺ ويعتنق الإسلام في السنة الأولى من الهجرة.

كما نعلم أن للفرس مصالح في شبه الجزيرة العربية. وهم لا يغفلون هذه المنطقة والتحركات فيها ولا سيما بعد هزيمتهم في موقعة (ذي قار) فقد كانت اليمن والعراق^(٤) والبحرين وعمان واليمامة تحت نفوذ الفرس والحجاز وسائر شبه الجزيرة العربية محصورة في دائرة الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية^(٥) وكانت حياة العرب

(١) محمد الشرقاوي : «محمد ﷺ في بشارة الأنبياء» مؤسسة دار الشعب بالقاهرة، ص ١٧.

(٢) سورة النحل — الآية ٣٦.

(٣) محمود الشرفاوي، ص ١٨.

(٤) د. محمد حسنين هيكل : «حياة محمد» ط ١٤، القاهرة، ص ٣٨٩.

(٥) نفس المرجع.

تعتمد على التجارة مع اليمن والشام، وبذلك فهم محتاجون بشكل واسع إلى مصانعة ملكي روما وفارس^(١).

يقول المؤرخ الغربي المتعصب (هـ. ج. ولز) في سياق حديثه عن رسائل النبي إلى الملوك (إنه بالنسبة لفارس يقول: بعض من في المدائن^(٢)) كانوا يعرفون عن محمد قدراً أكبر، إذ قالوا عنه إفكاً وبهتاناً — إنه نبي مقلق كذاب (كذا!!!). حرص اليمن وهي الولاية الغنية في جنوب بلاد العرب على الثورة على (ملك الملوك) الفارسي^(٣). ومن الملاحظ آنذاك أن بيزنطة وفارس على ضخامة سلطانهما قد فقدتا ملكة الابتكار أو الإنشاء. وأصبح التفكير لدى المفكرين فيهما عقيماً وهذا أدى إلى التقليد والاقتداء بالسلف واعتبار كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة، والجماعة الإنسانية كالفرد الإنساني وككل كائن حي يتجدد كل يوم فعندما تكون فتية شابة يكون تجدها خلقاً وإنشاءً وأما إذا بلغت الذروة وفي وضع لا يسمح على قدرة الابتكار فهي عندئذ تنفق من رأس مال حياتها. وهي بذلك في نقص مستمر فيهب لها الخالق عنصراً خارجياً يجدد أسلوب حياتها فيه مصلحة الإنسانية وما يعود على الشعوب بالسلام والأمن والاستقرار. هذا المنقذ الخارجي المليء بقوة الحياة الفتية إلى جانب روما وإيران لم يكن في جهة الصين أو الهند، وإنما كان ذلك المنقذ هو النبي محمد ﷺ فقد كانت دعوته في عنفوان شبابها وقوتها وهي بذلك جديرة بأن تعيد إلى نفوس الناس المتهدم داخلها في مشارق الأرض ومغاربها بحكم التقاليد الدينية البالية والشعوذات وماصاحبها من خرافات قائمة مقام الإيمان والعقيدة^(٤).

ومبعوث الرسول ﷺ إلى كسرى هو الصحابي عبدالله بن حذافه السهمي أسلم قديماً وصحب النبي وهاجر إلى الحبشة وكانت فيه دعاية ولما وقع في أسر الروم حاولوا بكل قوة وإغراء أن ينصروه فلم يفلحوا، واستطاع بقوة إيمانه ورباطة جأشه إنقاذ نفسه وثمانين مسلماً بقبلة على رأس الطاغية الذي أسره، وعند وصوله قام

(١) نفس المرجع.

(٢) المدائن — عاصمة امبراطورية الفرس.

(٣) هـ.ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية، ط ٣، ١٩٧٢م، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٧٤٩.

(٤) محمد حسنين هيكل: حياة محمد، ط ١٤، القاهرة، دار المعارف، ص ٣٩٠، ص ٣٩٢.

الخليفة عمر بن الخطاب فقبل رأسه^(١)، وكان قبل بعثه إلى كسرى كثير التردد على تلك البلاد وأن تلك الأسفار أكسبته خبرة وتجربة وحنكة في الأمور وأحوال وطبائع الشعوب خارج شبه الجزيرة العربية^(٢). هذا إضافة إلى كونه من خريجي المدرسة النبوية التي استمدت منهاجها من القرآن وصحبة وتوجيهات وتعليمات صاحب الدعوة محمد ﷺ.

ولما قدم عبدالله بن حذافه على كسرى، دفع الكتاب إليه^(٣) ثم ألقى البيان الإعلامي الإرشادي التالي:

(يا معشر الفرس إنكم عشتم بأحلامكم لمدة أيامكم بغير نبي، ولا كتاب ولا تملك من الأرض إلا ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر، وقد ملك قبلك ملوك أهل الدنيا وأهل الآخرة فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا في سعي الدنيا واستواوا في عدل الآخرة، وقد صغر هذا الأمر عندك إنا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل).

فأخذ الكتاب فمزقه ثم قال: «لي ملك هناء لا أخشى أن أغلب عليه ولا أشارك فيه، وقد ملك فرعون بني إسرائيل ولستم بخير منهم، فما يمنعني أن أملككم وأنا خير منه، فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب، وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم، فأما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام»^(٤).

وجاء في رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، المكتبة الإسلامية، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) عبدالله السحيباني: السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة، عام ١٣٩٩هـ، الرياض، ص ٢١٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص ٥٩.

(٤) السهيلي: الروض الأنف، ج٦، ط ١ عام ١٣٧٨هـ، دار النصر بالقاهرة، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس»^(١).
وقال سعيد بن المسيب فمزق الكتاب ولم ينظر فيه فقال النبي ﷺ «مزق
ومزقت أمته»^(٢).

فكانت نظرة العجم للعرب أنهم دونهم منزلة وحضارة وسياسة وثقافة، ولذلك
مزق كتاب الدعوة للإسلام مستخفاً وساخراً، وقال: أكتب إلي هذا الكتاب وهو
عبدى^(٣) وكان فرعون مصر الذي قارن كسرى نفسه به وأنه أعظم منه ينظر إلى موسى
عليه السلام نفس النظرة فقال تعالى مخاطباً نبيه موسى وأخاه هارون:
﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٤).

ومحمد ﷺ يعلم علم اليقين مدى القوة العسكرية التي يملكها كسرى، ومدى
ما يتصف به كسرى من الطغيان والجبروت، ومع ذلك كتب له برفق ولين تمشياً مع
قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٥).

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، جـ ١٨، ص ٥٨. وفي تاريخ يعقوبي زاد «وحده لا شريك له، وإلى
الناس كافة، فإن أبيت فإن عليك آثام»، جـ ٢، ص ٦٦.

— وزاد في مخطوطه السيرة النبوية «وحده لا شريك له، أدعوك بدعاية عز وجل وإني، فإنها»، ص ١٦٣.

— مخطوطة السيرة النبوية، ص ٢٣٢، وابن الأثير، ص ٢٦٣، والوفا بأحوال المصطفى، جـ ٢، ص ٧٣٢
وأبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال، ص ٣٢.

— وصبح الأعشى، ص ٣٧٨، وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ ٤، ص ٢٠٣ «ان الرسول ﷺ
كتب إلى كسرى وقصر والنجاشي أما بعد تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

(٢) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، جـ ٤، بيروت، ص ٢٠٣

وفي مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي للدكتور محمد حميد الله، ص ١١١/ ١١٢ «وكتب إليه كسرى
كتاباً جعله بين سرتي حرير وجعل فيهما مسكاً فلما دفعه الرسول إلى النبي فتحه فأخذ قبضة من المسك
فشمه وناول أصحابه وقال : لا حاجة لنا في هذا الحرير، ليس من لباسنا وقال : (لندخلن في أمري أو لآتينك
بنفسي ومن معي وأمر الله أسرع من ذلك فأما كتابك فأنا أعلم به منك (فيه كذا وكذا) ولم يفتحه ولم يقرأه
ورجع الرسول إلى كسرى فأخبره.

(٣) الإمام الكلاعي مخطوطة السيرة النبوية الشريفة عام ١١٤٧، مكتبة الحرم النبوي الشريف ص ٢٣٢، والوفا
بأحوال المصطفى، جـ ٢، ص ٧٣٢.

(٤) سورة طه — الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٥) سورة طه — الآيتان ٤٣، ٤٤.

وجاء في القول المأثور أمرت لأخاطب الناس على قدر عقولهم^(١) وقال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤) ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلِّغُ﴾^(٥).

والله سبحانه وتعالى كلف الرسول ﷺ التبليغ وعدم إكراه أحد على اعتناق الإسلام قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾^(٦).

والناس جميعاً سواسية لا فضل لعنصر من البشر على الأجناس والألوان الأخرى حيث كان الرومان والفرس وغيرهم وبخاصة بنو إسرائيل يتفاخرون بأجناسهم من الناحية العرقية أو التقدم في الأمور الدنيوية من ثقافة وصناعة وقوة عسكرية فأعلن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه البيان الإعلامي التالي ليبدد به تلك الأوهام ويكشف زيف العنصريين المتعطرسين من كل الأجناس قال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» وهذا مصداق للبلاغ الإلهي العظيم حيث قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾^(٧).

والنبي ﷺ مأمور بتبليغ رسالة التوحيد لكل الناس بمن فيهم كسرى وأتباعه بصيغة الأمر الإلهي: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّيْ رِسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٨) وكسرى

(١) لم يعثر عليه في الأحاديث النبوية الشريفة.

(٢) سورة فصلت — آية ٤٣.

(٣) سورة الصافات — آية ١٧١.

(٤) سورة المائدة — آية ٦٧.

(٥) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٦) سورة الغاشية — الآيتان ٢١، ٢٢.

(٧) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٨) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

الذي يعتبر نفسه كفرعون مصر إلهاً لا يكتفي بعدم الرد وإنما يمزق الرسالة ويأمر نائبه (بإذان) على اليمن بإحضار نبي الله إليه للانتقام.. ولا غرابة في ذلك فهو طاغوت متغطرس غير مستعد لسماع كلام الله ورسوله ويقول الله سبحانه وتعالى فيمن طمست مشاعرهم وماتت مواهبهم واستغلت أذهانهم^(٢) ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

ولما علم الرسول بتصرفات كسرى الهوجاء دعا عليه دعوة فاستجاب الله سبحانه لها بحيث سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

يقول الله تعالى معللاً هلاك الأمم الفاسدة: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٥) ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَكُمْ مَغِزَاءَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٦).

والمعروف أن كسرى كان مولعاً بالمال فجمع من الكنوز والنفائس مثلما جمع من الألقاب والأبهة وكل هذا لم يصرفه لتدبير آيات الله والاعتبار بمن سبقوه من الحكام الطغاه بل ازداد عتواً وكانت النتائج المذهلة وهي هزيمته هزيمة مذلة على يد هرقل امبراطور الروم، وأبشع من هذا أن يقتله ابنه.

إن الإصلاح النفسي يعتبر دعامة أولى لتغليب الخير في هذه الدنيا، فإذا لم تصلح الأنفس وتكفهر الآفاق وتكثر الفتن في حاضر الناس ومستقبلهم فسوف تقسو القلوب وتسود الفوضى ويعم الفساد وبناء على ذلك^(٣) يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٤).

ويقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا أَسِيلًا لَرُشْدٍ لَا يَتَّخِذُوهُ سَيْلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم، ط ٨، سنة ١٣٩٤هـ، مطبعة حسان بالقاهرة، ص ٢٣٥.

(٢) سورة البقرة — آية ١٧١.

(٣) سورة الأنفال — الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٤) محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ٢٣.

(٥) سورة الرعد — آية ١١.

الْفَنَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١﴾

وكان من نتائج الرسالة المحمدية إلى كسرى، وما قاله رسول الله لمبعوثي (بازدان) نائب كسرى على اليمن وهو أن الله قد قضى على كسرى قبل أن يصل الخبر لبازدان أو غيره أن أسلم بازدان وأسلم الأبناء في اليمن، إضافة إلى ما نلاحظ من حسن تصرف شيرويه الذي قال لبازدان: «وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب إليه، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه».

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنه بلا شك لم يكن الإبن على عزيمة أبيه فيما يتعلق بالنبي بل تردد، وكل ما أمر به ألا يهجه ولا يطلب إليه الحضور، وتلك أمارات مثالية تدل على صدق النبي ﷺ فيما يدعو إليه من وحدانية وصدق في دعوى الرسالة الإلهية» (٢).

(١) سورة الأعراف — آية ١٤٦.

(٢) محمد أبو زهرة، خاتم النبیین، ص ١٣٤.

أهم الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة الهداية إلى كسرى

من المعروف لدى رجال الإعلام ولمن لهم صلة بهذا العلم أن فن الدعوة هو فن الاستمالة والإقناع، وقد يكون من سبل الإقناع الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى فلننظر لرسالة الرسول ﷺ إلى كسرى، فبعد أن بدأها بنفسه «عليه السلام» وبصيغة بعيدة عن اضماء هالة من العظمة عرف بنفسه أنه محمد رسول الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَايَهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١) وقال جل شأنه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (٣) وقال جل من قائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُسْتَسِدًّا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (٦) ومحمد الرسول ﷺ مكلف بتبليغ الرسالة الالهية لأهل الأرض، قال تعالى: ﴿يَتَايَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٧).

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٨.

(٢) سورة الشعراء — الآيتان ١٠٧، ١٠٨.

(٣) سورة آل عمران — آية ١٤٤.

(٤) سورة الفتح — آية ٢٩.

(٥) سورة الأحقاف — آية ٩.

(٦) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٧) سورة المائدة — آية ٦٧.

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كَارِزٌ مُبَشِّرٌ ﴾ ^(١) وقال جل شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢).

ولقد رفع الرسول ﷺ مركز كسرى بصورة ملحوظة لا من أجل النفاق، والدليل على ذلك «سلام على من اتبع الهدى» وذلك لتحميل كسرى المسؤولية الضخمة تجاه الشعوب الخاضعة لسلطانه فهو عظيم فارس، ومسؤوليته أنه إذا اتبع الرسالة النبوية اتبعوه لأن الشعوب في تلك الأزمنة على دين ملوكها في الغالب الأعم وإذا أصر على الكفر فسوف يعرض نفسه وشعبه للعذاب فهو مسؤول عن أتباعه المجوس.

والتحية فيها تحفظ واضح فجعلها للذي يتبع الهدى.. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٣). فإن اعتناق الإسلام سبيل إلى السلامة والأمان والنعيم في الدنيا والآخرة (أسلم تسلم) وقد أعلمه الرسول ﷺ بالثواب المضاعف له في حالة إيمانه وإيمان شعبه إذا اتبع تعاليم الإسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ^(٤) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ ^(٥).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ ^(٦) ^(٥).

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ ^(٧) هذا، وتشتمل الرسالة أيضاً على الوعيد حين أعلمه (فان توليت..).

(١) سورة الحج — آية ٤٩.

(٢) سورة سبأ — آية ٢٨.

(٣) سورة يونس — آية ٢٥.

(٤) سورة البينة — الآيتان ٧، ٨.

(٥) يحبرون : يسرون ويغبطون.

(٦) سورة الروم — آية ١٥.

(٧) سورة لقمان — آية ٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ^(١) وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ^(٢) وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ ^(٣) وقال جل شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ لِلْفُتَيْسَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٤).
وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ^(٥).

وبذلك فإن الرسول الكريم حمّله وزر قومه وبعد ذلك وضح له عصب العقيدة الإسلامية وهو توحيد الله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ^(٦).

وقال جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٧).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَزَّالَهُ وَوَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ .. إلى قوله لآيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ^(٨).

كما تبين الرسالة تحريم كل العبادات الموجهة لغير الله (لا إله إلا الله). وبذلك للإسلام بعد تبليغه هذا يعتبر أن المسؤولية الكاملة تقع على عاتق من يعتنقه ويدخل فيه، طبقاً لمبدأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ^(٩) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ^(٩).

(١) سورة غافر — آية ٢٨.

(٢) سورة غافر — آية ٥٢.

(٣) سورة الشعراء — آية ٢١٣.

(٤) سورة الزمر — آية ٢٢.

(٥) سورة الكهف — آية ٢٩.

(٦) سورة آل عمران — آية ١٨.

(٧) سورة غافر — آية ٦٨.

(٨) سورة البقرة — الآيتان ١٦٣، ١٦٤.

(٩) سورة الزلزلة — الآيتان ٧، ٨.

(المبحث الثالث)

رسالته «عليه السلام» إلى ملك الحبشة^(١)

الحبشة هي بلاد أفريقيا الشرقية وتقع في الجنوب الغربي من البحر الأحمر ومن الصعب تحديد حدودها عند بداية الدعوة الإسلامية، وحكومتها كانت من أقدم دول العالم، وتفيد أخبار اليهود أن ملكة سبأ (بلقيس) كانت تسكن في الحبشة، وأن ذرية سليمان عليه السلام كانت تحكم الحبشة كما أن بداية قدوم اليهود للحبشة تم بعد دمار هيكل سليمان^(٢) وتسربت المسيحية إلى الحبشة على يد أحد رجال الدين الإسكندرانيين وهو «فرو منتيوس»^(٣) حوالي عام ٢٣٠ م في حكم الملك الحبشي «غبرانا» واعتنق الملك المذكور المسيحية، وبذلك يكون أول ملك حبشي يعتنق المسيحية على الأغلب، وقد جعل النصرانية الدين الرسمي بعد أن انتشرت المسيحية^(٤) في بلاده.

وعندما اضطهد ملك اليمن المسيحيين طلب جستنيان الأول إمبراطور روما ملك الحبشة أن يمدّهم بالمساعدة في اليمن، فاستولى على اليمن حيث دامت سلطتهم على

(١) يقول الأستاذ عبد الحميد عابدين في كتابه (بين الحبشة والعرب) إن لفظ أثيوبيا يرد للدلالة على الحبشة وهو يوناني الأصل، وأطلق الأحباش هذا اللفظ على بلادهم تيمناً بذكره في التوراة، واتسعت التسمية في العهد الروماني (فأطلقت أثيوبيا على البلاد الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، وشملت أحياناً بعض المناطق في غرب النيل كمنطقة «مرو» التي كان لها ماضي مجيد ودولة متقدمة، ص ٧.

وأوضح الأستاذ نجيب العفيفي في كتابه (المستشرقون) أن عرب اليمن الذين عرفوا بالجنوبيين قد عبر بعضهم البحر الأحمر في القرن الثاني قبل الميلاد إلى الحبشة، ص ٣٠، ويفيد الأستاذ عبد الحميد عابدين أن من القبائل العربية التي هاجرت إلى هناك قبيلة «سهرت» وقبيلة «حبشت» وذكر أن قبيلة «حبشت» اتخذت طريقها البحري الذي يصل من خليج مصوع وهضاب الحبشة ثم اتجهوا إلى الجنوب.. ولما سكنت هناك أي في شمال الحبشة نسب القسم الشمالي إليهم وسَمّي باسمهم ثم أطلق العرب الحبشة على جميع البلاد، ص ١١، ١٢.

(٢) السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي، السيرة النبوية، ط ١، عام ١٣٩٧ هـ، دار الشروق بجدة، ص ٢٤٢.

(٣) فرو منتيوس : عين مطرانا على الحبشة وسماه الأحباش (أبأسلامة).

(٤) عبد الحميد عابدين.. بين الحبشة والعرب، ص ٣٦.

اليمن العربية نحو خمسين سنة تقريباً، وظلت الحبشة مهيمنة على التجارة الدولية في تلك المناطق وأفريقيا، وكان ملك الحبشة يلقب دائماً بـ (النجاشي) (١).

والمعروف أنه كانت توجد علاقات تجارية بين شبه جزيرة العرب والحبشة بحكم القرب والجوار. وطمع الأحباش في موقع اليمن فاحتلوها وأرادوا السيطرة على مكة المكرمة. وورد ذكر حملتهم الفاشلة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ (٢).

تضاربت الأقوال والروايات في تعيين شخصية (النجاشي) الذي كتب إليه رسول الله ﷺ يعلمه بالرسالة المحمدية ويطلب منه اعتناق ما يدعوه إليه وهو الإسلام، والروايات العربية تتحدث عن ملكين من ملوك الحبشة أولهما قبل البعثة، ويطلقون عليه اسم «أبحر» والثاني عاصر الرسول محمداً ﷺ ويسمى «أصحمة» (٤). ويقول العرب إن الأحباش قتلوا الملك «أبحر» وولوا أخاه وهو عم «أصحمة» وأبعدوا «أصحمة» باعوه لرجل عربي من بني ضمرة حيث رعى الغنم حتى مات عمه، وبحث الأحباش عن الفتى الطريد فأعادوه وملكوه عليهم إلى أن توفي في السنة التاسعة من هجرة النبي محمد ﷺ (٥).

كانت نصرانية الحبشة كنصرانية نجران والحيرة والشام قد شابها بعض الشوائب بين مؤلهي المسيح، ومؤلهي أم المسيح. وهناك زمرة مخالفة لها مذهبها (٦)، وكان النجاشي الملك على مذهب النساطرة، ومذهب نسطور قائم على التوحيد، وينكر ربوبية المسيح ومن ذلك قولهم (أي النساطرة) «لاتقولوا مريم أم الله لأنها من البشر ويستحيل أن يولد الإله من البشر» (٧).

(١) السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) سورة الفيل، الآيات : ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

(٣) السيد أبي الحسن الندوي، السيرة النبوية، ص ٢٤٤.

(٤) ويروى اسمه برسوم مختلفة : أصحمة، وصحمة، وأصبحه، وأضححه. والصحيح عند العرب النطق الأول.

(٥) عبد الحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧١.

(٦) محمد حسنين هيكل، حياة محمد، ص ١٧٢.

(٧) محمد رضا، محمد رسول الله، ص ٢٧٣.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (١).
وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٢).

وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (٣).

لم تكن الحبشة غريبة عن العرب فالانصالات مستمرة على كل المستويات والرسول محمد ﷺ يعلم الكثير من الأوضاع في الحبشة وعقيدة القوم، ولم يأذن للمسلمين المعذبين بالهجرة إليها إلا بعد طول تفكير ووفق سياسة محكمة (٤) وقال للمسلمين الراغبين في الهجرة بعقيدتهم «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده» حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم (٥)، وقد اطمأنوا بالحبشة وآمنوا لأن النجاشي أحسن معاملتهم، فغضبت قريش وأرسلت وفداً بهدايا مكونا من عمرو ابن العاص وعبدالله بن أبي أمية فقدموا الهدايا إلى أعوان النجاشي وطلبوا منهم أن يساعدوهم على إعادة المهاجرين، وقالوا لأصحاب الملك، إن أناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم وخافا أن يسمع النجاشي كلام المسلمين فلا يسلمهم. فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان.

وقد أيد أصحاب النجاشي مطلب وفد قريش ولكن النجاشي رفض وقال: لا والله لا أسلم قوماً جاؤروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم

(١) سورة النساء، آية ١٧١.

(٢) سورة آل عمران — آية ٤٥.

(٣) سورة المائدة — آية ١٧.

(٤) عبد الحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، دار بيروت للطباعة عام ١٣٨٥هـ، ص ٧٦.

عما يقول هذان، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنتم جوارهم.

فدعاهم النجاشي وقد أجمع المسلمون على صدقه فيما ساءه وسره وكان المتحدث الرسمي باسم المهاجرين هو «جعفر بن أبي طالب» وسأله النجاشي سؤالاً هاماً.. ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد..؟

وأجاب ممثل الرسول الرسمي ببيان واضح وصريح أمام النجاشي والملا من قومه قال: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام.. وعدد عليه أمور الإسلام قال: فأما به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا، فاعتدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحا لوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال نعم فقرأ عليه سطوراً من (كهيعص) فبكى النجاشي وأسأفته. وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً.

ولكن الوفد القرشي أحب الكيد للمسلمين، فقال عمرو بن العاص للنجاشي: إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً. فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح. فقال جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبدالله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: ماعدا عيسى ماقلت هذا العود فنخرت بطارقه: فقال: وإن نخرتم.

وقال للمسلمين اذهبوا فأنتم آمنون، فأحب أن لي جبلاً من ذهب وأنتي آذيت

رجلاً منكم، ورد هدية قريش وقال: ما أخذ الله رشوة مني حتى آخذها منكم.. ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار^(١).

ونلاحظ أن البيانات الواضحة عن العقيدة الإسلامية، وعما جاء به النبي ﷺ، وما أمر به أصحابه، ونظرة الإسلام إلى عيسى بن مريم وأمه الصديقة والتي ألقاها المندوب الصحفي (إن صح هذا التعبير) والصحابي المجاهد الجليل جعفر بن أبي طالب، أمام ملك الحبشة وكبار رجال دولته وخاصة رجال الدين منهم، واعتراف النجاشي وتصديقه لما جاء به الإسلام لأمر تدعو إلى القول بأن أنباء العقيدة الإسلامية قد انتشرت بصورة غطت مساحات واسعة من عالم ذلك الزمن ولا سيما إذا علمنا أن انتصار الإسلام في المناظرة على وفد قريش والمتعاطفين معهم بالرشوة من أصحاب ملك الحبشة وموقف بعض رجال الدين الذين لم يرق لهم موقف الملك المؤيد لتعاليم الإسلام، قد أحدثت سيلاً من التصريحات والمناقشات بين أفراد الشعب الحبشي الذي تربطه روابط دينية واقتصادية مع دولة الروم، وهذا رد على أجناس (جولدتسيهر) الذي يفيد باطلاً أن أفق محمد ﷺ الجغرافي لم يتعد جزيرة العرب^(٢).

ويفيد الرواة أن النجاشي أرسل وفداً من الحبشة إلى النبي ﷺ وهو بمكة، وأخرج الحافظ بن كثير في تفسيره عن سعيد بن جبير «أن النجاشي بعث وفداً من الحبشة إلى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه ويروا صفاته وكان عدده اثني عشر رجلاً وقيل كان أكثرهم قساوسة ورهباناً فلما رأوا الرسول ﷺ قرأ عليهم شيئاً من القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي وأخبروه بما شاهدوا»^(٣).

قال تعالى: مَوْضِعاً حَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا اسْتَمَعُوا لِكَلَامِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٢) أجناس جولدتسيهر، العقيدة والشرعية في الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، ط ٢، عام ٧٨م، القاهرة، دار الكتب الحديثة بمصر، ص ٣٩.

(٣) عبد الحميد عابدين، بين العرب والحبشة، ص ٧٧، ٧٨.

(٤) سورة المائدة — آية ٨٣.

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (١).

وهؤلاء النفر من المسيحيين وغيرهم ممن يؤمن بالرسالات والذين شرحت صدورهم للإسلام ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢).
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٥).

والمطلوب من الإعلام الدولي، تزويد الشعوب لدى الحكومات الأخرى بالمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة، وذلك للتأثير على الجماهير وإقناعها بعدالة القضايا العادلة، وبذلك تتبنى الجماهير في الدول الأخرى مواقف الأمة أو الجماعة الداعية.

ونلاحظ ذلك في البلاغ المبين الذي ألقاه ممثل المسلمين: «جعفر بن أبي طالب» أمام النجاشي وأصحابه ووفد قريش، حيث أقنعهم بأهداف المسلمين عن طريق الاعلام القائم على الحوار المنطقي والحقائق التي لاتنافي الواقع، وما يدعو إليه الرسل والأنبياء والمصلحون لصالح الإنسانية وسلام البشرية.

نص رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة: «بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سَلِّمُ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ

(١) سورة النساء — آية ١٦٢.

(٢) سورة الزمر — آية ٢٢.

(٣) سورة فاطر — آية ٢٨.

(٤) سورة البينة — الآيتان ٧، ٨.

(٥) سورة الشورى — آية ١٣.

(٦) دكتور أحمد بدر، الإعلام الدولي، ط١، ١٣٩٧هـ، مكتبة غريب بالقاهرة، ص ١٧، ١٨.

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تبغني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، فأني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى»^(١).

وحامل الرسالة هو: «عمرو بن أمية الضمري» وكان معروفاً في العرب بالنجدة، والشجاعة. واختلف في تأريخ اعتناقه للإسلام فقيل إنه أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقيل إن إسلامه تم بعد بدر وأحد وهو ممن حسن إسلامهم^(٢)، وكان الرسول ﷺ يبعثه في أموره، وأول مشاهدته حادثة بئر معونة فأسرته بنو عامر وأطلق سراحه «عامر بن الطفيل» وتوفي في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما^(٣).

وبهذا فإن هذا الصحابي الذي اختير من قبل الرسول ﷺ بناءً على قناعة من أنه سوف ينصح لله في عبادته، لأن من استرعى شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح حرم الله عليه الجنة، وبهذه التوجيهات الكريمة توجه «عمرو بن أمية الضمري» وسلم الكتاب إلى النجاشي وألقى أمامه البيان التالي:

«يا أصحمة، إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه،

(١) الطبري محمد بن جرير الطبري، ج٣، ص ٨٩.

الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلاف الراشد، ط٣، ١٣٨٩هـ، بيروت، ص ٧٥.

وصبح الأعشى، الفلقشندي، ج٦، ط١، عام ١٣٨٣هـ، المؤسسة المصرية العامة بالقاهرة، ص ٣٧٩، لم يذكر اسم الملك (الأصحم) ولا (سلم أنت) مع نقص وزيادة بعض الألفاظ.

والوفاء بأحوال المصطفى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ج٢، ص ٧٣٤، مع زيادة ونقص في بعض الألفاظ وكذلك مخطوطة السيرة النبوية الشريفة للإمام الكازوني، ص ٢٣٣، وزاد المعاد لابن الجوزي، ص ٦٠ وأحمد زكي صفوت. جمهرة رسائل العرب ص ٤٠، وأسد الغابة، ج١، ص ٦٢.

(٢) الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى، كتاب الوحي، ط١، ١٤٠٠هـ، دار اللواء بالرياض، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ٨٦.

* بديهة.

وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي عليه الصلاة والسلام رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ماخافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر^(١) فأخذ النجاشي رسالة النبي ﷺ فوضعها على عينيه وهبط من سريره على الأرض تواضعاً ثم أسلم وشهد شهادة الحق.

وقال: لو كنت أتمكن من الوصول إليه لفعلت^(٢). ثم أدلى بالبيان الإعلامي التالي: «أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وأن العيان ليس بأشقى من الخبر^(٣).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٦).

وأجاب النجاشي على خطاب النبي ﷺ بتصديقه وإسلامه^(٧) على يد جعفر بن أبي طالب.

جواب النجاشي إلى النبي ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم
إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبهر.. سلام عليك يا نبي الله

(١) السهيلي، الروض الأنف، ج٦، ص ٣٨٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٥٨.

(٣) ابن الجوزي، زاد المعاد، المجلد الثالث، ص ٦٠.

(٤) سورة الأنعام — آية ١٢٥.

(٥) سورة الواقعة — الآيات ١٠، ١١، ١٢.

(٦) سورة المائدة — آية ٣٩.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٥٨.

ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام.. أما بعد فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض أن عيسى مايزيد على ما ذكرت تُفروقاً^(١)، وأنه كما قلت. وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً صادقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأصحابه، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم ابن أبحر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله، فإني أشهد أن ماتقوله حق والسلام عليكم يارسول الله^(٢).

وقيل إن النبي كتب له أكثر من كتاب حيث أمره في الكتاب الثاني أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وأمره أن يبعث إليه بمن قبله^(٣) من المسلمين المهاجرين وفعلأ لبي النجاشي النداء فزوجه أم حبيبة وأصدق عنه أربعمئة دينار وأمر بجهاز المسلمين، وما يصلحهم وحملهم في السفن مع عمرو بن أمية الضمري ووضع كتابي النبي ﷺ في حق^(٤) من عاج وقال: لاتزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها^(٥).

والنجاشي كما نرى ذو إيمان قوي بحيث أعلن إسلامه ودعا قومه من ملأ وجنود للإسلام، ولم يجبرهم على الإيمان، واكتفى بالدعوة من غير ضغط أو إجبار^(٦)، انطلاقاً من تعاليم الله سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ^(٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَنِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانْتَنِ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِي فَعِمَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ^(٨)﴾.

(١) التفروق بضم الثاء وسكون الفاء: القمع الذي يلزق باليسر وجمعه ثفاريق.

(٢) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٧٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط ١، ص ٢٥٨.

(٤) حق بمعنى عليه.

(٥) نفس المرجع.

(٦) محمد أبو زهرة، خاتم النبیین، ج ٣، ص ١٣٧.

(٧) سورة البقرة — آية ٢٥٦.

(٨) سورة هود — آية ٢٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(١). لأن مواقف ملك الحبشة كلها مشرفة ابتداء من قبوله المهاجرين المسلمين، وإدارته العادلة لمناظرة التحدي بين المسلمين المهاجرين، وبين وفد قريش ومن ساندتهم من أصحاب الملك نفسه، وفوز المسلمين بالانتصار الذي أيده وآزره النجاشي، وبذلك فهو عميق الإيمان بالإسلام لكنه غير مستعد لإكراه قومه على اعتناقه، وكأن لسان حاله يقول كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا، أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

(١) سورة ق — آية ٤٥.

(٢) سورة يونس — آية ٩٩.

الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

١ — بدأ النبي الرسالة باسم الله الذي لا معبود سواه قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).
وقال تعالى: ﴿وَالنَّهْضَةُ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

٢ — وذكر النبي نفسه بالإنفراد ووضح وظيفته أنه رسول الله والنجاشي على علم بذلك. قال جعفر بن أبي طالب في لقاء المناظرة برئاسة النجاشي وإشرافه «بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف، نسبه وصدقه وأمانته، فدعانا لتوحيد الله، وأن لانشارك به شيئاً».

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(٣).
وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٤).

٣ — ذكر النجاشي بما يجب وهو كونه ملك الحبشة ليوضح له عظم مسؤوليته تجاه قومه.

٤ — الثناء على النجاشي لا من موقف الضعف وإنما تقديرًا لموقف الرجل من المسلمين بالحبشة ومؤازرتهم أثناء محنتهم ومناصرتهم بعدم طردهم من بلاده رغم نصح وهدايا قريش وأعوانه، وإيمانه أمام الملأ في مؤتمر التحدي الذي أقيم تحت رعايته بصدق تعاليم الإسلام، حيث قال: «إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة»^(٥).

(١) سورة آل عمران — آية ١٨.

(٢) سورة البقرة — آية ١٦٣.

(٣) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٤) سورة آل عمران — آية ١٤٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٨١.

٥ — أعلن الرسول (ﷺ) صدق رسالة عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢) ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣).
وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (٤).

٦ — أثنى النبي (ﷺ) على أظهر النساء السيدة مريم أم المسيح عليه السلام بما هي أهل له. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَسَاتِينِ﴾ (٥).

٧ — دعوة النجاشي صراحة لتوحيد الخالق الذي لاشريك له، ومواصلة عبادة التوحيد، كما طلب منه أن يتبعه ويؤمن برسالته انطلاقاً من معرفة النبي (ﷺ) أن ذلك الملك لديه استعداد للإيمان بدعوة الرحمن الواحد الأحد لمواقفه الكريمة السابقة تجاه المسلمين، وعقيدة التوحيد. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّا لَعَلَّىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٩).
وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (١٠).

(١) سورة آل عمران — آية ٥٩.

(٢) سورة مريم — آية ٣٤.

(٣) سورة النساء — آية ١٧١.

(٤) سورة التحريم — آية ١٢.

(٥) سورة النحل — آية ١٢٥.

(٦) سورة الحج — آية ٦٧.

(٧) سورة آل عمران — آية ١٩.

(٨) سورة النساء — آية ١١٦.

(٩) سورة الصف — آية ٦.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢﴾﴾.

٨ — طلب من النجاشي إكرام من استجاروا به من ظلم قريش وهم «جعفر بن أبي طالب والعصبة المسلمة، وذلك لقول الرسول ﷺ «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده» (٣).

٩ — أمره الرسول ﷺ بترك الطغيان بقوله: (ودع التجبر) قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

والنبي ﷺ يبصره بما هو عليه من تصرفات تتسم بالظلم. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٥﴾﴾ وتأكيده لأكرام النجاشي كرر الرسول ﷺ دعوته في الرسالة، وكذلك جنوده لتوحيد وعبادة الله. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿٦﴾﴾.

١٠ — أعلم النبي ﷺ النجاشي وجنوده أنه ﷺ أدى ما عليه بدعوتهم ونصحهم باعتناق الإسلام واتباع الرسول ﷺ لما في ذلك من سلام وأمن لهم في الدنيا ونعيم الآخرة.

(١) سورة المائدة — الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) سورة الصف — آية ٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٦.

(٤) سورة المائدة — آية ٣٩.

(٥) سورة الغاشية — الآيتان ٢١، ٢٢.

(٦) سورة الشورى — آية ١٣.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(١).

١١ — ختم الرسول ﷺ رسالته بالسلام على الذين يتبعون الهدى فقط. قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٣).

الإسلام ينقذ من يعتنقه من الخزي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة وأما
الذين ينتظرون مخلصاً آخر وهم اليهود والنصارى إنما هم واهمون لأن
محمداً خاتم الأنبياء، وأن المنقذ هو الله الواحد الأحد وليس البشر مهما
ارتفعت منزلتهم.

١٢ — الإسلام أمانة شخصية في عنق من يتبعه، والنبى ﷺ بعد إبلاغه للدعوة غير
مسؤول عن الذين لا يقبلونها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَكْفِهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكَزَنَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٤) وقال تعالى:
﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾^(٦).

١٣ — رسالة موجزة (برقية) شرحت عصب العقيدة بصورة محببة (فن الدبلوماسية)

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ
هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٧).

(١) سورة آل عمران — آية ٥٢.

(٢) سورة الصف — آية ٩.

(٣) سورة غافر — آية ٢٨.

(٤) سورة الحج — آية ٤٩.

(٥) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٦) سورة البقرة — آية ٢٥٦.

(٧) سورة النحل — آية ١٢٥.

(المبحث الرابع)

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط

بعث «عليه السلام» حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط^(١) سنة ست من الهجرة وبعث معه كتاباً يدعو به إلى الإسلام^(٢) وقبل الحديث عن رسالة النبي «عليه السلام» الإعلامية بدين الإسلام إلى حاكم مصر وشعبها الذي يعد بالملايين في ذلك العصر، والذين سارعوا إلى اعتناق دين التوحيد بعد الفتح العربي الإسلامي بحيث أصبحوا قوة لها وزنها في كل الأمور ذات الأهمية في تاريخ الجهاد الإسلامي الواسع وفي حضارته التي لها فضل لا ينكر على الإنسانية. يجدر بنا أن نعرف ولو شيئاً موجزاً وواضحاً عن أوضاع ذلك الشعب العظيم وعقيدته وأرضه.

وكما جاء في معجم البلدان لياقوت أن مصر نسبة إلى مصر بن مصرام بن حام بن نوح عليه السلام وأرض مصر أربعون ليلة في مثلها، طولها من الشجرتين اللتين كانتا بين رفح والعريش إلى أسوان. وعرضها من برقة إلى أيلة، وكانت منازل الفراعنة^(٣)

(١) وهو لقب جريج بن مينا القبطي كبير القبط على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، المجلد التاسع، ص ٣١٧.

وجريج بن مينا معين على مصر من قبل هرقل كما جاء في الحلبية، ج ٣، ص ٢٩٧، ويقول الشيخ علي بن حسين الأحمدي، ص ٩٨ المقوقس لقب لكل من ملك مصر والاسكندرية كفرعون وكسرى وكان الرجل نصرانياً وتابعاً لملك الروم، وفي معجم البلدان أن مصر فتحت في عهده وساعد المسلمين.

(٢) القبط : ورد في السيرة الحلبية أن القبط هم أهل مصر والاسكندرية، وورد في دائرة المعارف القرن العشرين، ص ٣١٣، ٦١٢ أن القبط اسم يطلق على مسيحيي مصر وهم ذرية المصريين القدماء ولم تطلق الكلمة على أهلها إلا عندما دخلوا في الديانة المسيحية وغلبت عليهم هذه التسمية يوم اعتبر في مصر سنة ٣٨١ الذين المسيحي ديناً رسمياً للأمة المصرية وكان عدد القبط عند دخول العرب إليها سنة ٦٤٠ م بضعة ملايين وأخذ عددهم يتناقص لدخولهم الإسلام حتى لم يبق منهم اليوم إلا نسبة قليلة، بالنسبة لعدد المسلمين.

(٣) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج ١، ص ٤٢.

(٤) الفراعنة: وفي عهد الملكة زلفا هي ثانية ملكة لمصر بعد الملكة حوربا ابنة طوطيس بن ماليا من نسل ولد نوح عليه السلام. في عهد تلك الملكة طمع العمالقة وهم الفراعنة في أرض مصر وكانوا أقوى الأمم وأعظمهم ملكاً وجسوماً، وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح فقام الوليد بن دومز وهو أكبر الفراعنة بغزو مصر وانتصر عليها ورضوا بأن يملكوه عليهم، معجم البلدان، ص ١٣٩، ج ٥.

واسمها باليونانية مقدونية^(١) وشعب مصر جزء من الأصل السامي الذي منه العرب وبربر المغرب وغيرهم^(٢).

وقال عنها عبدالرحمن بن عمرو بن العاص الفاتح الإسلامي المشهور لمصر وغيرها «هي اليوم أطيب الأرضين تراباً وأبعدها خراباً لن تزال فيها بركة مادام في الأرض إنسان». وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فُطُلٌ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٥).

وقال الصديق يوسف عليه السلام لملك مصر ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٦) ولم يذكر الله جل شأنه في القرآن الكريم مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر.

قال تعالى : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾^(٧). وقال : ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَأْسًا لَّئِمًّا﴾^(٨) وقال : ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينِينَ﴾^(٩). وقال : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْغِيُونَ﴾^(١٠).

وسمى الله ملك مصر العزيز حيث قال : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُّ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ﴾^(١١) وقالوا ليوסף حين ملك مصر ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَاوَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾^(١٢).

(١) معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، المجلد الخامس، بيروت عام ١٣٧٦هـ، بدار صادر ودار بيروت، ص ١٣٧.
(٢) محمد فريد وجدي، دائرة معارف ق ٢٠، المجلد التاسع، الطبعة الثالثة عام ١٩٧١م، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.

(٣) نفس المرجع السابق رقم ٢.

(٤) سورة البقرة — آية ٢٦٥.

(٥) سورة المؤمنين — آية ٥٠.

(٦) سورة يوسف — آية ٥٥.

(٧) سورة الزخرف — آية ٥١.

(٨) سورة البقرة — آية ٦١.

(٩) سورة يوسف — آية ٩٩.

(١٠) سورة يونس — آية ٨٧.

(١١) سورة يوسف — آية ٣٠.

(١٢) سورة يوسف — آية ٨٨.

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَانَهُ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ۖ ﴾ (١)

ومن مفاخر مصر وشعبها على مر الزمان وكر العصور أن :
— مارية القبطية المصرية هي أم إبراهيم ولد الرسول ﷺ .
— هاجر أم إسماعيل عليه السلام مصرية ومحمد ﷺ من نسل إسماعيل وهي بالتالي أم محمد ﷺ .
قال النبي ﷺ موصياً بأهلها خيراً «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم صهرًا» .

قيل للخليفة العربي المسلم هارون الرشيد: مصر خزانة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل مؤونة ثغوره وأطرافه، ويقوت به عامة جنده ورعيته مع اتصالها بالمغرب ومجاورتها أجناد الشام. مع العلم أنه هاجر إليها عدد من الأنبياء وولدوا ودفنوا بها منهم الصديق يوسف، وموسى وهارون، والأسباط وتوجد بها نخلة مريم عليها السلام، ووفد إليها عدد من صحابة رسول الله ﷺ ومات بها عدد منهم عمرو بن العاص، عبدالله بن الحارث الزيري، وعبدالله بن حذافة السهمي، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم (٢).

أما سكان مملكة المقوقس وقت استقباله لمبعوث النبي ﷺ فكانوا خليطاً من الأجناس : قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وأرمن وحبشان إلا أن غالبيتهم قبط. والسبب في وجود هذه الأصناف من الناس المتعددة الأجناس تداول الدول عليها بعد حروب من العمالة واليونانيين والفرس والروم والهكسوس ثم العرب (٣) بعد ذلك. وبالنسبة إلى عقائد القوم فقديمًا كانوا عبّاد أصنام وكواكب وحيوانات وحتى فرعون ادّعى الألوهية فعبدوه.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ قَوْمَ فَزَعُونَ ۖ لَا يَنْفِقُونَ ۖ ﴾ (٤).

(١) سورة يوسف — آية ٢١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٣٨.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الخامس، ص ١٤٠.

(٤) سورة الشعراء — الآيتان ١٠، ١١.

وبعد محاوراة إعلامية أو مناظرة بين نبي مرسل، وهو موسى وإنسان مثاله جبار هو فرعون : قال فرعون لموسى : ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) فأدلى موسى عليه السلام بالبيان الالهي الآتي : قال تعالى : ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾^(٢).

واستمرت الحرب الباردة وهي حرب الإعلام بين موسى عليه السلام وبين الطاغوت حتى أنه أخرجهم أمام زبانيته. ولما لم يجد جواباً شافياً على بلاغات الله الموحى بها إلى موسى قال رداً على أحد البيانات التي أتى بها موسى عن الخالق جلت قدرته وهي ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

أجاب فرعون : ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(٤).

أما عن ديانة المقوقس وشعبه عند وصول رسالة الدعوة الإسلامية إليهم فقد كانت المسيحية، علماً بأن النصرانية دخلت مصر عندما وفد إليها مرقس في منتصف القرن الأول الميلادي حيث بشر بالديانة المسيحية وتبعه نفر قليل وشيدوا لهم كنيسة عام ٩٨م، وكان مذهبهم الأرثوذكسية^(٥).

وفي القرن السابع الميلادي كان هؤلاء في حالة لا يحسدون عليها بسبب تحديات إخوانهم رجال الدين والأباطرة الرومان الذين يختلفون معهم في بعض الأمور المتعلقة بالدين.

يقول المؤرخ الكبير (السيرتوماس. و. أنرولد) ومن المرجح أن تأثير المسيحية في السواد الأعظم من أهل مصر كان قليلاً في القرن السابع، وأن التعليمات النظرية التي استغلها زعمائهم في إثارة شعور الكراهية والمقاومة في وجه الحكومة البيزنطية، كان يمكن أن يدركها عدد قليل من الناس، كما أن سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الفتح العربي قد تكون راجعة إلى عجز الديانة المسيحية، وعدم صلاحيتها للبقاء،

(١) سورة الشعراء — آية ٢٣.

(٢) سورة الشعراء — آية ٢٤.

(٣) سورة الشعراء — آية ٢٨.

(٤) سورة الشعراء — آية ٢٩.

(٥) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد التاسع، ص ٦١٧، ٦١٨. والأرثوذكسية لفظة يونانية مركبة من (أرثو مستقيم وذكس) رأى ومعناها استقامة الرأي أي اتباع العقيدة المسيحية الصحيحة.

أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الأهليين إلى الإسلام، وأن الأساس اللاهوتي^(١). لبقاء اليعقوبيين^(٢) طائفة منفصلة، والشعائر التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتاً طويلاً، ودفَعوا ثمناً غالياً في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صيغتها أشد ماتكون غموضاً وإبهاماً من الناحية الميتافيزيقية^(٣).

ولاشك أن كثيراً من هؤلاء قد تحولوا إلى الإسلام، وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ، وسيطر على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احتدم من حولهم إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله اليسيرة الواضحة ورسالة نبيه محمد^(٤) ﷺ.

وبسبب سوء تصرفات الرومان المتمثلة في الاضطهاد وحرق الكتب، وامتداد أيدي العيث والفساد إلى العقيدة.. كل هذه مجتمعة مع غيرها جعلت مصادر ديانة المسيحيين يعترىها الشك والريب، وتبعاً لذلك نفذت الأهواء والأساطير إلى القلوب. قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٥). وأخذت تشوه العقيدة من غير أن يعقب معقب بدليل ثابت أو سند معتمد، ولقد كان جمهور النصارى يقدس المسيح أعظم تقديس حيث كانت قوة الميشر البلاغية نتيجة لذلك فكلما يزدون في تقديس المسيح يزدون أحاديثهم قبولاً وتأثيراً لدى العامة، وبعد ذلك تحولوا من التقديس المعقول إلى الغلو المرذول فطغوا غلوهم حتى جعلوه إلهاً^(٦). جاء على لسان عيسى عليه السلام موجهاً كلامه للشعب «يقترَب إلي هذا الشعب بفمه ويقرب إلي بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس»^(٧).

(١) اللاهوت : الله كما يقال الناسوت للإنسان، وعلم اللاهوت علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله. انظر معجم الوسيط، ج ٢، ص ٨٤٧.

(٢) اليعقوبيين.. نسبة إلى آل يعقوب البرادعي.

(٣) الميتافيزيقا : هي علم ما وراء الطبيعة.

(٤) السيرتوماس أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص ١٢٥، ١٢٦.

(٥) سورة البقرة — آية ٤٤.

(٦) محمد أبو زهرة، النصرانية، ط ٤، ١٣٩٢هـ، دار الفكر العربي، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٧) إبراهيم خليل أحمد، ص ٤٥ (إنجيل متى ٨-٩).

وطبقاً لما سبق وللخلافات المذهبية بين رجال الكنائس في الشرق والغرب فقد نزل بمصر القبطية العقيدة البلاء، ولم ينقذهم إلا الفتح الإسلامي^(١).

وكما يلاحظ فإن التماذي الذي جنح إليه رجال الدين قد شوّه العقيدة، فبدلاً من اتباع العقيدة الصحيحة التي هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، ونشر السلام والأمن في ربوع العالم، أخذ معظم رجال الكنيسة يسعون إلى تحقيق مطالبهم الدنيوية باستدرا عواطف العامة، بأوهام رخيصة. وهذا بدوره يؤدي إلى الانحرافات المخزية التي وصمت تاريخ الكنائس، سواء في الغرب أو الشرق مما نفر الناس واتجهوا بقلوبهم لترقب ظهور المخلص نبي آخر الزمان لإنقاذهم من الفراغ الروحي المطبق الذي حاق بهم نتيجة للغلو المفرط الذي فرضه رجال الكنيسة في تأليه عيسى المسيح وأمه. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢).

وتقديس جماعات لا حصر لها من القديسين حتى وصل بهم إلى درجة التأليه قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَمْثَلَهُمْ وَرَهْبَتُهُمْ أَوْزَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ لَا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣). ولعن رجال الدين بعضهم بعضاً واضطهد بعضهم بعضاً، وحرّم البعض منهم الآخرين من الكنيسة.

قال تعالى مصوراً غلوهم: ﴿يَتَّاهَلُ الْكُتُبِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٤).

هذه حالة مصر وأقباطها قبل البعثة المحمدية لإنقاذ العالم كله من الوهدة التي وقع فيها بسبب انحراف العقائد، وما نتج عنه من الفراغات الروحية التي عانى منها إنسان ذلك الزمان.

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ

(١) محمد أبو زهرة، النصرانية ط ٤، ١٣٩٢هـ، دار الفكر العربي بالقاهرة، ص ١٨٢.

(٢) سورة الأنبياء — آية ٢٢.

(٣) سورة التوبة — آية ٣١.

(٤) سورة النساء — آية ١٧١.

بَعْدَ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعِيَا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾

وقال جل شأنه: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).
وأبناء الرسالة المحمدية قد ملأت الدنيا بوحدانياتها لخالفها، ونبذها لكل عقائد
الوثنية والشرك والمجوسية على مدار كفاح تسع عشرة سنة تخللها ملاحم بين
الموحدين وأعداء التوحيد من وثنيين ومشركين وهجرة إلى الحبشة المسيحية، وهجرة
واسعة إلى المدينة المنورة، وتجار ينقلون أخبارها، وأجناس شتى من روم وأحباش
وعرب ومجوس وغيرهم يثبون معلوماتهم عنها، ورسائل ووفود يحملون تعاليمها إلى
الآفاق. وكان المقوقس عظيم القبط من المترقبين الذين يستشفون الأخبار عن صاحب
الدعوة وما أتى به، لكون المقوقس من أهل الكتاب الذين يترقبون المخلص الذي بشر
به رسولهم عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعُوا إِلَهُي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
النُّورِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٣). وهذا مصداق لما جاء في كتب أهل
الكتب المقدسة قال الملاك للسيدة هاجر أم إسماعيل عندما أخذها إبراهيم عليه السلام
مع ولدها إلى أرض الحجاز: «لأنني سأجعله أمة عظيمة» (٤) يعني إسماعيل عليه
السلام جد رسول الله ﷺ.

ثم تعزية الله جل شأنه لإبراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى ابنه البكر إسماعيل
في منأى عنه لحكمة أَرادها الله ليعث من صلبه خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبشغف المترقب استقبال المقوقس جماعة من تجار العرب من ثقيف وفيهم
المغيرة بن شعبة، وكان ذلك قبل إسلامه، فقال لهم عظيم القبط كيف خلصتم إلي
وبيني وبينكم محمد وأصحابه..؟ «قالوا لصقنا بالبحر، قال فكيف صنعتم فيما دعاكم
إليه؟ قالوا ماتبعه منا رجل واحد، قال فكيف صنع قومه؟ قالوا اتبعه أحداثهم، وقد
لاقاه من خالفه من مواطن كثيرة.

(١) سورة البقرة — آية ٢١٣.

(٢) سورة البقرة — آية ٨٨.

(٣) سورة الصف — آية ٦.

(٤) إبراهيم خليل، محمد في التوراة والإنجيل، ص ١٠١.

قال فيلام يدعو؟ قالوا: إلى عبادة الله وحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو إلى الصلاة والزكاة ويأمر بصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس: هذا نبي مرسل إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى، وهذا الذي تصفون منه بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر، فقال وفد ثقيف: لو دخل الناس كلهم مداخلنا معه فنغض^(٢) المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب^(٣) (٤).

وهكذا أصبح ملك القبط على علم وبينة بصاحب الدعوة ﷺ عندما قال: هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى. والمقوقس حينما وجه بيانه هذا لوفد ثقيف ومن حضر من رجال دولته إنما كان على بينة من التعليمات والشارات الموجودة في كتبهم المقدسة.

قال تعالى: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا يَخِيلُ﴾ (٥).

ثم قال المقوقس لوفد ثقيف المتعنت «وهذا الذي تصفون منه، بعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبة، حتى لا ينازعه أحد إلى منتهى الخف والحافر. قال رسول الله ﷺ في رسالته إلى هودّة بن علي صاحب اليمامة، وغيره من بعض أمراء قبائل العرب: «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر» (٦).

ووصل حامل رسالة الرسول ﷺ إلى الاسكندرية الواقعة على شاطئ بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وحامل الرسالة هو: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي.. وهو أحد الستة (٧) الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى ملوك وقادة العالم لاعلامهم بدين الإسلام. وحاطب رضي الله عنه هو الذي لبى نداء الرسول ﷺ عندما قال: «أيها

(١) نفس المرجع السابق، ص ١٠١.

(٢) أنغض: هزّ رأسه.

(٣) اللعب: الاشتغال بشيء يفيد قليلاً ويضر كثيراً.

(٤) علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ص ١٠٣.

(٥) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٦) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج١، ص ٤٨.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٠.

الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا إلى صاحب مصر وأجره على الله. فوثب إليه حاطب رضي الله عنه، وقال أنا يارَسُولَ الله، قال : بارك الله فيك يا حاطب» (١).

وَرَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صحابي مشهور فقد شهد بدرًا (٢)، وهو ممن غرس فيهم الرسول قوة الإيمان، والجرأة في قول الحق، وكان حاطب ذكيًا وفطنًا حيث تمكن بقوة إيمانه وشجاعته ومعرفته لأبعاد العقيدة الإسلامية بإيجازه المقنع، من نقد عقيدة القوم وبيان بطلان ما هم عليه بالحجة المفحمة مما يدل دلالة واضحة على عمق فهم هذا الصحابي لواجبات المهمة التي بعثه من أجلها النبي ﷺ لتحقيقها.

قال حاطب رضي الله عنه: «فجئته بكتاب رسول الله ﷺ» فأُنزلني في منزل، فأقمت عنده ليالي ثم بعث إلي وقد جمع بطارقه» (٣)(٤) فأدلى حاطب بالبيان الإعلامي الآتي موجهاً بلاغه للمقوقس بحضور رجاله.

قال : «إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك».

فقال المقوقس : «إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه». قال له حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد (٥) ماسواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشد منهم عليه قریش وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه. النصرارى.

ولعمر الله ما بشاراة موسى بعبسى إلا كبشاراة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته فالحق

(١) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة النبوية، ج٣، ص ٢٩٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، ج٤، ١٩٦.

(٤) البطريق : قائد من قواد الروم تحت امرته عشرة آلاف رجل جمعه بطاريق أو بطارقة. دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثاني، ص ٢٣٣.

(٥) فقد : أجمعت أمهات الكتب، الطبري، زاد المعاد أنها بهذه اللفظة وقد بحثت فلم أستدل على وجود لفظ غيرها.

الكاهن : كهن له يكهن كهانة ويكهن : قضى له بالغيب والكهانة هي استخدام الجن في معرفة الأمور الغيبية، وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب وأشهر كهان العرب سطيج الغساني. أكهن الناس، فقد أنذر بسيل العرم. انظر دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثالث، ص ٢٢٥.

عليهم أن يطيعوه وأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به».

فقال المقوقس : «إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن^(١). الكاذب، ووجدت معه آية^(٢) النبوة بإخراج الخبء^(٣) والإخبار بالنجوى^(٤). سأنظر^(٥).

ثم قرأ رسالة الدعوة وإذ بها :

«بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد بن عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»^(٦) آية ٦٤- آل عمران.

وقال حاطب رضي الله عنه فقال المقوقس : «إني سأكلمك بكلام فأحب أن تفهمه مني».. فقلت تكلم فقال :

«أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً.. ؟ فقلت : بلى وهو رسول الله ﷺ». قال :
فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حين أخرجه من بلده.. ؟ فقلت : عيسى

(١) الكاهن = كهن له يكن كهانه ويكن : قضى له بالغب والكهانة من إستخدام الجن في الأمور الغيبية ، وأشهر كهان العرب : طيطح الفساني .

(٢) آية : علامة أو آية.

(٣) الخبء : ماخبيء، وخبء السماء القطر، وخبء الأرض النبات و (اختبأ) استثمر كما جاء في مختار الصحاح، ص ١٦٧ (المستور).

(٤) النجوى: تناجوا أي تساروا و(انتجاه) أي خصه بمناجاته والاسم النجوى.. مختار الصحاح، ٦٤٨.

(٥) ابن الجوزي، زاد المعاد، المجلد الثالث، ص ٦١، والسهيلي، ص ٥١٧، ٥١٨.

(٦) الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية عام ١٠١٢، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ص ٣٧٧.

— وصبح الأعشى للقلقشندي، ج٦، ص ٣٧٨ ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ١٠٥ مع زيادة أو نقص في بعض الألفاظ لا تخل بالمعنى.

— أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٣٩، وهناك اختلاف واضح في صيغة الرسالة كما في المراجع السابقة حيث فيه إيدان بالحرب والرسول لم يلجأ إلى ذلك الأسلوب في دعوته كما أن الألفاظ مختلفة عن كتب الرسول فقد جاء بالكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله إلى صاحب مصر أما بعد فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً قرآناً مبيناً. وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني ويدخل الناس فيه، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحديته تعالى، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت والسلام».

بن مريم أليس هو نبياً ؟ قال : أشهد أنه رسول الله. قلت : حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله. قال : أنت حكيم جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ﷺ وأبعث معك ببدرقة بيدرقونك إلى (١) مأمئك (٢).

- يقول الإعلاميون يجب أن يتميز رجل الإعلام أو الدعاية بصفات خاصة منها :
- ١ — أن يكون محل ثقة الفرد أو الجماعة الذي توجه إليه المعلومة.
 - ٢ — أن يتصف بالتقدير والتجربة والصدق.
 - ٣ — أن يكون متخصصاً فيما يدعو إليه أو يريد تحقيقه بعلمه وتجاربه (٣).

بالنسبة إلى الفقرة الأولى من هذه الشروط اللازمة لنجاح العملية الإعلامية فقد كان المقوقس يشعر نحو النبي محمد ﷺ بالثقة والصدق، انظر إلى محاورته مع وفد ثقيف وخلاصة رأيه حينما قال : «هذا نبي مرسل إلى الناس كافة ثم تعال معي وتمعن في ملاحظته على بيان رسول رسول الله ﷺ» حيث أجاب بإخلاص (إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى سأنظر).

هذه الإجابات يستفاد منها أن الرجل قد عرف أن محمداً مرسل من عند الله، وأنه نبي آخر الزمان، ثم مع ذلك نجده لا يزال يكابر لأنه عزّ عليه أن يكون النبي من العرب حيث قال : قد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام (٤). وهناك تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج من العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لو تطاوعني في اتباعه (٥).

- ٢ — وحول الشرط الثاني فعلى الرغم من أن وفد ثقيف خصم لدود ضد تعاليم

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام، ج٤، ص ٩٦.

(٢) بدرقة : فرقة من الجند مهمتها حماية من يوكل إليها حمايته، وييدرقون بمعنى يحمونه من الأعداء.

(٣) دكتور محمد عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، ص ١٠٢.

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ط١، ص ٢٦٠.

(٥) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكيم، فتوح مصر وأخبارها، إعادة طبعة بالأؤفست مكتبة المشنى ببغداد، ص ١٤٧.

الرسالة المحمدية حيث قال : « لو دخل الناس كلهم ما دخلنا معه ». إلا أن ذلك لم يمنعهم أن يقولوا الحق فيما يدعو إليه محمد ﷺ حيث أنهم أجابوا المقوقس على استفساره (محمد يدعونا أن نعبد الله وحده ويدعو إلى الصلاة والزكاة). ونتيجة لمحاورة المقوقس مع مبعوث الرسول ﷺ أمام بطارقه (والتي استطاع مبعوث رسول الإسلام أن يحقق فيها كسباً (نصراً) إعلامياً لدين التوحيد في أرض الشرك عندما سلم المقوقس أمام أصحابه بقوة حجة رسول الرسول، وانتصاره عليه في الوقت الذي أراد المقوقس إحراجه). قال المقوقس معترفاً بصدق ما يدعو إليه محمد ﷺ مع أنه لم يعلن صراحة إعلان إسلامه ودعوة قومه واكتفى بقوله للمبعوث «أنت حكيم جاء من عند حكيم».

٣ — أن يكون متخصصاً في مادته بعلمه وتجاربه، ومحمد ﷺ متخصص فهو مكلف من الخالق بنشر رسالة التوحيد.

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

وقال جل شأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

ومحمد ﷺ .. كما وصفه ربه ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٤). ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٥).

وكان حامل الرسالة على مستوى المسؤولية والمهمة التي بعث من أجلها، فقد كان طلق اللسان أثناء المحاورة، وترجمان سيده.. وقد أورد القلقشندي محاورة هي عبارة عن مناظرة تحد بين مبعوث الرسول وملك القبط حيث قال المقوقس لحامل الرسالة ما منعه (يقصد النبي) أن يدعو عليّ فيسلط عليّ !! قال له حاطب : مامنع عيسى أن يدعو على من أبي عليه أن يفعل ويفعل ؟؟؟ فوجم ساعة ثم أعادها فأعادها عليه حاطب فسكت، ويروى أنه حين سأله

(١) سورة البقرة — آية ١١٩.

(٢) سورة سبأ — آية ٢٨.

(٣) سورة الفتح — آية ٨.

(٤) سورة آل عمران — آية ١٥٩.

(٥) سورة القلم — آية ٤.

عن أمر النبي في حرب قومه، وذكر له أن الحرب تكون بينهم سجالاً. تارة له وتارة عليه قال له المقوقس : النبي يغلب ؟!! فقال له حاطب فالإله يصلب !! يشير بذلك إلى ما تزعمه النصارى أن المسيح عليه السلام صلب مع دعواهم فيه أنه إله^(١).

والأمر يدعونا إلى الوقوف قليلاً عند بعض فقرات البيان الإعلامي التذكيري الذي ألقاه مبعوث الرسول بين يدي عظيم يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.. فاعتبر بغيرك». قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۖ سَيَذَكِّرُنَا بَلَدُنَا﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۖ﴾^(٣) إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَنُفِثُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) وكان الرجل الذي يزعم أنه إله هو فرعون مصر. قال تعالى على لسان موسى موضحاً لفرعون وملئه الرب الذي يعبدونه ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٦). وانطلاقاً من الجبروت قال له فرعون ﴿لَيْنَ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾^(٧). وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا بَعْرَةٌ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَجُنُّ الْغَلَبُونَ﴾^(٨).

وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً موسى عليه السلام : ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٩).

(١) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٦ ط ١، عام ١٣٨٣هـ، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ص ٣٨٩.

(٢) سورة الأعلى — الآيتان ٩، ١٠.

(٣) سورة الغاشية — الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة آل عمران — الآيتان ١٣٧، ١٣٨.

(٥) سورة الشعراء — آية ٢٨.

(٦) سورة الشعراء — آية ٢٩.

(٧) سورة الشعراء — آية ٤٤.

(٨) سورة طه — آية ٢٤.

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١﴾ ۝ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ﴿٢﴾ ۝ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٣﴾ ۝ وَقَالَ جَل شَأْنُهُ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٤﴾ ۝

وقال تعالى معللاً هلاك الأمم الفاسدة : ﴿ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿٥﴾ ۝

وقال مبعوث رسالة الإعلام مدعماً بلاغه بمصير الطاغية وفي نفس الوقت مبصراً المقوقس ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ ۝

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْهِمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿٧﴾ ۝

وكما يلاحظ فإن الفكرة (مضمون الرسالة الإعلامية) هي أساس العمل الإعلامي، والفكرة دينية وتخدم في ذات الوقت أغراضاً أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية. ومن شروطها :

١ — يجب اختيار أحسن وسيلة اتصال جماهيري لتوصيلها إلى المرسل إليه، واختار الرسول ﷺ الوسيلة وهي الكتاب وحامل الكتاب ومهمته الإجابة على كل نقطة وشرح كل ما تدعو إليه الدعوة وبذلك استخدم الرسول ﷺ وسيلتين إعلاميتين : إعلام تدويني.. وإعلام شفهي. ولاحظنا قوة نجاح الوسيلة الثانية حيث انتصرت بالإقناع والحجة على ملاحظات وتحديات المرسل إليه، والمرسل إليه سلّم بذلك. فضلاً عن نجاح الوسيلة الأولى وهي الكتاب.

(١) سورة البروج — الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) سورة الفجر — آية ١٠.

(٣) سورة طه — آية ٧٩.

(٤) سورة يونس — آية ٧٥.

(٥) سورة الأنفال — آية ٥٢، ٥٣.

(٦) سورة النازعات — آية ٢٥.

(٧) سورة المزمل — الآيتان ١٥، ١٦.

٢ — أن تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل إليه. والمرسل إليه على علم تام بالفكرة قبل وصولها إليه عندما كان يتقصى أخبارها وهي في مهدها ومن خلال ما وصله من أخبارها عندما انتصرت على قريش في الحبشة وتأييد النجاشي لها. والنجاشي ملك نصراني كما سلف ذكره وهو جار في الملك للمقوقس والرسالة واضحة للمرسل إليه أكثر عندما علم بها المقوقس من وفد ثقيف العربي حيث أيدها.

٣ — أن تتمكن من تحقيق التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب، وفعلًا حققت هذا المطلوب من خلال مناقشة المقوقس لوفد ثقيف ومن خلال بيان مبعوث الرسول ﷺ حيث قال عظيم القبط : «أنت حكيم جاء من عند حكيم». وأن تكون الفكرة من الأمور التي يمكن تنفيذها. وهي تخدم مصالح المرسل إليه، وهو في حاجة إليها. وهذا الذي أكدته المقوقس عندما طلب من حاطب مبعوث الرسول ﷺ أن يجتمع به على انفراد وليس عنده إلا الترجمان وسأله عن بعض الأمور المتعلقة بالدعوة وصاحبها ﷺ فقال خبرني عن أمور أسألك عنها فإني أعلم أن صاحبك قد خبرك حين بعثك قال لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال : إلام يدعو محمد.. ؟ قال إلى أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ونخلع ماسواه ويأمر بالصلاة. قال فكم تصلون.. ؟ قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم. قال : من أتباعه.. ؟ قال : الفتيان من قومه وغيرهم. قال : فهل يقاتل قومه.. ؟ قال : نعم. قال صفه لي.. قال : فوصفته بصفة من صفاته لم آت عليها قال : بقيت أشياء لم أرك ذكرتها في عينيه حمرة. قال : ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتري بالثمرات. لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم، قلت هذه صفته ؟ قال : كنت أعلم أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني ولا أحب أن يعلم أحد بمحاورتي معك وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا هاهنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً فارجع إلى صاحبك»^(١).

(١) أبو القاسم عبدالرحمن عبدالله بن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، إعادة طبعة بالأوفست، مكتبة المشى ببغداد، ص ٤٦، ٤٧.

٤ — يجب أن تكون الدعوة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة لها مقدماً مع تنفيذها وإظهار خطئها، وبذلك يتحصن المرسل إليه ضد أية فكرة^(١) وهذا ما شرحه المبعوث بوضوح لا يلتبس عليه حيث ألزم المرسل إليه بالتسليم عندما قال المرسل إليه : النبي يغلب !؟. فرد عليه المبعوث : الإله يُصلب !!، أي إذا كنتم لا تصدقون أن الأنبياء تهزم في بعض المعارك الجانبية فكيف تصدقون وتعتقدون أن إلهكم حسب زعمكم قد صلب.

ولاشك أن هذا الموقف قد جعل المقوقس يعيد حساباته ويطلب فوراً الاجتماع المغلق على انفراد بمبعوث الرسول ليستوضح الأمر بجلاء. والملاحظ أن نتائج تلك الجلسة المغلقة المتضمنة تأكده من نبوة محمد «ﷺ» وما أرسل إليه وأن دينه سيكون المسيطر المنتشر.

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٢).

وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣).

ومن رأي الإعلاميين أنه من الأفضل أن تكون الفكرة متفقة مع المجتمع كله لأن المرسل إليه يحقق أفكاراً بشرط أن يسلك السلوك الذي ترضى عنه جماهير أُمته التي يتولى أمرها. والمعروف أن الجماهير كانت على الديانة المسيحية إلا أنها ذاقت صنوفاً من الاضطهاد والتشريد وخسارة في الأموال والأرواح نتيجة لتعسف وتجبر إخوانهم في الدين من الرومان الذين حاولوا بكل الجهود أن يجبروهم على اعتناق مذهبهم، وهم رغم هذا في معظمهم سذج وروح الإيمان عندهم ليست عميقة ولا تقوم على أساس من الاعتقاد المتين نظراً لافتراءات رجال الكنيسة وما أدخلوه على العقيدة من أساطير وطقوس شوهدت الدين أكثر مما قوته في القلوب والنفوس لتحقيق أغراضهم الدنيوية.

(١) دكتور عبدالقادر حاتم، الإعلام والدعاية، نظريات وتجارب، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة التوبة — آية ٣٣.

(٣) سورة النحل — آية ٦٤.

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١).

لذلك فقد كانوا ينتظرون المخلص الذي ينقذهم مما هم فيه من عذاب ويخرجهم
من دائرة مفرغة جعلتهم في دوامة من أمرهم فنزلت بهم، وبما يعتقدون من شرك،
أسفل سافلين.

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا
كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ
الْعَرَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ
اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ
اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٢٥﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ
اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤).

ويبدو أن المقوقس قد اقتنع شخصياً بشكل ظاهري بالدعوة إلى الوجدانية وأن
محمداً ﷺ هو الرسول المنتظر الذي بشرت به الكتب المقدسة من قبل التوراة
والإنجيل.

قال تعالى : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن
قَبْلِكَ ﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

(١) سورة التوبة — آية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف — آية ١٤٦.

(٣) سورة النحل — آية ٦٤.

(٤) سورة التوبة — الآيتان ٣٠، ٣١.

(٥) سورة النساء — آية ١٦٢.

بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١﴾

ورغم تصديق الرجل الظاهري إلا أنه كتب إلى الرسول ﷺ متلفظاً دون أن يعلن إسلامه فلننظر إلى إجابته :

كتب «لمحمد بن عبدالله من المقوقس سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وماتدعو إليه. وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها. والسلام» (٢).

وكان المقوقس يعتقد أن النبوة لا تظهر إلا في بلاد الشام حسب قوله (وقد أظن أنه يخرج بالشام) وكان الشام مكان مخصص لظهور الأنبياء وأن النبوة من نسل إسحاق. قال تعالى : ﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عَنْهُمْ﴾ (٣).

(١) سورة الشورى — آية ١٣.

(٢) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الثالثة، عام ١٣٩٩هـ، ص ١٠٧ وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، ج١، ص ٤٣، والسيرة الحلبيّة، ج٣، ص ٢٩٦، ٢٩٧، والواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص ٤٣ حيث جاء فيها «باسمك اللهم من المقوقس إلى محمد أما بعد فقد وصل لي كتابك وفهمته وأنت تقول إن الله أرسلك رسولا وفضلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرآناً مبيناً، فكشفنا يا محمد خبرك فوجدناك أقرب دأج إلى الله وأصدق من تكلم بالصدق ولو لا أنني منك ملكاً عظيماً لكنت أول من آمن بك لعلمي أنك خاتم النبيين وإمام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته إلى يوم الدين». قال وسلم الكتاب والهدية إلى حاطب وقبله بين عينيّه، وأنه قال لحاطب بالله عليك قبل بين عيني محمد عني هكذا.

— الجاريتان : مارية بنت شمعون اختارها الرسول ﷺ لنفسه وولدت له ابنه إبراهيم وأختها سيرين حيث أهداها إلى حسان بن ثابت الشاعر المشهور وأنجبت له عبدالرحمن بن حسان، والجاريتان من أهل حصين من كورة أنصنا، وقيل إن عدد الجوّاري أكثر من أربع كما جاء في الكامل لابن الأثير، ج٢، ص ٢١١. — وأهدى له بغلة شهباء سمّوها الدلدل وحماراً أشهب سمّوه يعفور وثياباً من قباطي مصر. وعسلاً من عسل بنها. كما جاء في فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكيم، ص ٤٨.

وأضاف السهيلي أن من ضمن الهدايا غلاماً اسمه مأبور، وقدحاً من قوارير كان يشرب به النبي ﷺ، وأرسل مع الهدية طبيباً فقال له النبي: ارجع إلى أهلِكَ «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع». انظر: الجمهرة، ج١، ص ٤٣.

(٣) سورة يونس — آية ٢.

وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن المقوقس أخذ كتاب رسول الله ﷺ فقرأه وقال خيراً فجعله في حُق^(١) من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته وكتب إلى النبي : «قد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها». ولم يزد على هذا ولم يسلم.

فتقبل رسول الله هديته وقال النبي ﷺ : «ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه»^(٢). والمقوقس كما يلاحظ من إشارة النبي ﷺ خبيث ماكر مراوغ تأكد من ظهور النبي وأن مادعا إليه هو مذكور عندهم في كتبهم المقدسة ولا يوجد شك في أن متابعة الرجل للأحداث في شبه جزيرة العرب بخصوص الدعوة الإسلامية والنبي ﷺ من خلال سؤاله لوفد ثقيف أو من محاوراته مع مبعوث الرسول ﷺ ومن إجاباته لتدل كلها على أن الرجل عالم بما تحتويه كتبهم المقدسة من بشارات بظهور دين التوحيد الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام.

فقد جاء على لسان موسى عليه السلام «يقيم الرب إلهك من وسطك، من إخوتك مثلي له تسمعون»^(٣).

وقال عيسى عليه السلام للحواريين : «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم لكن لا تستطيعون الآن أن تتحملوا وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية»^(٤). قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦). وقال تعالى : ﴿الَّذِي يَخْدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(١) حُق : علية.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ص ٣٨.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٤.

(٥) سورة البقرة — آية ١٤٦.

(٦) سورة الأنعام — آية ٢٠.

وَالْإِنْجِيلَ ﴿١﴾.

وتصرف المقوقس يدل على سوء عمله وعدم إعلام شعبه صراحة بصدق الدعوة المحمدية وقبولها واعتناق الإسلام دينا والاعتراف بمحمد نبياً ليكون قدوة لقومه من الأقباط، ولكنه أخفى هذا خشية على سلطنة الدنيوي الزائل، وينطبق عليه قوله تعالى : ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَهْدَىٰ﴾ ﴿٢﴾. قال تعالى : ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣﴾ . وقال جل شأنه : ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِیَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤﴾.

والمقوقس غلط نفسه ولم يسلم ولم يشرح لعامة الناس صدق الدعوة الإسلامية وأنها خاتمة. قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٥﴾.

ومقوقس الأقباط عالم بما أحدثه فرعون مصر وبنهايته السيئة وكذلك الأمم الأخرى ويعلم أن محمداً هو خاتم الأنبياء ومع ذلك تناسى هذا كله. قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾.

ورئيس الأقباط سأل عن الدين الإسلامي وعن النبي محمد «عليه الصلاة والسلام» ورغم تأكده من صدق نبوة محمد «ﷺ» إلا أنه لم يؤمن بها قال تعالى : ﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿٧﴾. وقال تعالى : ﴿قِيلَ لِلنَّاسِ مَا أَكْفَرُهُمْ﴾ ﴿٨﴾.

والمقوقس خبيث ماكر خداع عندما أرسل الهدايا ولم يسلم وقال تعالى : ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ ﴿٩﴾.

(١) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٢) سورة طه — آية ٧٩.

(٣) سورة القصص — آية ٨٣.

(٤) سورة الزمر — آية ٢٢.

(٥) سورة الزمر — آية ٦٠.

(٦) سورة الحج — آية ٤٦.

(٧) سورة المدثر — الآيات ١٨، ١٩، ٢٠.

(٨) سورة عبس — آية ١٧.

(٩) سورة الرعد — آية ٣٣.

الأشـار والدلالات الإعلـامية المسـتفادة من رسـالة الرسول صـلى الله عليه وسلم إلى المفـوق عـظيم القـبط

١ — بدأها صلوات الله وسلامه عليه بالإعلام برسالة التوحيد بدليل (بسم الله الرحمن الرحيم) فالله سبحانه وتعالى عدل كله ولا ظلم في رحابه أبداً (إنه الرحمن الرحيم) ورحمته أحاطت بكل شيء، فالاندفاع إلى الله بالرجاء وقت الضراء، والشكر وقت السراء من صفات من يعتنق الإسلام، لأن دين التوحيد يحرر معتنقه من خوف الفقر، وعبودية المناصب، ورهبة السلطان، وأن الحياة الفانية متصلة بالله القادر الرحيم.

وقد أثبت القرآن الكريم والمبعوث الأمين وحدانية الخالق المطلقة لأن طريقة انتظام المخلوقات في طابع واحد سيؤكد أن موجدتها واحد^(١) قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كُذِّبَ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ... إلى قوله آيات لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

حكمة منه «ﷺ» ذكر اسمه مجرداً وأنه عبد الله قال رسول الله «ﷺ»: «الناس سواسية كأسنان المشط»^(٤) لأن الإسلام ينهى عن تعظيم الشخص لذاته ويبين أن الكل من ذرية آدم وحواء. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥). وقال

(١) الدكتور أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية .. أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني في بيروت، ص ٣٢، ٣٨.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٨.

(٣) سورة البقرة — الآيتان ١٦٣، ١٦٤.

(٤) حديث شريف.

(٥) سورة الحجرات — آية ١٣.

تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١). وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُواْ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

٢ — (الإعلام بأن محمداً رسول الله) :

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (٣). وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٤). وهو سبحانه يصطفي من الملائكة ومن البشر رسلاً كما قال : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٥).

وهو جل شأنه يعلم حيث يجعل رسالته كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٦).

وقال تعالى : ﴿ يَتَّيِّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٧). وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨).

ذكر وظيفة المرسل إليه بصورتها الدنيوية الرفيعة دون مبالاة بدليل «سلام على من اتبع الهدى». وذلك لإظهار حجم المسؤولية الكبيرة الموكولة إلى المقوقس فهو عظيم القبط وأنه ملك قومه وهو مسؤول عنهم إذا اتبع الهدى اتبعوه وإذا استمر على شركه فلن يكون عرضة للعذاب عن نفسه فقط وإنما يتحمل إثم أتباعه من الأقباط.

قال تعالى : ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٩). وقال

(١) سورة الفرقان — آية ١.

(٢) سورة فصلت — آية ٦.

(٣) سورة الفتح — آية ٢٩.

(٤) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

(٥) سورة الحج — آية ٧٥.

(٦) سورة الأنعام — آية ١٢٤.

(٧) سورة المائدة — آية ٦٧.

(٨) سورة الفتح — آية ٨.

(٩) سورة طه — آية ٤٧.

تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (١). وقال جل شأنه : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢) ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (٣).

ومسؤوليته عن أتباعه أمر مفروغ منه لأن معظم الناس يسيرون في معتقداتهم على ما ينتهجه ملوكهم وبذلك فالناس كما يقال : (الناس على دين ملوكهم) قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴾ (٤) رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٥).

التحية في الرسالة السلام على من اتبع الهدى.. وفيها تحفظ واحتياط فاقتصرت على من يتبع الهدى.

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٦).

وأن الإسلام ينجي من يعتنقه في الدنيا والآخرة، بخلاف من يعتقدون أن المخلص هو المسيح عند اليهود والنصارى الذي سوف يقوم بمهمة تحقيق السلام في الدنيا ويضمن لهم النعيم في الآخرة، ومحمد (ﷺ) هو المخلص الذي جاء بدين الإسلام الذي لو اتبعوه لأنقذهم من غلوائهم وعدم اطمئنانهم في الدنيا ومن العذاب في الآخرة قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٧).

وقال جل من قائل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٨).

وبهذا فإن السلامة في الدنيا والنعيم في الآخرة لمن يسلم (أسلم تسلم).
بشرى بالثواب المضاعف أولهما لنفسه وثانيهما لهداية قومه عندما يدخلون في

(١) سورة طه — آية ٥٠.

(٢) سورة طه — آية ١٢٢.

(٣) سورة الأحزاب — آية ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة الصف — آية ٩.

(٥) سورة آل عمران — آية ٨٥.

(٦) سورة المائدة — آية ٣.

الإسلام تبعاً له. قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

٣ — (التحذير) :

وهو يبدأ من قوله «ﷺ» فإن توليت.. والرسول «ﷺ» يحمله إثم قومه ثم يشرح صلب العقيدة الإسلامية وهو تحريم الشرك بالله سبحانه وتعالى (أن لا نعبد إلا الله) قال تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢﴾﴾ وقال سبحانه : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٣﴾﴾. وقال جل من قائل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٤﴾﴾.

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿٥﴾﴾.

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

٤ — (إعلام بأن الإسلام أمانة شخصية في عنق من يعتنقه) :

والرسول «ﷺ» بعد إبلاغ الدعوة لا يتحمل مسؤولية من يرفضها.

قال تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٧﴾﴾.

(١) سورة يونس — الآيات ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة الشعراء — آية ٢١٣.

(٣) سورة الأنبياء — آية ٢٢.

(٤) سورة النساء — آية ١١٦.

(٥) سورة المائدة — آية ١٧.

(٦) سورة الأنعام — آية ١٤.

(٧) سورة العنكبوت — آية ٤٦.

وقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغَتْ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٢) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(٣).

وقال سبحانه : ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾^(٤). وقال جل شأنه : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٦). وقال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٧).

ورسالة الرسول ﷺ الموجزة تتضمن مدخلا إعلاميا دوليا موقفا ثم بيان عصب دعوة التوحيد بالدين وتحذير وإنذار وإيضاح لأهم ما تهدف إليه العقيدة الإسلامية وهو عدم الإشراف بالله.

(١) سورة المائدة — آية ٦٧.

(٢) سورة الغاشية — الآيتان ٢١، ٢٢.

(٣) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٤) سورة يونس — آية ٩٩.

(٥) سورة الأنعام — آية ١٠٧.

(٦) سورة يونس — آية ٢٣.

المبحث الخامس

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم بصرى^(١)

كان مبعوث الرسول ﷺ «شجاع بن وهب الأسدي» من المسلمين الأولين وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة، وبعدها إلى المدينة المنورة، وشهد بداراً كما أنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستشهد يوم اليمامة^(٢). وحياته بذلك حياة الرجال الأفاض الذين تخرجوا من مدرسة النبوة، وأهم مادة فيها توحيد الله والإخلاص في عبادته متمثلة في هجراته بدينه إلى الحبشة والمدينة واشترأك في معارك الإسلام الكبرى ببدر وغيرها، ولقد اكتسب من هجراته بدينه وجهاده لإعلاء كلمة الإسلام التجارب التي أهلته للقيام بالمهمة المنوطة به، لإيصال رسالة التوحيد إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وغيرها، قال شجاع رضي الله عنه. فأتيته وهو بغوطة^(٤) دمشق «يعني الحارث» وهو مشغول بتهيئة الانزال^(٥) والألطف لقيصر^(٦) فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة^(٧) وأنه ذكر

(١) كان الحارث أو الحرث الغساني ملكاً على تخوم الشام حسب رواية ابن هشام، ج٤، ص ٢٧٩، ويفيد الطبري أن شجاع بن وهب أرسل للمنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، م٣، ص ٨٨ وابن كثير، ص ٢٨٨.

(٢) بصرى في الشام من أعمال دمشق وهي قسبة كورة حوران مشهورة عند العرب (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي، ١م، ص ٤٤١) وقال الواقدي: «كانت بصرى آهلة بالسكان والعرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز» وأثناء حصار بصرى من قبل المجاهدين العرب. قال خالد بن الوليد إلى شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما «أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠. علماً بأن الرسول ﷺ قد مرّ ببصرى وبها دير بحيري الراهب. انظر: الدكتور علي أبا حسين، ص ٩٧.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٣٨٦.

(٤) غوطة: بالضم هي الكورة التي منها دمشق، وهو محل معروف بكثرة المياه والشجر.

(٥) الإنزال: جمع نزل مكان النزول.

(٦) الألطف: وسائل الراحة.

(٧) قيصر: قيصر الروم الذي نذر إذا انتصر على الفرس أن يسير على قدميه من حمص إلى ايليا لوضع الصليب الكبير الذي سبق وأن أخذه الفرس. انظر: النويري نهاية الأرب، ج١٨، نسخة مصورة، دار الثقافة والإرشاد بالقاهرة، ص ١٦٥.

لحاجب الحارث أنه رسول رسول الله إليه وأفهمه الحاجب أنه لا يصل إليه في وقت معين، كما أن الحاجب واسمه مري كان رومياً وأخذ يسأل عن صفة النبي ﷺ وما يدعو إليه وكان يحدثه عنه فيرق قلبه ويبكى. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَحْدُوثُهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢) ويقول إني قرأت الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أؤمن به وأصدق به ولكن أخاف من الحارث أن يقتلني، ولقد وجد شجاع إكراماً من الحاجب المذكور، وفهم منه شجاع أن الحارث يخاف القيصر^(٣) وفي يوم خرج الحارث ووضع تاجه على رأسه وسمح لشجاع بالدخول فدفع إليه كتاب النبي ﷺ فقرأه وإذ به :

«بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك^(٤)^(٥) وبعد قراءة رسالة الدعوة رمى بها الحارث وهدد قائلاً بكل عتو ونفور، وصدق الله إذ يصف حالة هذا المتكبر الصلف ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ السُّبُلِ فَخُذُوا ذُرِّيَّتَكُمْ بِحَبْلٍ وَبِإِذْنِ اللَّهِ يَكُنْ لَكُمْ رَحْمَةٌ﴾^(٧).

ولم يترث الحارث ويتأكد من الرسالة وما جاءت به من سلام وخير قال تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٨).

والحارث كان عربياً، فكان الأولى به أن يستمع إلى دعوة النبي ﷺ العربي الذي

(١) سورة الحج — آية ٣٥.

(٢) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

(٣) الشيخ علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ج١، ص ١٣٥.

(٤) السيرة الحلبية، ج٣، ص ٣٠٤ والطبري، ج٣، ص ٨٨.

(٥) يبقى لك ملكك : وعد له بأن يبقى على مملكته ولا يؤخذ منه. خالي من البسمة ومن (من رسول الله إلى

الحارث بن أبي شمر» مع بعض الاختلافات، انظر : محمد صالح البنداق في صحبة النبي، ص ١٣٥ كما في

الحلبية، وعون الشريف دبلوماسية محمد، ص ٢٥٨ (فاني بدل) وإني ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور

محمد حميد الله، ص ٩٧.

(٦) سورة الحشر — آية ١٩.

(٧) سورة الانفطار — الآيتان ٦، ٨.

(٨) سورة النحل — آية ٧٢.

سوف يشرح له أبعاد العقيدة الإسلامية وصاحبها «ﷺ»، وما يأمر به ويدعو إليه ولكنه تولى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (١) فقال: «من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن لجنته عليّ بالناس فلم يزل جالساً يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيّل أن تنعل ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب لقيصر يخبره الخبر، وفي ذلك الوقت كان قيصر يتداول أمر رسالة النبي مع دحية الكلبي مبعوث الرسول «ﷺ» ولقد أفهم قيصر الحارث بعدم المسير للرسول وأمره أن يشتغل بابيليا (٢) ليهيء لقيصر الإنزال ببيت المقدس (٣) وبعد ذلك دعا الحارث شجاعاً وبعد أن عرف منه وقت عودته أمر له بمائة مثقال من ذهب ووصله الحاجب الرومي بنفقة وكسوة، وأوصاه الحاجب أن يقرأ منه على رسول الله «ﷺ» السلام ويخبره أنه متبع دينه.

وبعد عودة شجاع أعلم الرسول «ﷺ» بما جرى مع الحارث فقال الرسول «ﷺ» باد: أي هلك ملكه (٤) ويقال إن شجاعاً بن وهب أرسل إلى الحارث والي جبلة بن الأيهم وأنه عند مقابلته جبلة ألقى أمامه البيان الإعلامي الإسلامي التالي:

«فقال له يا جبلة إن قومك نقلوا هذا النبي من داره إلى دارهم يعني الأنصار فأووه ومنعوه ونصروه، وأن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس، فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة. وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع والأذان بالناقوس والجمع بالشعائين، وكان ماعند الله خير وأبقى».

قال جبلة: «إني والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والأرض وقد سرني اجتماع قومي له وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤته فأبيت عليه ولكني لست أرى حقاً ولا أبالي وسأنظر». وقيل إنه كتب لرسول الله بإسلامه وأرسل الهدية وبقي ثابتاً على إسلامه حتى خلافة عمر بن الخطاب (٥) وهذا بيان واضح وغني عن الشرح أو التوضيح، لأنه بلغة من أرسل إليه قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

(١) سورة محمد — آية ٣٣.

(٢) ايليا: بيت المقدس، ومعنى ايليا بالعبرانية بيت الله.

(٣) السيرة الحلبية، جـ ٣، ص ٣٠٥.

(٤) السيرة الحلبية، جـ ٣، ص ٣٠٥.

(٥) السيرة الحلبية — جـ ٣، ص ٣٠٦.

قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ولأن من أرسله نبي عربي صادق الدعوة فقد فهم جبله بن الأيهم اقتنع، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُزَيَّرُ بِهِ قَوْمًا لِّلَّذِينَ﴾ (٢) ولكن طلب مهلة للتفكير ففعلاً انتهى به التفكير إلى اعتناق الاسلام.

والمقارنة بين موقفي جبله بن الأيهم المتعقل، وموقف الحارث بن أبي شمر المتغطرس توضح لنا مدى فائدة التريث والاستماع إلى كلام الله وفهم أهداف الرسالة وماتدعو إليه قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

وأما موقف الحارث بن أبي شمر الغساني فينم عن العصيان والتجبر الذي تكون نهايته الوبال والدمار على صاحبه.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا كَانَ لَابِنَا عَيْنِدَا ﴿١٦﴾ سَازِجُهُ صَعُودًا﴾ (٥).
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦).

والحارث عندما هدد وأعد العدة للتوجه لمحاربة الرسول ﷺ وأعلم هرقل بمخططه واستثذانه إياه للسماح له بذلك (لأنه تابع وعميل لدولة الشرك) إنما يؤكد سوء كفره بعدم التصديق، ونفاقه المذل المخزي لقيصر، وصدق الله حيث يقول: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ إِنْ سَأَلُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ إِذَا هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٧).

(١) سورة يوسف — آية ٢.

(٢) قوماً لدا : شديدي الخصومة بالباطل.. سورة مريم — آية ٩٧.

(٣) سورة الاسراء — آية ١٥.

(٤) سورة الأنعام — آية ١٢٥.

(٦) سورة البينة — آية ٦.

(٧) سورة التوبة — الآيتان ٦٧، ٦٨.

(٥) سورة المدثر — الآيتان ١٦، ١٧.

الآثار والدلالات الإعلامية المستفادة من الرسالة النبوية إبلاغ الحارث الغساني وغيره من أمراء القبايل ومنهم تحت حكم بدعوة الإسلام

١ — الاعلام بظهور الإسلام (بسم الله الرحمن الرحيم) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (٣).

٢ — إن المكلف بالدعوة إلى دين التوحيد هو الرسول محمد بن عبد الله قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۗ وَبَلِّغِ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٥).

٣ — ذكر الحارث باسمه مجرداً ودون ألقاب وذلك لكونه «عليه السلام» يخاطب رجلاً عربياً يفهم مايقال ولأن الكتاب باللغة العربية موجه إلى عربي مدعو لاعتناق الإسلام. لأن العرب مدعوون جميعاً لاعتناق دين الوجدانية وهم مكلفون بنشره قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (٧).

(١) سورة الاخلاص — الآيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) سورة طه — آية ٨.

(٣) سورة الشعراء — آية ٢١٣.

(٤) سورة الجمعة — آية ٢.

(٥) سورة فصلت — آية ٦.

(٦) سورة البقرة — آية ١٤٣.

(٧) سورة آل عمران — آية ١١٠.

٤ — التحية (السلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق) السلام هو تحية الإسلام فمن يتبع الهدى وهو هدى الله ويؤمن بوحداية الخالق، ويصدق بالدعوة الإسلامية فعليه السلام، وبذلك اشترطت التحية لمن يؤمن ويصدق بالله الواحد الأحد وبدعوة الاسلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا﴾^(٢).

٥ — دعوة الحارث بن أبي شمر الغساني إلى نبذ عبادة الشرك وصرف العبادة للواحد الأحد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾^(٣).

وقال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلُ الْطَعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾^(٥).

٦ — اعتناق الإسلام سبيل لضمان السلامة والسعادة في الدنيا والنعيم الدائم في الآخرة، وبذلك فإن الاعتماد على غير الله سبيل إلى الهاوية والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

٧ — تحذير بأن بقاء سلطانه مرهون باعتناقه لديانة التوحيد واتباع تعاليم الإسلام.

٨ — الرسالة مع أنها موجزة إلا أنها واضحة تماماً ومفرداتها محدودة ومعانيها تعطي الغرض المطلوب منها وهي بلغة يفهمها المرسل إليه وحاملها قوي الإيمان بما فيها وعلى استعداد للإجابة على كل نقطة فيها بما يؤيده من كلام الله وتعاليم رسوله الأمين ﷺ.

(١) سورة طه — آية ١٤.

(٢) سورة الصف — آية ٩.

(٣) سورة البينة — آية ٦.

(٤) سورة الحج — آية ٦٢.

(٥) سورة المائدة — آية ٧٥.

المبحث السادس

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى أمراء الغسانة

قيل إنه قائد قلعة بصرى يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام ديناً والاعتراف بمحمد رسولاً وحامل الكتاب هو الصحابي الحارث بن عمير الأزدي، ولم يرو نص الكتاب النبوي وتفيد بعض الروايات أن النبي ﷺ «قد أرسل مبعوثه الحامل لرسالته إلى أمير بصرى^(١)، فلما بلغ مؤته^(٢) تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فاستوقفه وسأله أين يريد؟ فقال سفير الرسول ﷺ «إلى الشام. فقال له لعلك من رسل محمد قال نعم^(٣) فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه.. قال تعالى في حق من يقفون في طريق الدعوة.. ﴿بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿الْأَنبَاءُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥﴾﴾ ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره من السفراء^(٦).

ومن الواضح أن الجريمة التي اقترفها المدعو شرحبيل الغساني في حق مبعوث رسمي لتعتبر تعدياً صارخاً على أحد دعاة التوحيد وهو يعني الوقوف بصورة سافرة في طريق إبلاغ الاسلام كما أراده الله ونفذه الرسول ﷺ. قال تعالى موبخاً من يعتدي على الموحدين والمؤمنين بالله: ﴿أَنفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴿٧﴾﴾.

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ط ١، ص ٣٧.

(٢) مؤته : إحدى قرى البلقاء على حدود الشام وقيل إنها من قرى الكرك التي تقع على الحدود بين شبه الجزيرة العربية والأراضي التي تسيطر عليها دولة الروم.

(٣) الرائد «محمد مهدي عامر» قصة كبيرة في تاريخ السيرة — دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م، ص ٢٥٥.

(٤) سورة الرعد — الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٥) سورة يونس — آية ٦٢.

(٦) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٣٤٢.

(٧) سورة غافر — آية ٢٨.

إضافة إلى أنه يتنافى تماماً مع كل التقاليد الدولية وحماية السفراء داخل أراضيها ثم إن سكوت السلطات الرومانية على الموضوع وعدم محاكمة وتأديب المعتدي والاعتذار في نفس الوقت عما حدث ليعتبر في حكم العرف الدولي: إما استهتاراً وتهاوناً أو تواطؤاً من السلطات الإدارية والعسكرية الرومانية مع عملائها الغساسنة قال تعالى: مِيناً سَوَّ صَنَعَهُمْ وَكَيْفَ أَنْ اللَّهُ سَوْفَ يَحَاسِبُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهُقُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

وإن سكوت الدولة الرومانية ليدل أيضاً على أنها اتخذت موقفاً عدائياً لا مبرر له ضد الإسلام ودولته.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) والذي يدل على ذلك الموقف العدواني، مقاله المستشرق بروكلمان كما جاء في كتاب ظهور الإسلام وسيادة مبادئه.

«إن علاقات المسلمين بالبيزنطيين في سورية تطورت على عكس علاقتهم بالمقوقس تطوراً يؤذن بصدام قريب. ذلك أن رسالة محمد ﷺ كانت تغزو قبائل البدو شمال بلاد العرب فكان لابد من الاحتكاك بالمواقع البيزنطية على الحدود»^(٣) ورداً على التصرفات غير المسؤولة من قبائل الغساسنة عملاء الروم أعد الرسول ﷺ «قوة حربية للتوجه إلى ميدان حادث الاعتداء على المبعوث لتأديب المعتدين ووضع حد للتعديت على دعاة الخير والسلام، وإفهام الروم والعرب المنتصرة من الغساسنة وغيرهم بقوة المسلمين وشجاعتهم، وكذلك قدر محمد ودينه واتباعه. والجهاد واجب مفروض وهو الدعوة إلى الله تعالى، وقتال من يعترض الدعوة أو يقف في سبيلها، وتحريك القوة الإسلامية هدفه رد الظلم ودفع العدوان وحماية الدعوة المبشرين بدين الإسلام في حياتهم وعملهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا

(١) سورة يونس — آية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام — آية ١٢٩.

(٣) الدكتور عبدالحميد بخيت: ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ط ٣ سنة ١٩٧٧م، دار المعارف، مصر، ص ٢٣٢.

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾

وقال «عليه السلام» في خطبته في الجهاد «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية» (٢) فإذا لقيتموهم فاصبروا» (٣).

وقال «عليه السلام» في خطبة له في فضل الجهاد: «إذا صف الناس للصلاة وصفوا للقتال فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة وأبواب النار وزين الحور العين واطلعت فإذا أقبل الرجل قلن اللهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن اللهم اغفر له فأنهكوا» (٤) وجوه القوم فدى لكم أبي وأمي ولا تخزوا الحور العين فإن أول قطرة تنضح تكفر عنه كل شيء عمله» (٥).

لأنه لا بد من وضع حد للجريمة التي اقترفها عدو الإسلام شر حبيل الغساني، وذلك لأن الظلم لو بقي لعم الفساد وأصبحت الأمور في يد الطغاة، ورد الظلم كذلك من أسرار البقاء.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٦)

ومما قاله «عليه السلام» في خطبته يوم اعتداء الأحزاب: «اللهم اضرب وجوههم وأكِلْ سلاحهم» (٧) ولا تبارك لهم في مقامهم، اللهم مزقهم في الأرض تمزيق الرياح الجراد» (٨) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٩) وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَعْزِمُهم مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾

(١) سورة البقرة — آية ١٩٤.

(٢) العافية : السلامة.

(٣) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ط ١ سنة ١٣٧٣ هـ، مطبعة شعراوي طنطا مصر، ص ١٥.

(٤) أنهكوا وجوه القوم : بالغوا في أذاهم.

(٥) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ص ١٥، ١٦.

(٦) سورة البقرة — آية ٢٥١.

(٧) وأكل سلاحهم : اجعله غير قاطع.

(٨) محمد خليل الخطيب، اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام، ص ٦.

(٩) سورة الشورى — الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١.

وتقدم جيش الجهاد المكون من ثلاثة آلاف مجاهد، وعلى رأسه زيد بن حارثة والتقت في البداية على الحدود بجيش الغساسنة وانتهت المعركة بانتصار المسلمين: قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١) ثم اندفعت السرية الإسلامية داخل الحدود الشمالية حتى بلغوا مؤته قرب الطريق الجنوبي من البحر الميت، والتقى المسلمون بجيش كثيف جداً تقدره بعض الروايات بمائة (٢) ألف رجل بقيادة البطريق (٣) تيودوروس (٤)، ورغم ذلك خاض المسلمون المعركة وهم على ثقة كبرى من النصر أو الشهادة وهي في نظر كل المسلمين وعلى رأسهم رسولنا محمد «ﷺ» أمل يراود نفوس المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٥).

وقال النبي «ﷺ» في خطبة له حول مأمحة الله للمجاهدين وبما يفوز به الشهيد في جنات الخلد، حتى أنه «ﷺ» تمنى الشهادة. قال: «والذي نفس محمد بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل» (٦).

واستشهد القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله «ﷺ» وهم زيد بن حارثة وجعفر ابن أبي طالب وعبدالله بن رواحه، ومعهم بعض الصحابة في معركة مع الطغاة، وبعد أن تسلم خالد بن الوليد قيادة الجيش استطاع بشجاعته، وحسن قيادته، أن ينقذ الجيش. قام النبي خطيباً في الناس: «ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي إنهم انطلقوا فلحقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له. ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم رفع رسول الله «ﷺ» أصبعه فقال اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره. فمن يؤمِّد سمي خالد سيف الله ثم قال: «انفروا فأمدوا إخوانكم» قال فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباً» (٧) وبعد مدة وجيزة وجه سرية بقيادة عمرو بن

(١) سورة محمد — آية ٧.

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة، ج١، ص ٣٤٢.

(٣) البطريق : القائد.

(٤) الدكتور عبدالحميد بخيت، ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ص ٢٣٢.

(٥) سورة آل عمران — آية ١٦٩.

(٦) محمد خليل الخطيب، إتحاف الأنام، ص ١٦، ١٧.

(٧) محمد خليل الخطيب، إتحاف الأنام، ص ٩.

العاص فسار بها حتى دخل البلقاء ولقن الروم درساً لم ينسوه، وكانت هذه المعارك سبباً لذيوع اسم عمرو بن العاص في ربوع الشام حتى بدأت الفتوح^(١).

والله سبحانه وتعالى أمر المجاهدين بالثبات في الحروب: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٤) والفتنة معناها الكفر والشرك.

وعلى المسلمين أن يرهبوا أعداءهم بالاستعدادات الحربية ليحققوا أهداف الدعوة في الأمن والسلام وعبادة الرحمن قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٥).

إن السرايا والغزوات والمعارك التي خاضها المجاهدون كانت لنصرة الإسلام فأدت وظيفتها الاعلامية كوسيلة إعلامية ناجحة للاتصال بال جماهير العريضة الغفيرة المتعددة المشارب من العرب والعجم والروم وأثرت فيهم ونبهت عقولهم للحق الذي بشر به وهو الإسلام ذلك الدين الذي اختاره الله واختار رسوله للعالمين لإنقاذ البشرية مما تعانيه من ظلم وعدم استقرار قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٦) ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٧) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٨) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٩) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١٠).

(١) دكتور عبدالحميد بخيت، ظهور الإسلام وسيادة مبادئه، ص ٢٣٣.

(٢) سورة الأنفال — آية ١٥.

(٣) سورة التوبة — آية ٢٩.

(٤) سورة البقرة — آية ١٩٣.

(٥) سورة الأنفال — آية ٦٠.

(٦) سورة التكوين — آية ٢٧.

(٧) سورة القلم — آية ٥٢.

(٨) سورة الفتح — آية ٨.

(٩) سورة سبأ — آية ٢٨.

(١٠) سورة الأنبياء — آية ١٠٧.

وتحركات جيوش الجهاد لمنع ظلم الطغاة وإلزام المتغطرسين بوجوب احترام الحق والحرية وضمان الأمان لمن يرغب أن يفكر في العقيدة التي يرغبها^(١).

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٣).

ولاشك أن تقدم المجاهدين داخل الحدود المسيطر عليها من قبل الروم لتأديب الغادرين وما أسفرت عنه المعارك الطاحنة من تضحيات نادرة بذلها المجاهدون في ساحة نصره الإسلام والسلام قد جعلت الناس وخاصة القبائل العربية، سواء منها

المنتصرة أو التي على وثنيها يعيدون حساباتهم فيما هم عليه من معتقدات باطلة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

فالمجاهدون عرب مثلهم، ولهم قوة تجابه روما المذلة لهم، فلماذا لا يفكرون أكثر في العقيدة الجديدة وهي عقيدة إخوانهم الذين كان لإقدامهم وبذلهم أنفسهم رخيصة في المعركة بصور لم يعهدوها من قبل الأمر الذي يدعو إلى عميق النظر والتعقل فإن دين المسلمين هو الذي كان وراء إقدامهم للقتال ببسالة أدهشت الرومان أولاً، والعرب ثانياً قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٥).

وكان من أولى ثمار هذا التفكير إسلام قائد إحدى فرق جيش العرب المنتصرة وهو القائد العربي فروة بن عمرو الجذامي وقد كان لإسلامه أثر بالغ على أتباعه وأبناء جلدته.

(١) الدكتور أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٢٧٠.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٩.

(٣) سورة الكهف — الآيات ٢٨، ٢٩.

(٤) سورة يونس — آية ١٠٦.

(٥) سورة الأنفال — آية ٦٥.

المبحث السابع

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى فروة بن عمرو الجذامي

وفروة بن عمرو الجذامي كان حاكماً عربياً من قبل الروم على عَمَّان^(١) من أرض البلقاء أو على معان^(٢)، ولم يكتب إليه الرسول «ﷺ» يدعوهُ للإسلام^(٣) وإسلامه كان من نتائج الحملة الاعلامية الاسلامية الواسعة التي بثها النبي «ﷺ» لاعلام العالم بعالمية الاسلام ولانقاذ البشرية مما هي فيه من شرك وظلم وتدهور فقد قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَفَرٌّ أَن مُّبِينٌ﴾^(٦) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ^(٧).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٨) وقال جل شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٩).

وفروة بن عمرو الجذامي أمير عربي، علم وسمع عن الدين الإسلامي، حيث كان من متتصرة العرب وقد غزا قلوبهم نور الإسلام والرجل (رحمه الله) يبدو أنه من المطلعين على الديانات والكتب المقدسة فهو من أهل الكتاب الذي بشر برسالة محمد «ﷺ» فإن الله سبحانه وتعالى يوضح للرسول ولأهل الكتاب هذا الأمر الذي حاول

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٤، ١٧٨ وذكر أن فروة عامر وقيل فروة بن عمرو وقيل فروة بن نفائثه وقيل ابن نباتة وقيل ابن تعامة الجذامي ومنزله معان وما حولها من أرض الشام.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٢.

(٣) نفس المرجع.

(٤) سورة التكوين — آية ٢٧.

(٥) سورة سبأ — آية ٢٨.

(٦) سورة يس — الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٧) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٨) سورة فصلت — آية ٥٣.

أهل الكتاب إخفاءه فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) وقال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ..

وفروة بن عمرو الجذامي ممن عرف الحق فاتبعه فأمن برسالة الإسلام وبالنبي ﷺ رسولاً. ونبذ عبادة الشرك لعقمها كما أنه رأى بثاقب بصيرته أن النصرانية التي كان يعتقدونها قد بطل مفعولها بالصورة التي تمارس عليها قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (٣) ولأنها بشرت بالنبي ﷺ الذي سوف يدعو لعقيدة التوحيد الذي يجب أن يتبع لنشر السلام والسعادة في ربوع العالم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٤).

وقد صور الله سبحانه وتعالى مدى سعة الخير والأمن الذي سوف ينعم به أهل الكتاب وغيرهم فيما لو اتبعوا النبي محمداً وصدقوا ما جاء به من تعاليم إلهية منها السلام والعفو عما اقترفوه.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥).

وهذه نعمة لم يألفوها من قبل، فقد منَّ الله عليهم بها فشرح الله صدور المتعقلين الذين هداهم رب العالمين، ومنهم فروه بن عمرو الجذامي.

(١) سورة الأنعام — آية ٢٠.

(٢) سورة البقرة — آية ١٤٦.

(٣) سورة المائدة — آية ١٧.

(٤) سورة الصف — آية ٩.

(٥) سورة المائدة — الآيتان ١٥، ١٦.

قال تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ إِلَّا زُرَّةً ۖ وَزُرَّ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢) والذين ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ (٣) وحال تمكن الإيمان من قلب حاكم معان العربي فروة بن عمرو الجذامي، بعث برسالة إلى النبي ﷺ يشره بإسلامه فكتب «لمحمد رسول الله: إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه السلام» (٤) وفروة (رحمه الله) صدق عندما قال لرسول الله: أنت بشر بك عيسى بن مريم فقد قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا لِّرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (٥).

وأرسل رسالة بإسلامه مع رسوله مسعود بن سعد (٦) وأهدى الرسول بعض الهدايا تعبيراً عن إخلاصه وحبه وتأييده للنبي الكريم منها بغلة بيضاء (٧). وأجابه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله: إلى فروة بن عمرو الجذامي أما بعد: فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبر عما قبلكم خيراً وأتانا بإسلامك وأن الله هداك بهداه (٨).

(١) سورة الاسراء — آية ١٥.

(٢) سورة الرعد — الآيتان ٢٨، ٢٩.

(٣) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ج١، ص ٩٦، والوثائق اليمنية للشيخ محمد علي الأكوغ، ص ٥٧.

(٤) سورة الصف — آية ٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٢.

(٦) محمد بن عبد الملك بن هشام، سيرة النبي، ج٤، ٢٦١، وزاد في الوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج ابن الجوزي أن من الهدايا فرس وحمار وأثواب وغطاء سندس، ص ٧٤٠.

(٧) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج٦ عام ١٣٨٣هـ، القاهرة، (المؤسسة المصرية العامة، ص ٣٦٨، وجمهرة رسائل العرب للأستاذ أحمد زكي صفوت، ج١، ص ٦٢، والوفا بأحوال المصطفى لعبد الرحمن الجوزي، ج٢، ص ٧٤١ مع اختلاف يكاد لا يذكر (قبلك بدلاً من قبلكم) (ولم يذكر كلمة خيراً) وفي الطبقات لابن سعد، ج١ (زاد: إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة) ص ٢٨١.

وأمر النبي ﷺ «بلالاً فأعطى رسوله مسعود بن سعد اثنتي عشرة أوقية من فضة ونش^(١)».

وإجابة النبي هذه لفروة بن عمرو الجذامي تعتبر مفعلة له ولكل من يسلك هذا المسلك الذي ارتضاه الله لعباده الصالحين وهو الأخذ بيد فروة وتشجيعاً وتأيداً وتهنئة في نفس الوقت على حسن إسلامه وأعلمه بوصول الهدايا وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي هداه إلى الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٣).

ولما علم ملك الروم بإسلام فروة الجذامي استدعاه وطلب منه الرجوع عن دين محمد ﷺ في نظير أن يعيده إلى ملكه.

فقال فروة: (لا أفارق دين محمد وإنك تعلم أن عيسى قد بشر به ولكنك تظن بملكك فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه)^(٤).

والخالق سبحانه وتعالى بلغ رسوله الكريم بأن المشركين من أهل الكتاب يحاولون في مقابل رضاهم عن الرسول ﷺ وأتباعه من المسلمين أن يتبعوا ملتهم قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾^(٥).

(١) ونش بالفتح نصف أوقية عشرون درهماً.

(٢) سورة القصص — آية ٥٦.

(٣) سورة الصف — آية ٩.

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٨١. وانظر: الشيخ الأحمدي، ج١، ص ١٥٤ وجمهورية رسائل

العرب، ج١، ص ٦٢.

(٥) سورة البقرة — آية ١٢٠.

الدلالات الإعلامية في الرسالة النبوية لفروة الجذامي

- ١ — إن الإسلام نور وضياء يصل إلى الأبصار والقلوب فيعمرها بإرادة الله لأن الله هو الهادي، وفروة الجذامي لم ترسل إليه رسالة أو مبعوث لدعوته للإسلام ولكن بمجرد أن قرع سمعه نداء الإسلام وإنه دين التوحيد الذي بشرت به الرسل، توجه بقلبه وروحه لاعتناقه دون واسطة، ولأن الإيمان قد تمكن من قلبه، فقد ضحى بماله وروحه في سبيل إيمانه بالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.
- ٢ — ليس من الضروري إبلاغ كل إنسان رسالة خاصة مهما علا مركزه أو بمبعوث لدخول الإسلام لأن الله هو الهادي إلى سواء السبيل كما في قول الرسول: (إن الله هداك بهداة).
- ٣ — تقدير بذل الإنسان من قبل رسول الله ﷺ مهما كان بسيطاً للتعبير عن المحبة والمودة والإخلاص في صورة هدية وهذا يعني أن الرسول يقبل الهدية، إذا كانت خالية من كل شك أو ريب، وكما تعلم فالرسول ﷺ لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية.
- ٤ — إن الإسلام يقدر لمعتنقه كل عمل طيب يقوم به، كما أنه سبب لسعادته في الدنيا والآخرة كما في (وأتانا بإسلامك).

المبحث الثامن

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى امبراطور الصين^(١)

اختلف الرواة حول كيفية بدء توجيه الدعوة الإسلامية إلى الصين فأحد الباحثين يفيد أن واحداً من الصحابة ويدعى (رهاب بن رعشة)^(٣). قد توجه إلى بلاد الصين بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حيث وصل إلى تلك البلاد بعد مشقة وعناء، وأنه بعد أن تعلم لغة وعادات أهل البلاد وأخلاقهم بدأ في نشر الدين الحنيف، وبعد أن قوي شأنه التف حول له خلق كثير وقابله الإمبراطور (تاي تنج) ٦٢٨ م حيث لقي من الإمبراطور الرعاية والتلطف وبعد موته أقام له أهل الصين تذكاراً تخليداً لذكراه^(٤).
بينما يفيد المؤرخ هـ.ج. ولز أن بعثة أدعى إلى العجب قد وصلت إلى بلاد (تاي تنج) عام ٦٢٨ م أي قبل مجيء النساطرة^(٥) (وهم نصارى) بسبعة أعوام والبعثة مكونة من جماعة من العرب كان انطلاقهم من ينبع ميناء المدينة المنورة ببلاد العرب في فلك^(٦) تجاري.

(١) بلاد واسعة مترامية الأطراف وعاصمتها في ذلك الوقت مدينة سندابل وهي قصبة الصين وبها دار المملكة وهي مدينة عظيمة ولها ستون شارعاً وارتفاع سورها تسعين ذراعاً وعرضة تسعين ذراعاً وكان لهم بيت عبادة عظيم، كما أن سياستهم متقنة، ويوجد ببيت العبادة تماثيل وتصاوير وأصنام وأهل البلاد لا يذبحون ولا يأكلون اللحوم أصلاً. معجم البلدان، جـ ٣، ص ٤٤٤، ٤٤٥.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين، م ٥، ص ٦١٦.

(٣) رهاب بن رعشة : لقد تعذر معرفة هذا الصحابي بعد الرجوع إلى المصادر الآتية : الإعلام للزركلي، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، الطبقات الكبرى لابن سعد، وفيات الأعيان لابن خلكان، المنجد، أسد الغابة لابن الأثير.

(٤) دائرة المعارف القرن العشرين، م ٥، دار المعرفة، بيروت، ص ٦١٦.

(٥) النسطورية : بدعة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، قال بهذا نسطوريوس بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بالدة الإله، وقد عارضه كيرسوس الإسكندري وانعقدت بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع متلاحقة وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية وناصرت كنيسة أنطاكية مذهب نسطوريوس، انظر : الموسوعة العربية الميسرة، جـ ٢، ص ١٨٣٢.

(٦) الفلك : سفينة. انظر : لسان العرب، جـ ٤، ص ٥١١.

وأن الذي أرسل تلك البعثة هو النبي محمد ﷺ، وحملت البعثة الرسالة الإسلامية النبوية إلى الإمبراطور تاي تينج، ويرجح ذلك المؤرخ أنها نفس الدعوة التي أرسلت وفي السنة نفسها إلى هرقل وإلى كسرى ويضيف المؤرخ الغربي (المتعصب ضد الإسلام) المذكور أن إمبراطور الصين لم يهمل رسالة النبوة كما فعل هرقل ولا أهان رسل الرسول كما فعل إمبراطور الفرس، بل إن إمبراطور الصين أحسن استقبالهم وأظهر نوعاً من الاغتراب والسعادة لآراء البعثة العقائدية كما أنه ساعدهم على بناء مسجد من أجل التجار العرب في كانتون^(١) وهو مسجد باق إلى اليوم ومن أقدم مساجد الدنيا^(٢) ويبدو من النشاط الفكري لعاهل الصين أنه كان مسلماً^(٣).

ومهما اختلف الرواة في كيفية وصول نور الإسلام إلى الصين فالمؤكد أنه وصل بواسطة بعثة أرسلها النبي ﷺ كما اعترف بذلك أحد خصوم عالمية الدعوة الإسلامية وهو المؤرخ الغربي ه.ج. ولز الذي اعترف أيضاً بأن نتائج لقاءات ومباحثات البعثة المحمدية بإمبراطور الصين أن أسلم الإمبراطور الصيني كما أن المسلمين أقاموا مسجداً في كانتون ولا يزال شاهداً على صدق ما ذكر.

ويعترف ذلك المؤرخ أن الإسلام قد سبق المسيحية في دخول الصين بسبعة أعوام مع أن المسيحية سبقت ظهور الإسلام بسبعة قرون تقريباً. ولا غرابة في ذلك فقد كانت المسيحية محتكرة لبني إسرائيل ثم توسعت واضطرها توسعها إلى أن تبتعد عن الدين الخالص الذي نادى به رسل وأنبياء بني إسرائيل وهو توحيد الله فنجد أن أحد علماء اليهود سأل عيسى عليه السلام عن الوحدانية، فأجابه بأن الله واحد كما قال في تورا موسى عليه السلام يقول مرقس: (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا

(١) كانتون : مدينة وهي عاصمة مقاطعة كوانتونج بالصين وميناء على نهر كانتون ومركز تجاري كبير وزارها

الرحالة العرب في القرن العاشر الميلادي، انظر : الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٤٣٦.

(٢) ه.ج. ولز معالم تأريخ الإنسانية، ٣، ١٩٧٢، القاهرة، ج٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٧٦٣.

(٣) نفس المرجع، ص ٧٧٩.

هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الأولى: (١)

وقال جاء في الإصحاح الأول من إنجيله أن: «الله لم يره أحد قط» (٢) وقد سبب توسعها دون تركيز أو قيود عقائدية خالصة إلى اختلال ظاهر في المفاهيم وتبع ذلك أنها أخذت ما كانت عليه الأقوام من عبادات وصبغتها بصبغة دينية متوهمة أن ذلك من الدين وأنه حب في الإخلاص للخالق، والحقيقة أنه كان وبالا على العقيدة الملتفة وسخرية لرجالها وآرائهم المتناقضة المشوهة «اختلفوا فيما بينهم اختلافاً شديداً وتجادلوا جدالاً عنيفاً، ولعن بعضهم بعضاً وكفر بعضهم بعضاً» (٣) وفي البداية اندفع بعض الأقوام لاعتناقها ولكن نظراً لخلو العقيدة من روحها وهو توحيد الخالق أدى إلى ما أدى إليه من مشكلات لا حصر لها بين رجال الدين الواحد حيث كفر بعضهم بعضاً مما جعل الشعوب تقبل على اعتناق الإسلام وتدخل فيه زرافات ووحداً وخاصة أهل الكتاب.

ودين الإسلام دين التوحيد انتشر بسرعة أذهلت أهل الكتاب، وأصحاب العقائد الأخرى، لأنه دين الخالق المعبود، الفرد الصمد، لاتعقيد ولا طقوس ولا واسطة بين العبد وربّه والعبادة ميسرة وعلى طاقة البشر.

ووصول الإسلام إلى الصين سابقاً للمسيحية لكونه دين البشرية هو مصداق لقول رسولنا الكريم ﷺ: «واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر» (٤).

والخالق سبحانه وتعالى أكد عالمية الاسلام وأنه للبشر كافة قال تعالى: ﴿إِنَّهُوَ الْأَذْكُرُ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ۝ لِّسُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيَى الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝﴾ (٥).

(١) الإمام القرطبي: تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ صور بالميكرو فيلم دار التراث العربي بالقاهرة، ج١، ص١٢، ١٣.

(٢) نفس المرجع، ص ١٣.

(٣) الإمام القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي الإعلام، ج١، ص ٢٢.

(٤) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، ج١، ص ١١٣.

(٥) سورة يس — الآيات ٦٩، ٧٠.

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٢) ورغم أن نص رسالة الرسول ﷺ لم تأت عليها المراجع والمصادر المتوفرة إلا أنها كما قال المؤرخ هـ.ج. ولز هي رسالة شبيهة برسائله ﷺ إلى كل من هرقل وكسرى، وأما الفارق فقد كان في نتائج تلك الرسائل، فالمعلومات توضح ترحيب إمبراطور الصين بالبعثة الإسلامية التبشيرية، وأنه أسلم كما أقيم مسجد إسلامي في كانتون. وهذا يعني دخول الكثير من الشعب الصيني في العقيدة الإسلامية وتخليهم عن عقائدهم البالية (٣).

(١) سورة سبأ — آية ٢٨.

(٢) سورة الصف — آية ٩.

(٣) انظر الشهرستاني، الملل والنحل: كانت ديانة الصين تقوم على عبادة السماء باعتبارها الاله الأعظم ثم عبادة الأرض لأن الأرض إله ثم عبادة أرواح الأجداد والجبال والأنهار وبعد قرون طويلة استقرت عبادتهم على أديان ثلاثة هي:

١ — الكنفوشية ٢ — البوذية ٣ — التاوزمية، فهرس ذيل الملل والنحل، ج٢، ص ١٩.

الدلالات الإعلامية في رسالة الدعوة الإسلامية لإمبراطور الصين^(١)

- ١ — الإعلام بدين الإسلام وأنه للعالمين. وأن البشير النذير بالدين هو النبي محمد ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).
وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣).
- ٢ — إفهام إمبراطور الصين بصورة تناسب مركزه الديني بأنّه في حالة إيمانه بدين التوحيد سوف ينال الثواب مرتين: مرة بسبب تصديقه وإيمانه والأخرى لإيمان قومه واتباعهم له.
- ٣ — شرح عصب العقيدة وخلوها من الشرك وعدم صرف العبادة إلا لله الواحد الأحد.
- ٤ — أن من يدخل الإسلام يتوب الله عليه ويغفر له ماتقدم من ذنبه كما أنه بدخوله الإسلام سوف يضمن السلام له ولشعبه في الدنيا والنعيم له ولهم في الآخرة.
قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).
- ٥ — إنه بعد إبلاغ الإسلام للناس وهي مهمة الرسل فلا يكون بعد ذلك مسؤولاً عن اعتناقهم إياه من عدمه. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٥).

(١) لم يعثر على نص الرسالة طوال بحثي والله أعلم.

(٢) سورة الأنبياء — آية ١٠٧.

(٣) سورة الحج — آية ٤٩.

(٤) سورة المائدة — آي ٣٩.

(٥) سورة الكهف — الآيتان ٢٨، ٢٩.

المبحث التاسع

الآثار والدلالات الإعلامية في رسالة النبي

صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف ضغاطر^(١)

ذكر الطبري أن هرقل عندما قرأ رسالة دعوته إلى الإسلام وقال لدحية الكلبي مبعوث الرسول ﷺ إليه: «ويحك والله إنني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ولكنني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته فاذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم فهو والله أعظم في الروم مني وأجوز قولاً عندهم مني فانظر مايقول»^(٢).

ويقول الشيخ الأحمدي إن كتاب الرسول ﷺ إلى ضغاطر كان مع كتاب هرقل في نفس الوقت ومع مبعوثه إلى هرقل الصحابي دحية بن خليفة الكلبي وأنه عندما قرأ الأسقف ضغاطر كتاب النبي وإذ فيه: «إلى ضغاطر الأسقف سلام على من آمن — أما على أثر ذلك فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الزكية، وأني أوأم بالله وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى»^(٤).

ومن هذا نعلم أن الله قد أضاء قلب ضغاطر بالإيمان وبالإسلام وقال لدحية إن صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه^(٥). ولم يكتف بذلك بل

(١) هو الأسقف الأعظم في الروم يحسب له ملك الروم كل حساب وذلك لمركزه الروحاني ونفوذه المتمكن من قلوب المسيحيين. الأساقف: جمع أسقف وهم رؤساء النصارى. انظر: معجم البلدان، ص ٤٩٨.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩ — ١٩٧٩ ج٣، ص ٨٨.

(٣) الدكتور محمد حميد الله مجموعة الوثائق السياسية، ج١، ص ٨٦، ٨٧، والأحمدي مكاتيب الرسول، ص ١٦٩.

(٤) الشيخ علي الأحمدي مكاتيب الرسول، ج١، ص ١٦٩.

(٥) الشيخ علي الأحمدي، مكاتيب الرسول، ج١، ص ١٦٩.

خلع ملابسه السوداء ولبس ثياباً بيضاء وأخذ عصاه ودخل على الروم وهم في الكنيسة فقال: «يامعشر الروم إنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه إلى الله وأني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن أحمد رسول الله فوثبوا عليه وضربوه وقتلوه. قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١) وأعلم دحية هرقل بما حدث فقال له: «قد قلت لك إننا نخافهم أنفسنا وضغاطر كان والله أعظم عندهم مني» (٢).

وهكذا فإن الإيمان بالله الواحد إذا تمكن من قلب إنسان وخاصة إذا كان عالماً كضغاطر الأسقف فإنه يدفعه دفعاً إلى إعلانه على الملأ لإشهادهم على إسلامه ولدعوتهم لاتباعه.

قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَأَنْمَاهْتَدَى وَلَنْفَسِيهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣).

وقال جل شأنه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

وبعد إسلام وإيمان ضغاطر بوحدانية الله واتباع نبيه الكريم أصبح لازماً عليه وهو العالم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٥﴾ ذو الكلمة المسموعة لدى النصارى أن يبصرهم بصدق الرسول محمد فيما يدعو إليه وأنه النبي الذي هو مكتوب عندهم في الكتاب قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٦).

وقال جل شأنه: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٧).

(١) سورة الفرقان — آية ٤٤.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص ٤١.

(٣) سورة الاسراء — آية ١٥.

(٤) سورة الأنعام — آية ١٢٥.

(٥) سورة فاطر — آية ٢٨.

(٦) سورة البقرة — آية ١٤٦.

(٧) سورة الأعراف — آية ١٥٧.

فَالْأَسْقَفُ مَطَالِبُ بِدْعَةِ النَّصَارَى لِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝١٠﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾.

لأنه الدين الذي بشر به الأنبياء والرسل والداعية إليه هو النبي الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه الذي بشر بمقدمه الأنبياء لخلاص العالم من الويلات والدمار وخاصة موسى وعيسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ (٢) وقد ورد في التواريخ «أن أولاد إسماعيل كانوا يسمون آل الله، وأهل الله» (٣) وأجاب الرب تعالى إبراهيم عليه السلام: «إني باركت على إسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخير كله. وسأظهرهم على الأمم كلها» قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٤).

(١) سورة الأعلى — الآيتان ٩، ١٠.

(٢) سورة الصف — آية ٦.

(٣) الإمام القرطبي، تقديم وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، الإعلام، ص ٣٣، ٣٤ وتكوين ١٧، ٢٠.

(٤) سورة البقرة — آية ١٢٩.

رسالة صلى الله عليه وسلم الى الأسقف ضغاطر

١ — مخاطبة أهل العلم والمعرفة بالدين بمراكزهم الدينية دون إضفاء أية ألقاب دنيوية بغرض النفاق والدليل (إلى ضغاطر الأسقف) لأن العلماء وهم في الأغلب في تلك الأزمنة رجال الدين أعرف الناس بحق الخالق وخشيته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

٢ — التحية: سلام على من آمن وفيها تحفظ مقصود لئلا تكون حقاً للمشارك على الموحد فجعلها لمن آمن.

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

٣ — الإعلام بأن الإسلام يعترف برسالة عيسى عليه السلام، والتي تدعو لعبادة الله وحده كما قال عيسى نفسه عندما سأله العالم عن أول العهود ان السيد الهك الله واحد (٢).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

وليس كما يقول النصارى حيث نادى فرقة منهم وهم الكاثوليك بتعدد الآلهة ونادى فرقة ثانية وهم الأرثوذكس بعقيدة تجسيد الآلهة (٤) وقد رد الخالق سبحانه وتعالى على فرق النصارى المتنازعة الضالة بقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران — آية ٨٤.

(٢) الإمام القرطبي، الإعلام، ج١، ص ٥١.

(٣) سورة آل عمران — آية ٥٢.

(٤) الإمام القرطبي، الإعلام، ج١، ص ٢٧.

(٥) سورة النساء — آية ١٧١.

وقال جل شأنه للذين قالوا ثلاث مراحل للإله الواحد المتجسد كما في الآية السابقة. وردّ على فرقة الكاثوليك بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (١) كما رد على الأرثوذكس ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٢).

٤ — الشهادة للمسيح بصدق دعوته وأنه كلمة الله ألّفها إلى مريم الزكية قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٣). والله سبحانه وتعالى شهد للسيدة العذراء أم عيسى بالعفاف ودحض افتراءات اليهود عليها، وعلى ابنها عيسى، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشَرِكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٤). وقال تعالى مؤكداً عفاف وطهر مريم الصديقة: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥).

٥ — الإعلام بأن رسول الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ يؤمن برسالات الأنبياء والرسل وما أنزل عليهم.

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِنْزِيلًا وَاسْمِعُوا لِقَوْلِي وَأَسْمِعُوا لِقَوْلِي وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٦).

٦ — إن من ثمار الرسالة إسلام الأسقف وإعلانه دخول الإسلام أمام الملأ من النصارى الذين أصروا على كفرهم فوثبوا عليه وقتلوه.

(١) سورة المائدة — آية ٧٣.

(٢) سورة المائدة — آية ١٧.

(٣) سورة النساء — آية ١٧١.

(٤) سورة آل عمران — آية ٤٥.

(٥) سورة الأنبياء — آية ٩١.

(٦) سورة البقرة — آية ١٣٦.

قال تعالى واصفاً نكرانهم وطغيانهم عن بصرهم بالدين الحق الذي يجب أن يتبع: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَنقَضُوا رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٣).

٧ — إن إسلام ضغاطر وقتله ليس بالأمر السهل بل لا بد وأن تكون هناك مناقشات وندوات بين مؤيد للإسلام ومعارض وبين متعاطف يرجو معرفة الحقيقة وبين جاحد لثيم، ولا سيما وأن امبراطورهم هرقل قد أشعرهم بصدق نبوة محمد ﷺ، ولكنهم تمردوا، ومع هذا فقد كان للرسالة أثرها العظيم في نفوس الشعب التواق للخلاص من العقائد التي لاتملأ القلب نوراً. وإيماناً. وإنما عبارات ناتجة عن منازعات بين فرق همها تحقيق مصلحتها الدنيوية على حساب العقيدة.

(١) سورة عبس — آية ١٧.

(٢) سورة غافر — آية ٢٨.

(٣) سورة الحج — آية ٤٦.

المبحث العاشر

رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملك الهند سربانتك

(ذكر ابن الأثير) أن رسول الله قد بعث إلى ملك الهند سربانتك برسالة التوحيد يدعوه للإسلام مع بعثة من الصحابة^(١).

فالرسول ﷺ مكلف بإبلاغ وإعلام كل الأمم برسالة الإسلام لأنها الرسالة الخاتمة وهو خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ لِلْعَالَمِينَ ٤٧ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ٤٨ ﴾^(١).

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ لِلْعَالَمِينَ ٤٧ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ٤٨ ﴾^(٢) وقال جل شأنه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ٤٩ ﴾^(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ٥٠ ﴾^(١).

نص الرسالة النبوية غير متوفر لأنه لم يرو^(٢)، إلا أن هدف الرسالة هو دعوة ملك الهند إلى الإسلام هو وأتباعه الذين كانت عقائدهم كثيرة مع أن الغالبية تتبع الهندوسية

(١) ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٦٦ (حيث روى مكي بن أحمد البردعي عن إسحاق ابن إبراهيم الطوس قال: رأيت سربانتك ملك الهند في بلدة تسمى تنوج وهو مسلم وزعم أن النبي ﷺ أنفذ إليه عشرة من أصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبو موسى الأشعري ومهيب وسفيانة وغيرهم يدعوه إلى الإسلام فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي ولم أجد في تراجم هؤلاء الصحابة ذكراً عن بعثتهم إلى ملك الهند. انظر : الأحمدي مكاتيب الرسول، ص ٣٨.

(٢) سورة ص — الآيتان ٨٧، ٨٨.

(٣) سورة يس — الآيتان ٦٩، ٧٠.

(٤) سورة الصف — آية ٩.

(٥) سورة الأنبياء — آية ١٠٧.

(٦) المصادر والمراجع التي تيسرت لنا لم تذكر النص ومنها مجموعة الوثائق للدكتور محمد حميد الله ومكاتيب الرسول للأحمدي : وأسد الغابة لابن الأثير، وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية.

وهذه ليس لها مؤسس وتجمع بين الوثنية البسيطة والآراء الفلسفية والزهد في مزيج يتعذر معه الإحاطة بالعقيدة ككل^(١).

ولذلك أنذرهم الرسول ﷺ بترك هذه العقائد الفاسدة وبشرهم بعقيدة التوحيد الصافية التي تضمن لمعتقداتها الأخوة الإنسانية دون تفريق لأن المجتمع الهندي مقسم إلى عدة طبقات وهي:

(١) طبقة الكهنة. (٢) طبقة المحاربين. (٣) طبقة الخدم وهناك المنبوذون وهم فريق من السكان يعتبرون أقل من طبقة الخدم لدرجة أن مجرد لمس المنبوذ يعتبر نجاسة^(٢) وعدل الإسلام ألغى هذه الفوارق ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٣) فالأمن والسلامة والسعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة لمن يعمل عملاً طيباً قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٦).

وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٧).

وملك الهند أسلم كما ذكر ومن المرجح أن كثيراً من أتباعه قد اتبعوه في اعتناق الإسلام والله أعلم.

(١) الشهرستاني ذيل الملل والنحل، ج ٢، ص ٩.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل، ج ٢، ذيل الملل والنحل، ص ١٣.

(٣) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٤) سورة الزلزلة — الآيات ٧، ٨.

(٥) سورة الزمر — آية ٥٣.

(٦) سورة الحجرات — آية ١٣.

الدلالات الإعلامية في دعوة ملك الهند للإسلام

١ — إن الدعوة الإسلامية عامة حيث إنها للبشر كافة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (١) وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢).

٢ — إن المكلف بالرسالة الإسلامية ودعوة العالم لاعتناقها هو النبي العربي محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣).

وقال جل شأنه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٤) وقال جل من قائل: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥).

٣ — إن أمانة إبلاغ الدعوة للبشر قد أوجبت على نبي الدعوة أن يبلغ الرسالة إلى كل الشعوب مهما كانت المشقة بعيدة والوصول عسير فالمبعوث لاشك أنه واجه الكثير من المشاق والعقبات لأداء الرسالة.

٤ — إن من ثمار الرسالة اسلام ملك الهند الذي وجد في الدعوة الخلاص من كل العقائد الكثيرة الفاسدة.

ومن المؤكد أن كثيراً من أتباعه قد آمنوا بالدعوة ولا بد من حدوث مناقشات بين طبقات الشعب الهندي حيال الدين الجديد وما يدعو إليه لأن دين الإسلام دين اليسر والصفاء، وعلاقة العبد بربه مباشرة دون حواجز من رجال الدين والمعابد وغيرها.

(١) سورة الأحزاب — الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٩.

(٣) سورة الصف — آية ٩.

(٤) سور الفتح — آية ٢٩.

(٥) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

صدي رسالته صلى الله عليه وسلم في الداخل والخارج

١ — إن ديانة التوحيد التي دعا النبي ﷺ الأمم لاعتناقها، إنما هي يهودية كليلة
الله موسى، ونصرانية كلمة الله عيسى، وهداية من كلفوا من قبلهما من الرسل المكرمين
على مر الأزمان وكر السنين لهداية الناس أجمعين إلى عبادة رب العالمين قال الله
تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

فالرسالة المحمدية نبذت إله القبيلة المصطنع ونفت أن يكون الإله لشعب مختار أو
وجود إله لشعائر الوثنية ووجود إله الذي يحاسب الناس بحساب الكفارات
والقرايين، وقالت إنما يجب أن يعبد الإله الذي يحاسب الناس بالتبعة والتكليف، فقد
جاء الاسلام بأسمى العقائد الإلهية فعلم الفرد أن يؤمن برب العالمين رب البشرية
جمعاء رب الانسان الذي لا فضل له بغير عمله ولا خلاص له بغير ضميره وعقله (٢)
والرسول محمد ﷺ كلف من قبل الإله الخالق لإبلاغ العالم دين التوحيد الذي
نادى به النبي العربي الأمين لكيلا يكون للناس حجة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿رُسُلًا
مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣).

وقال جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٤) وقال تعالى:
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ
سُرَادِقُهَا﴾ (٥).

(١) سورة آل عمران — آية ٨٤.

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد، الإسلاميات، ط ١، ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، م ٦، ص ٥١١.

(٣) سورة النساء — آية ١٦٥.

(٤) سورة المائدة — آية ٦٧.

(٥) سورة الكهف — الآيتان ٢٨، ٢٩.

وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (١).

إن عدالة الإسلام تطمس عصبية العرق وبغي أية فئة مهما كانت والقرآن الكريم خاطب الرسول الكريم بما هو حجة ماضية إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ (٣).

والرسول ﷺ «بلغ عالم ذلك الزمان دعوة الإسلام بوساطة مبعوثين ومبشرين يحملون رسائله الداعية إلى عقيدة التوحيد، وبذلك غطى البث الإعلامي الإسلامي العالم كله من عرب ورومان وفرس ومجوس وأقباط وأجباش وهنود وصينيين وغيرهم من أجناس مختلفة، وكان صدق تلك الحملة الإعلامية الموجهة ما يأتي:

١ — على الصعيد الداخلي.. أسلم باذان والأبناء في اليمن عندما تأكد لهم صدق نبوة الرسول ﷺ عندما بلغهم قتل إمبراطورهم الطاغية كسرى قبل أن تصلهم أخباره.. وكان لذلك أثره البعيد في إسلام قبائل من العرب إضافة إلى أن قريشاً كانت سعيدة عندما علمت أن كسرى أراد استدعاء النبي ولكن الذي حدث هو العكس إذ أن قتل رب محمد ﷺ «رب باذان» وهو كسرى أدى إلى نتائج عكسية بالنسبة لقريش وهو إسلام باذان والأبناء وهو أمر ليس في مصلحة المتعتنين من قريش.

٢ — إسلام النجاشي ملك الحبشة وإسلام الكثيرين من أتباعه وانتصار المهاجرين في المناظرة التي أدارها النجاشي وتأييد النجاشي لهم ولعقيدتهم وعودة وفد قريش خائباً ثم اقناع النجاشي لعمر بن العاص بالإسلام حيث أنه الدين الحق الذي سوف ينتشر وبعث النجاشي الهدايا للرسول الكريم.

المكسب الذي حققته الرسالة النبوية لدى عظيم الأقباط عندما انتصر الإسلام في المناظرة بين مبعوث محمد ﷺ حاطب بن أبي بلتعة والمقوقس والتي كان من نتائجها تأكيد القوقس من صدق نبوة محمد ﷺ مع عدم إسلامه وبعثه الهدايا للرسول تعبيراً عن تقديره واحترامه للرسول ﷺ. وهذا كان له أثره لدى الشعب

(١) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٢) سورة الغاشية — الآيتان ٢١، ٢٢.

(٣) سورة ق — آية ٤٥.

المصري الذي كان يعاني الولايات من إخوانه في الدين (الرومان) والذي لم يملأ القلوب بالإيمان نتيجة لما أضيف إليه من الأساطير التي جردته من صفاته وصدقه، ولاشك أنهم كعظيمهم المقوقس قد تأكدوا من نبوة النبي العربي بأنه خاتم الأنبياء ولذلك ساعدوا المجاهدين المسلمين عند دخولهم مصر ضد الرومان ثم أقبلوا بشكل واسع جداً على اعتناق الإسلام^(١).

وكان لمقابلة المقوقس لوفد من ثقيف وسؤاله إياهم عن الدين الإسلامي والرسول الكريم وإفهامهم أن الرسول هو الذي بشرت به الكتب المقدسة وأنه النبي المنتظر^(٢) لمن الأمور التي تركت في نفوسهم الأثر الكبير بحيث لا بد وأن أعلموا قومهم بتصريحات ملك القبط عن محمد ودعوته الصحيحة. أضيف إلى ذلك أن الهدايا التي أرسلها ملك القبط إلى رسول الله ﷺ لا بد وأن جعلت القبائل العربية وخاصة قريشاً تتساءل عن الأسباب الموجبة لأن يقوم ملك مصر بإرسال مثل تلك الهدايا وأنه لا بد وأن ملوك العجم أصبحت تحسب الحساب لمحمد ودعوته وهم الأكثر عدداً والأقوى قوة في ذلك الزمن، وهذا بدوره جعل قريشاً ومن لف لفها يعيدون حساباتها وموقفهم من الدعوة والداعية الأول، وهذا بدوره أضعف من مركز قريش ومن حالفها أيضاً.

٤ — خلاصة معلومات هرقل الناتجة عن دراسة ديانات الأمم والملاحم ودراسة الكتب المقدسة في الفترة التي استقبل فيها مبعوث الرسول واستلامه لرسالة الدعوة الإسلامية وإحضاره لمجموعة من العرب للاستفسار منهم عن حقيقة الدعوة وصاحب الدعوة قد أكدت له صدق الدعوة المحمدية وصدق محمد ﷺ وأعلم رئيس المجموعة العربية وهو أبا سفيان خصم الدعوة بتلك النتيجة مما جعل أبا سفيان يتأكد منذ ذلك الوقت أن الإسلام هو الأعلى. قال أبو سفيان فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول أي عباد الله، لقد ظهر أمر ابن أبي كبشة، أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم^(٣) ولاشك أن هذه النتائج الباهرة التي فاجأت أبا سفيان ومن كان معه من تجار وسراة قريش قد جعلتهم يعلمون أن محمداً ﷺ هو المنتصر وأن الإسلام هو المنتصر عقيدة تطمس كل العقائد الباطلة وهذه المعلومات

(١) السيرتوماس و.ا. أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص ١٢٥، ص ١٢٦.

(٢) علي بن حسين الأحمد، مكاتيب الرسول، ص ١٠٣.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، م ٢، ص ٢١٢.

لا بد وأنها قد نقلت إلى نوادي قريش ومجالسهم فكانت قوة لمن أخفوا إسلامهم وبقوا في مكة وحافزاً للإسلام المترددين وإضعافاً لموقف ومركز المتعتنين.

أما عن الرومان فإن إلقاء المبعوث ببيانه أمام الملأ منهم ونتيجة المحاوراة بين امبراطورهم هرقل وتجار قريش عامة وعلى رأسهم أبو سفيان، وما أعلمهم هرقل قبل وصول الرسالة بظهور ملك الختان ثم في النهاية طلبه منهم أن يدخلوا في دين محمد ولكنهم كابروا ورفضوا رغم تكرار نصائح امبراطورهم الذي تأكد له صحة الدين وصدق محمد ﷺ وليثبت حسن النية للإسلام أرسل الهدايا للنبي العربي الأمين^(٢) ومن ثمار الدعوة إسلام الأسقف ضغاطر الذي خرج على النصارى وهم في الكنيسة وأعلن إسلامه وصدق دعوة محمد حيث أنه النبي الذي بشرت به الكتب المقدسة فوثبوا عليه وقتلوه حيث تأثر بذلك الكثير. ومن ثمارها أيضاً إسلام الحاكم العربي وهو فروة بن عمرو الجذامي الذي قبض عليه وقتل رغم الإغراءات حيث أكد لهم عدم تركه لدين محمد ﷺ^(٣) كذلك الحارث بن أبي شمر الغساني الذي أظهر نوعاً من العصبيّة الجاهلية عند استلامه لرسالة الدعوة إلا أنه أرسل الهدايا أيضاً، وإسلام سكرتيره الرومي (مري) كما أسلم جبلة بن الأيهم وكذلك القبائل العربية المنتصرة على الحدود خاصة بعد غزوة مؤتة.

(١) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٨٥، ٨٦.

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة، ج ٣، ص ٤١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٨١.

الفصل الثالث

الأشعار الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمّاله وولاته

بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة عمل على توحيد المسلمين كأمة واحدة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار وامتدت سلطته لتشمل اليهود المقيمين في المدينة وبذلك أصبح نبياً وحاكماً ومشرعاً وقاضياً وقائداً عسكرياً لجميع الأمة وقد وضع ﷺ دستوراً محكماً لشعبه. وهدفه ﷺ توحيد كل الجماعات في شبكة محكمة الاتصال، وكان على هذه الأمة أن ينصر بعضها بعضاً ضد كل الأخطار، وعلى الجميع الالتزام بالتشريع الالهي كما تلقاه النبي الكريم، وبذلك أصبحت سلطة الرسول ﷺ شاملة حيث جمع بين السلطتين: الدينية والدينية^(١).

وانطلاقاً من كونه ﷺ نبياً مرسلًا من الله وحاكماً فقد أصبح مسؤولاً أمام الله وأمام كل الناس عن تدبير شؤون الأمة وحمايتها، فأدار الشؤون السياسية وقاد العمليات العسكرية^(٢) بكفاءة منقطعة النظير.. وذلك لأن الجماعات المتفرقة بالمدينة وجدت أنها بحاجة إلى من يسوس أمرها ويحمل عنها عبء تخطيط ماتريد، وتبعاً لذلك تدين له بالطاعة، ولقد عبر الشاعر العربي عن حاجة الناس إلى العظيم الذي يلتفون حوله لقيادتهم إلى ما يصبون إليه بقوله:

لا يصلح الناس فوزي لاسراة لهم ... ولا حياة إذا جهّاهم سادوا.

قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى عَشْرَةِ أَنْفُسٍ عِلْمُ أَنْ مِنَ الْعَشْرَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ. فَقَدْ غَشَّ اللَّهُ وَغَشَّ رَسُولُهُ وَجَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ».

والرسول ﷺ في توزيعه العمل وتوجيهه لعماله يتحرى القدرات والكفاءات^(٣) ولتسهيل مهمة إدارة الدولة الإسلامية من النواحي الإدارية والعسكرية فقد قسم الرسول ﷺ البلاد إلى مقاطعات إدارية جعل على كل منها والياً وعاملاً وقاضياً^(٤):

١ — المدينة المنورة وما جاورها. كانت إدارة خاضعة لسلطة النبي ﷺ مباشرة.

(١) د. أكرم رسلان ديرانية: الحكم والادارة في الإسلام، طبعة أولى عام ١٣٩٩هـ بجدة، دار الشروق، ص ٥١، ٥٢.

(٢) نفس المرجع — ص ٥٣.

(٣) د. أحمد ماهر البكري: القيادة وتعاليمها في ضوء الإسلام، طبعة أولى عام ١٤٠١هـ بالمنيا بمصر، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٢٣، ٣١.

(٤) د. أكرم رسلان ديرانية: الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٧٠.

٢ — أما الأقاليم الأخرى فكانت عبارة عن مقاطعات: تيماء والجند وبني كنده ومكة ونجران وحضرموت وعمان والبحرين^(١). وجعل لكل عامل اختصاصات منوطة به:

١ — وظيفة الوالي: المحافظة على الأمن والنظام باقامة الحدود وإنفاذ الأحكام.
٢ — العامل: كان الرسول ﷺ ينيب عنه العمال على القبائل وعلى المدينة فيعين من قبله على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن، وعلى كل قبيلة كبيرة في جميع أرجاء الدولة عاملاً. ومهمته جمع الزكاة والصدقات والإمامة في الصلاة^(٢).

وكان الرسول يحسن اختيار عماله وخاصة من وصفوا بالصلاح والأمانة فكان يختار أيضاً المنظور إليهم بين العرب لسمعتهم ومراكزهم وهذا لم يمنعه ﷺ من متابعة أخبارهم ومحاسبتهم.

قال الرسول الكريم ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله».

ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب بل كان من أسباب الرفض. فقد ورد في الصحيحين^(٣) عن النبي ﷺ: «أن قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال: إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه» وقال لعبد الرحمن بن سمرة^(٤): «يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» وقال الرسول ﷺ: «لأبي ذر في الإمارة: إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» رواه مسلم، وذلك لأن الوالي راع بمنزلة راعي الغنم قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام المسؤول عن الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته والولد راع في بيت أبيه وهو مسؤول عن رعيته والعبد راع

(١) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) الصحيحين هما صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم.

(٤) هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أسلم يوم الفتح وسكن البصرة وغزا خراسان في زمن عثمان وفتح سجستان وكابل وغيرها. انظر: حاشية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، ص ١١، نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» رواه الشيخان.

وظيفة القضاء: كان النبي ﷺ هو القاضي الأعلى في المدينة المنورة ويعين القضاة للولايات أو يشير للولاة بتعيين من يرشحهم، وأول قاض في المدينة^(١) هو عبدالله بن نوفل.

وللولاية ركنان: القوة والأمانة قال تعالى: على لسان ابنة نبي الله شعيب ﴿إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾^(٢) وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٣).

وقال تعالى في صفة حبريل عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(٤).

والقوة لكل ولاية بحسب اختصاصها. فالقوة التي لها إمارة وقيادة الجيش تعود إلى شجاعة القلب والخبرة في الحروب والمخادعة فيها ومعرفة أنواع القتال من طعن وضرب ورمي وكر وفر كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وكذلك القوة في الحكم وبين الأفراد: ترجع إلى العلم بالعدل الذي أقره الكتاب والسنة. والقدرة على تنفيذ الأحكام. وأما الأمانة فترجع إلى خشية الخالق كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٥) ويعين في منصب القضاء الأعلام الورع الأكفأ مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل عند حلول الشبهات».

وكان الرسول يقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع، ولهذا كان ﷺ

(١) د. أكرم رسلان ديرانية: الحكم والادارة في الإسلام، ص ٧١.

(٢) سورة القصص — آية ٢٦.

(٣) سورة يوسف — آية ٥٤.

(٤) سورة التكوين — الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأنفال — آية ٦٠.

(٦) سورة فاطر — آية ٢٨.

يستعمل خالد بن الوليد في الحرب منذ أسلم وقال: «إن خالداً سيف سله الله على المشركين»، في الوقت الذي كان أبو ذر (رضي الله عنه) أصلح منه في أمور أخرى ومع هذا فقد قال الرسول ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم» رواه مسلم. وكان نهى النبي لأبي ذر عن الإمارة والولاية لأنه رآه ضعيفاً مع أنه ﷺ قد روي عنه: «ما أظلت الخضراء»^(١) ولا أقلت الغبراء^(٢) أصدق لهجة^(٣) من أبي ذر وأمر الرسول ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل استعطافاً لمن تربطه بهم صلة رحم وهم (الذين بعثه الرسول إليهم) على من هم أفضل منه. وعين أسامة بن زيد قائداً لإحدى الغزوات لأجل ثار أبيه (الذي استشهد في غزوة مؤتة).

هذا أسلوب الرسول ﷺ في تعيين القادة والولاة والعمال والقضاء حيث كان يستعمل الرجل لمصلحة معينة في الوقت الذي يوجد فيه من هو أفضل منه في العلم والإيمان أو يستعمل شخصاً نيابة عنه على ناحية، كما استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وعلياً ومعاذاً وأبا موسى الأشعري على اليمن، وعمرو بن حزم على نجران.^(٤)

وكان الرسول ﷺ يوجه قادة السرايا والجيوش والعمال والولاة توجيهاً نافعاً يدفعهم إلى البذل والتضحية والإخلاص في المهام المكلفين بها مراعيّاً (صلوات الله وسلامه عليه) تحقيق الهدف الأسمى الذي ينشده وهو نشر عقيدة التوحيد، وهذا الأمر الأسمى هو الذي حدا به (عليه الصلاة والسلام) أن يكتب إلى أصحابه ورجاله موضحاً لهم الطريق السوية التي يسلكونها سواء في السلم أو الحرب.

(١) الخضراء : السماء.

(٢) الغبراء : الأرض.

(٣) اللهجة : اللسان.

(٤) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ١٨.

المبحث الأول

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير في المدينة المنورة^(١)

كتب رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير (٢) لإقامة صلاة الجمعة في المدينة المنورة النص التالي : «أما بعد : فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين^(٣). وهكذا فإن الرسول الكريم ﷺ يوجه الدعوة إلى ما يجب أن يتبعوه للقيام بالأركان الإسلامية جهره وبصورة جماعية لما في ذلك من إظهار الألفة وتضامن المسلمين وتوجيه عبادتهم لخالقهم الواحد الأحد والقيام بذلك علانية أمام أصحاب العقائد الأخرى. ويستفاد من الرسالة النبوية الآثار والدلالات الإعلامية التالية :

- ١ — إن الإسلام أصبح حقيقة له وجوده وله أتباعه من المسلمين في المدينة المنورة.
- ٢ — اختيار وقت حدده الرسول وهو يوم الجمعة لإقامة الصلاة جماعة وجهره وبحضور المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً للتقرب إلى رب العالمين وشكره على نعمائه التي لا تحصى، واجتماع المسلمين في الصلاة يوم الجمعة يؤكد وحدتهم وقوة إيمانهم بعقيدتهم.

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، طبعة أولى، دار المعارف، ص ٢١.

(٢) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة مرتين. ومن أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة وكان داعياً للإسلام في المدينة حيث بعثه رسول الله ﷺ إليهم ليفقههم في أمور الدين ويعلمهم القرآن وكتب إلى الرسول ﷺ يستأذنه في أن يجمع بالمسلمين في المدينة فأذن له وكتب رسالته وبذلك يعتبر مصعب أول من جمع في الإسلام جمعة، حضر غزوة بدر وأحد واستشهد في الأخيرة (انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٤، ص ٣٦٨، ٣٦٩ وصور من الجهاد للشيخ زيد بن فياض، ص ٢٨-٢٩ والروض الأنف للسهيلى، ج٢، ص ١٨٦-١٨٧).

(٣) د. محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ١ عام ١٣٨٩هـ بدار الإرشاد، بيروت، ص ٣٥.

الصلاة : لما افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس. انظر : سيرة النبي لابن هشام، ج١، ص ٢٦٣.

٣ — أصبحت العقيدة الإسلامية هي الأساس في التجمع والتوجه إلى الخالق بقلوب خاشعة بعد أن كان العرب متفرقين. لا عقيدة صحيحة لهم كما يقول تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١).

٤ — إن اليهودية المنحرفة ليست العقيدة الوحيدة في الميدان في المدينة المنورة والتي كان اليهود يتباهون بها على العرب فقد ظهرت عقيدة الإسلام وهي عقيدة التوحيد التي تنزه الخالق عن الشريك والند والولد.

٥ — كثرة أتباع العقيدة الإسلامية، مما استدعى قيامهم بالصلاة جماعة وجهرة في مكان متسع لأداء صلاة الجمعة. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ويدل ذلك دلالة واضحة على انتشار الإسلام بصورة واسعة في المدينة كما يؤكد قوة إيمان المسلمين الذين حرصوا على أداء الصلاة جهرة وبشكل جماعي لم يألفه العرب ولم يتوقعه اليهود.

(١) سورة آل عمران — آية ١٠٣.

(٢) سورة الجمعة — آية ٩.

المبحث الثاني

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن جحش^(١)

١ — هو عبدالله بن جحش بن رثاب الأسدي أبو محمد، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة بأهله وهو أول أمير في سرية وغنيمة أول غنيمة غنمها المسلمون وخمس الغنيمة فكان أول مخمس في الإسلام وشهد غزوة بدر وغزوة أحد واستشهد في الأخيرة، وقاتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان عمر عبدالله بن جحش أربعين سنة ونيفاً.

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش ليرصد تحركات قريش وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر في الكتاب إلا بعد مسيرة يومين وبعد ذلك ينظر فيه فيمضي لما أمره بشرط عدم الضغط على من معه للسير معه في المهمة المكلفين بها.

وهذا نص الرسالة النبوية الشريفة :

«إذا نظرت في كتابي هذا فامضي حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم»^(٢).

والرسول صلوات الله وسلامه عليه يعلم نوايا قريش العدوانية ضد الإسلام والمسلمين رغم هجرتهم بدينهم إلى يثرب، ولذلك فهو ﷺ «حريص أشد الحرص على رصد حركاتهم وتحركاتهم وهو في قاعدته الأمنية في المدينة، وليكون على بينة من الأمر، وكذلك ليعد العدة لمواجهة كل التطورات المحتملة، وليدحض الإشاعات والأراجيف التي تبثها قريش عن ضعف المسلمين بوساطة عملائها من اليهود والمنافقين وغيرهم. وليؤكد محمد ﷺ للمؤمنين عدم الالتفات للإشاعات المغرضة انطلاقاً

(١) انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٣، ص ١٣٣. وانظر : سيرة النبي لابن هشام، ج٢، ص ٢٣٨.

(٢) محمد عبدالملك بن هشام : سيرة النبي، دار الفكر، ج٢، ص ٢٣٩. وانظر : عيون الأثر لابن سيد الناس، دار المعارف، بيروت، ١٤م، ص ٢٢٧.

من قول الله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).

وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٢). وفي ذات الوقت أراد الرسول القائد «ﷺ» أن يرهب المشركين من الأعراب والذين يترصدون بالمسلمين الدوائر عند أول فرصة، وكذلك جمع المعلومات الكاملة عن العدو وتحركاته، بإرسال هذه المفزة كدورية (٣) استطلاعية، وكان يهدف أيضاً من وراء ذلك إلى إعلام أعداء الإسلام بقوة المسلمين وليثبت لهم قدرتهم على نشر عقيدتهم والدفاع عنها ضد أي معتد (٤).

ويامعان النظر في الأمر النبوي العسكري لقائد السرية والهدف منها يمكن استخلاص الدلالات الإعلامية التالية :

أولاً : إشعار أعداء الإسلام بقوة المسلمين. قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٥).

ثانياً : كتمان الهدف الأساسي من القوة الاستطلاعية لكي لا يستطيع أحد من أهل المدينة على اختلاف ميولهم وأهوائهم أن يعرف نيات النبي، ولا المطلوب من سرية عبدالله بن جحش، لأن هذا الأسلوب يعتبر من الأسرار العسكرية، حيث حذر الإسلام

(١) سورة الأحزاب — آية ٦٠.

(٢) سورة النساء — آية ٨٣.

(٣) الدوريات هي مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه وعن الأرض وهي نوعان : أ — دوريات استطلاع وهي المفارز التي تحصل على المعلومات دون قتال لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة.

ب — دوريات قتال وهي المفارز التي تحصل على المعلومات بالقتال لذلك تكون قوية في عددها وعدتها. انظر : حاشية الرسول القائد لمحمود شيت خطاب، ص ٩٣.

(٤) محمود شيت خطاب : الرسول القائد، ط ٤ عام ١٣٩١هـ، دار الفكر، بيروت، ص ٨٥.

(٥) سورة الأنفال — آية ٦٠.

من إشاعة الأسرار الحربية. قال تعالى : ﴿لَنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١). وهو أمر عسكري موجز ببلاغة حيث فيه المعاني الكبيرة في الألفاظ القليلة.

ثالثاً : عدم إجبار أي مجاهد على المضي مع السرية وفي نفس الوقت نفذ القائد المهمة قائلاً : «سمعاً وطاعة»^(٢) وفي هذا منتهى نبل القصد حيث أن العملية اجتهادية اختيارية لتحقيق أهدافها دون ضغط أو إكراه، ولقوة إيمان أفراد السرية لم يتخلف منهم أحد بل مضوا في سبيلهم.

رابعاً : الوصول إلى موقع ذي أهمية وقريب من موطن العدو وهو نخلة^(٣) الذي حدده الرسول ﷺ «لاستطلاع أخبار قريش العسكرية والتجارية وجمع المعلومات عنها ولقد حققت السرية أهدافها إلا أنها قامت بقتال الأعداء رغم عدم صدور الأمر بذلك من الرسول القائد، لذلك استغلت قريش ومن لف لفها واليهود هذه الحادثة لوقعها في الشهر الحرام للتشهير بأفعال المسلمين، ولكن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم حيث قال سبحانه مبرراً اندفاع المجاهدين لقتال العدو : «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْعٌ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ أَهْلِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ»^(٤).

كما أنها أول حادثة يقتل فيها شخص من المشركين، وأول غنيمة وأول أسيرين^(٥) أحدهما : الحكم بن كيسان^(٦) إضافة إلى أنها أثارت انتباه الأعداء والقبائل العربية المجاورة وغيرهم إلى القوة الإسلامية الفتية في المدينة وأنه يجب أن يحسب حسابها.

(١) سورة الأحزاب — آية ٦٠.

(٢) عبد الملك بن هشام، سيرة النبي، جـ ٣، ص ٢٣٩.

(٣) نخلة : بين مكة والطائف واد يوجد به مسجد للرسول ﷺ وبه عسكرت هوازن يوم حنين وبينه وبين مكة مسيرة ليلتين يجتمع بها حجاج أهل نجد. انظر : معجم البلدان لياقوت، جـ ٥، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٤) سورة البقرة — آية ٢١٧.

(٥) سيرة النبي لابن هشام، جـ ٢، ص ٢٤٢.

(٦) الحكم بن كيسان : أسلم فحسن إسلامه وجاهد في سبيل الله حتى قتل شهيداً يوم بئر معونة ورسول الله راضٍ عنه. انظر : كتاب المغازي للواقدي، جـ ١، ص ١٥.

المبحث الثالث

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد^(١)

بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم وأن يعطيهم فرصة ثلاثة أيام فإذا دخلوا في الإسلام يقبل منهم، وإن رفضوا يحاربهم.

ولما قدم عليهم خالد بجيشه بعث رجاله في كل اتجاه داعياً القوم للإسلام «أيها الناس أسلموا تسلموا» فأسلم الناس ولذلك أقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله حسب تعليمات الرسول ﷺ ثم كتب خالد إلى الرسول ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله هو أما بعد :

فيا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه وإن لم يسلموا قاتلتهم وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرتني يا رسول الله وبعثت فيهم ركبانا (يابني الحارث أسلموا تسلموا) فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وفد مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بعد الحديبية على الرسول ﷺ في المدينة، وتولى قيادة المسلمين في معركة مؤتة بعد موت الثلاثة الكبار الذين عينهم رسول الله ﷺ ونعته رسول الله سيف الله المسلول، وبعثه الرسول ﷺ إلى أكيدر بدومة الجندل حيث أسره وقتل أخاه حسان وكان خالد من قادة فتح مكة وفاد كذلك عدة معارك إسلامية طافرة وهو من أبطال حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق واشترك في فتوح العراق والشام وانتصر على البيزنطيين انتصاراً مؤزراً في موقعه اليرموك عام ٦٣٦م. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٧٤٩، محمد شفيق غربال.

يكتب إليّ الرسول «ﷺ» والسلام عليكم يا رسول الله ورحمته وبركاته»^(١).

وقد ردّ عليه رسول الله «ﷺ» موجهاً إياه إلى مايجب اتباعه وكتب إليه :
نص الرسالة النبوية الشريفة لخالد بن الوليد :

«من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»^(٢).

وهكذا وبفضل من الله، ثم بتوجيهات رسوله الكريم لقائده خالد بن الوليد المكلف بمهمة دعوة إحدى القبائل العربية (قبيلة كعب بن الحارث) للإسلام وترك عبادة الشرك والأوثان هذه المهمة قد أتت ثمارها وذلك بالأسلوب المقتع وإعطاء الفرصة للقوم ثلاثة أيام للتفكير حيث انتهى بهم تفكيرهم ومشاورتهم إلى الاقتناع باتباع الإسلام ديناً وبمحمد رسولاً دون إراقة دماء عن قناعة وبصيرة، والقائد المسلم خالد بن الوليد بعد أن حقق الهدف هو بحاجة إلى توجيهات الرسول الكريم وإجابة الرسول عليه الصلاة والسلام فوراً.. أن يشرهم بخير الدنيا ونعيم الآخرة.
وأمره الرسول بالحضور برفقة وفد منهم.

ومن يطلع على الرسالة النبوية الشريفة الموجهة إلى قائد المجاهدين الدعاة يخلص إلى الدلالات الإعلامية التالية :

(١) محمد يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة، ط ١ عام ١٣٧٩هـ، بيروت، دار المعرفة، ج١، ص ٩٥، المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦. وانظر : مخطوطة السيرة النبوية للإمام الكازوني، ١م، ص ٢٦٦ ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي للدكتور محمد حميد الله، ج١، ص ١٣١، مع ملاحظة وجود نقص في بعض العبارات في المخطوطة والمجموعة المنوه عنها إلا أن النقص في الكلمات لا يخل بالمعنى العام للرسالة.

(٢) أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط ١ عام ١٣٨٣هـ بالقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ج٦، ص ٣٦٧، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ج١، ص ١٣٢ مع زيادة من النبي والروض الأنف للسهيلى، ج٧، ص ٤١٨ مع زيادة من (محمد النبي) وبني الحارث (بن كعب). وانظر : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للشيخ محمد بن علي الشامي الصالحي، ج٢، ص ٤٣١.

أولاً : الأمر الواضح الدلالة بعدم القتال والبدء به والاتجاه أولاً إلى الدعوة إلى قبول الإسلام مع إعطاء الفرصة للتفكير ثلاثة أيام لمن يدعوهم. وهذا يعني عدم العدوان والاعتصاب والاستغلال وقد نفذ خالد أوامر رسوله لأنها أساس الانضباط والنظام بالنسبة للجيش في الدرجة الأولى قال تعالى : ﴿وَكَلَّوْا سَمْعَنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾ (٢).

ثانياً : إرسال الدعاة (الركبان) لدعوة الناس للإسلام (أسلموا تسلموا) دلالة إعلامية توضح سماحة الدين الإسلامي المتمثلة في إعطاء المدعويين فرصة التفكير فيما هم عليه من عقائد وما يدعو إليه دين التوحيد وحرية الاختيار وهذه الفرصة الطيبة نتج عنها اقتناع المدعويين بصحة دعوة المجاهدين وبطلان عقيدة الشرك لذلك أسلموا، ولا غرابة فهم عرب يعرفون نسب صاحب الدعوة وما أحرزه دينه من انتصارات على ملوك الشرك والعقائد الأخرى الباطلة وذلك لصدق الدعوة وسماحة وكرم صاحب الدعوة. قال تعالى : ﴿فَإِمَّا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).

ثالثاً : مكافأة من هداهم الله بهداه ﴿وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله﴾ بأن يشرهم بالأمن والسلام وجنة النعيم قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة — آية ٢٨٥.

(٢) سورة المائدة — آية ٩٢.

(٣) سورة آل عمران — آية ١٥٩.

(٤) سورة إبراهيم — آية ٤.

(٥) سورة الأحزاب — الآيتان ٤٥، ٤٦.

رابعاً : عودة القائد ومعه وفد من القوم الذين أسلموا للتشرف بمقابلة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام لمبايعته على الإسلام وليتأكد الرسول ﷺ من حسن إسلامهم، وليزودهم بتعاليمه النبوية الشريفة وفي نفس الوقت وقف العمليات والمظاهر العسكرية، لأنه لا لزوم لها وعودة قائد المجاهدين لتطمئن القبائل الأخرى أن هدف الرسول هو الإسلام وتحقيق السلام والأمن في ربوع البلاد قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

ولقد حققت الحملة النبوية بالدعوة الإسلامية المزودة بتوجيهات المصطفى عليه الصلاة والسلام لقائد المجاهدين خالد بن الوليد أهدافها ونجحت في مهمتها نجاحاً مؤزرًا. قال تعالى : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وتوج نجاح حملة الرسالة النبوية الشريفة والتي تتسم بالتشجيع والتهنئة لقائد جيش الدعاة ولمن هداهم الله بهداه والتي تضمنت طلب حضور وفد ممن أسلموا هذا الطلب زادهم ثقة بأنفسهم وبعقيدتهم وأن السلام والأمن سوف يحلان في ربوعهم. قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (٤).

وقال تعالى : ﴿فَاتِمَّا يَسِّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٦).

(١) سورة البقرة — آية ١٢٨.

(٢) سورة يونس — آية ٢٥.

(٣) سورة آل عمران — آية ١٠٤.

(٤) سورة البقرة — آية ١١٩.

(٥) سورة مريم — آية ٩٧.

(٦) سورة الفتح — آية ٨.

لدا : ذوو جدل وشدة خصومة، والمفرد لد.

المبحث الرابع

كتب «عليه السلام» لعامله العلاء بن الحضرمي على البحرين :
النص :

«أما بعد فإنني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية، فعجله بها. وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام»^(١).

هذا وقد سبق للنبي الكريم أن كتب للمنذر بن ساوى بصفته والي البحرين من قبل الرسول «عليه السلام» ووجهه فيها إلى فرض الجزية على بعض أهل البحرين : «افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة»^(٢).

وكتب أيضاً إلى المنذر : «أما بعد : فإنني قد بعثت إليك قدامة وأبا هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام»^(٣).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «أخذ رسول الله «عليه السلام» الخراج من المجوس لأجل كتابهم وحرّم منّا كتبهم وذبائحهم لشركهم»^(٤).

وهذا مصداق لأوامر الرسول «عليه السلام» للمنذر «أعرض عليهم الإسلام فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائحهم ولا نكاح لنسائهم»^(٥).

والرسول قد قبل من المجوس (أهل البحرين) الجزية وأقرهم على مجوسيتهم، وكان عامل الرسول «عليه السلام» العلاء بن الحضرمي، وتابع أبوبكر وعمر وعثمان سنة الرسول في معاملتهم»^(٦).

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد، ج١، ص ٢٧٦. وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ج١، ص ١١٩.

(٢) اندكتور محمد حميد الله «عليه السلام»، مجموعة الوثائق السياسية، ج١، ص ١١٩.

(٣) علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول، ج١، ص ٢٢٢ والمجموعة السياسية، ج١، ص ١١٩.

(٤) القاضي أبو يوسف بن إبراهيم : كتاب الخراج، طه عام ١٣٩٦هـ بالقاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ص ١٤١.

(٥) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، ج١، ص ١١٨.

(٦) القاضي أبو يوسف : كتاب الخراج، ص ١٤١.

والرسول «ﷺ» يعامل المستسلمين من المشركين وغيرهم بهذا الأسلوب التسامحي ليؤكد يسر وسماحة الإسلام المتضمنة عدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام حيث تترك الحرية لغير العرب من يهود ونصارى ومجوس لاعتناق الإسلام. أو البقاء على عقائدهم نظير جزية بسيطة من المال، وأوامر الرسول «ﷺ» نابعة من سماحة هذا الدين القيم لأن الله بعث محمداً «ﷺ» هادياً ولم يبعثه جانياً، وفي ذلك ذكر الله جل جلاله موجهاً رسوله إلى هذا السلوك القويم.

(مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١﴾).

هذه الأساليب الكريمة والمعاملة البناءة من قبل الرسول تجاه هؤلاء الذميين تمت في الوقت الذي كان فيه الفرس والروم في مثل هذه الحالة يقتلون ويسبون ذراري مخالفينهم. وفي أغلب الأوقات يفرضون عقائدهم على المغلوبين. وقصة أصحاب الأخدود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مؤثر صادق على تصرفات دول تلك الفترة. وهدف الإسلام أساساً هو إخلاص العبادة لله وحده وعدم الشرك به، وفي الوقت نفسه إنقاذ الضعفاء والبر بالإنسان ومقاومة الجبروت والطغيان وأسباب الشر والفساد^(٢).

وفرضت الجزية نظير حماية المغلوبين في عقائدهم وأموالهم وأعراضهم وإتاحة الفرصة لهم للتمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء وبذلك فإن فرض الجزية بعيد عن الاستغلال والطمع في أموال المستسلمين، وكانت على ثلاث درجات : أعلاها (ثمان وأربعون) درهماً في السنة على الأغنياء. وأوسطها (أربعة وعشرون) درهماً في السنة على المتوسطين من تجار وزراع، وأدناها وهو (اثنا عشر) درهماً في السنة على العمال المحترفين. وهذه المبالغ تعتبر بسيطة إذا ماقيست بما يدفعه المسلم من زكاة ماله وهو بنسبة (اثنان ونصف) في المائة وهو فريضة الزكاة^(٣).

كما أن المسلمين أسقطوا الجزية عن الفقير والصبي والراهب والمرأة والأعمى

(١) سورة الاسراء — آية ١٥.

(٢) محمود شيت خطاب : الرسول القائد، ص ٤٧.

(٣) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج، ص ١٣٢.

وذوي العاهات وهذا دليل واضح على أن الجزية قد روعي فيها قدرة المكلفين وقد أعفى الإسلام دافع الجزية من الخدمة في الجيش، وضمن الإسلام أيضاً إعالة البائسين وذوي الحاجة من الذميين^(١).

وبذلك فإن فرض الجزية لا يعتبر تعسفاً لمن فرضت عليهم وفرضها أمر رباني قال تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٢).

ونص دستور الإسلام المقدس على كيفية معاملة المسلمين لغير المسلمين فقد قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٣).

وقال أبو يوسف : أنه قد روي عن رسول الله ﷺ أنه : «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»^(٤).

ومن خلال دراسة رسائل النبي ﷺ إلى عماله والمتعلقة بكيفية معاملة أهل الذمة والذين يبقون على عقائدهم نستطيع أن نستخلص الدلالات الإعلامية التالية :

أولاً: حرية العبادة لمن لا يريدون اعتناق الدين الاسلامي اتباعاً لقول الله تعالى : ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾^(٥) وقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾^(٦).

وهذه المباديء لها دلالتها الاعلامية السامية في نفوس الناس مما جعلهم يفكرون في مبادئ الاسلام وسماحته وأنه دين البشرية الذي سيسعدهم لو اتبعوه.

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(٧).

(١) محمود شيت خطاب : الرسول القائد، ص ٤٥.

(٢) سورة التوبة — آية ٢٩.

(٣) سورة الممتحنة — آية ٨.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج، ص ١٣٥.

(٥) سورة الغاشية — الآيات ٢١، ٢٢.

(٦) سورة البقرة — آية ٢٥٦.

(٧) سورة الحجرات — آية ١٣.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَّا الْإِسْلَامُ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

ثانياً: دفع جزية بسيطة مقابل الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم لهي دالة واضحة على نظرة الإسلام المتضمنة عدم البحث عن المكاسب المادية الدنيوية وإنما غرضها الأمن والسلامة للذان يتحققان بعبادة الواحد الأحد.

وكانت المبادئ المذكورة مجهولة قبل الإسلام وبها ظهرت سماحة وسلامة مبادئه كدين يرفع الحقوق والواجبات في وقت لم تكن فيه للشعب حرية أو كرامة في حالة استعمارها، ومن ثم حركت هذه المبادئ السامية العالم من أقصاه إلى أقصاه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ (٢).

ثالثاً: تحريم أشياء ذات أثر فعال على نفسية من لم يعتنق الإسلام وهو يعيش بين المسلمين ومنها: عدم أكل ذبائحهم وعدم نكاح نسائهم كما في قوله «في غير أكل لذبائحهم ولانكاح لنسائهم» وذلك لأن المجوس ومن على شاكلتهم من أهل العقائد الباطلة يوجهون ذبائحهم إلى الشيطان لا إلى الرحمن قال تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

وهذا أمر له خطورته على اقتصاديات وعلاقات أصحاب العقائد والنحل المغايرة لعقيدة الإسلام لما فيها من مقاطعة اقتصادية واجتماعية لهم حيث عبد المجوس النار وأجازوا الزواج من المحرمات (٤).

وهذه مقاطعة سوف تنبهم إلى فساد عقائدهم وسوء تصرفاتهم وبالتالي إعادة النظر فيها. ولننظر إلى الفقرة التالية من البيان الذي ألقاه مبعوث الرسول ﷺ «العلاء بن الحضرمي بين يدي المنذر بن ساوى وهو يعظه قال العلاء للمنذر: «إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكريم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحي من نكاح ويأكلون ما يتكره على أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة».

(١) سورة الأنعام — آية ٧١.

(٢) سورة آل عمران — آية ٨٥.

(٣) سورة الأنعام — آية ١٦٢.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص ١٤٠، ١٤١.

رابعاً: سرعة ارسال ماجمع من الأموال «جزية وصدقات» لصرفها لمستحقيها من المجاهدين على ضوء ما جاء في الآية الكريمة من سورة التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعْمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ (١).

وذلك لاقامة وبناء المجتمع بصورة قوية، والانفاق على المجاهدين لأن المفروض على الجندي أن يكون قوياً قادراً على حمل السلاح واستخدامه وفي نفس الوقت أن يطمئن على مصير من يعول.

ولقد أثبت المجاهدون والدعاة الذين رعاهم الاسلام أنهم مخلصون لعقيدتهم وتعاليم نبيهم لهم عليه الصلاة والسلام مع ملاحظة أن الفضل في انتشار الاسلام ليس بسيف أهل ورماحه ولو كان لزال سلطانه من القلوب بزوال سلطان دولته، فالمجاهدون والدعاة همهم حماية نشر العقيدة الاسلامية وتأمين حرية انتشارها قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢) ولقد نتج عن رسائل النبي ﷺ لعماله في اقليم البحرين وغيره الآثار الاعلامية التالية:

١ — تحول الغالبية العظمى من أهالي البحرين إلى الاسلام حيث حضر وفدهم المكون من عشرين رجلاً بزعامه عبدالله بن عوف بن الأشج، وقد رحب بهم رسول الله ﷺ حيث قال: «مرحباً بكم نعم القوم عبدالقيس» وأمر لهم بجوائز. وحضر وفد آخر من البحرين بزعامه الجارود وكان شريفاً في الجاهلية وعلى دين النصارى (٣).

٢ — أسلم سكان وقبائل المناطق المحلية بالبحرين من أهل هجر وغيرها حيث حضر وفد مرسل من سبيخت والمرسل هو الأقرع بن حابس وقد شفعه الرسول في قومه حيث قال له رسول الله ﷺ انه قد جاءني الأقرع بكتابك وشفاعتك لقومك،

(١) سورة التوبة — آية ٦٠.

(٢) سورة البقرة — آية ١٩٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٥٧ وص ٥٥٩، وانظر: عبدالرحمن عبدالكريم النجم، البحرين في

صدر الإسلام، ص ١٠٦.

وَأَنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ وَصَدَقْتُ رَسُولَكَ الْأَقْرَعَ فِي قَوْمِكَ فَأَبْشِرْ فِيمَا سَأَلْتَنِي^(١) وَطَلَبْتَنِي
بِالَّذِي تَحِبُّ وَلَكِنِّي نَظَرْتُ أَنْ أَعْلِمَهُ وَتَلْقَانِي، فَإِنْ تَجِئْنَا أَكْرَمَكَ وَأَنْ تَقْعُدَ أَكْرَمَكَ. أَمَّا
بَعْدَ فَإِنِّي لَا أَسْتَهْدِي أَحَدًا، فَإِنْ تَهْدِ إِلَى أَقْبَلْ هَدَيْتَكَ. وَقَدْ حَمَدَ عَمَالِي مَكَانَكَ
وَأَوْصِيكَ بِأَحْسَنِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَقِرَاءَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنِّي قَدْ سَمِيتُ
قَوْمَكَ «بَنِي عَبْدِ اللَّهِ» فَمَرِّهِمْ بِالصَّلَاةِ وَبِأَحْسَنِ الْعَمَلِ وَأَبْشِرْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى
قَوْمِكَ.

فَالرَّسُولُ يَحْسِنُ التَّوْجِيهَ وَالتَّشْجِيعَ لِمَنْ يَظْهَرُ إِخْلَاصًا وَصِدْقًا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ
لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

(١) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، جـ ١، ص ١١٨، ص ١٢٠.

(٢) سورة الأنعام — آية ٨٢.

المبحث الخامس

رسالته ﷺ إلى عمرو بن حزم^(١) حين استعمله على نجران^(٢) بعد أن أسلم بنو الحارث بن كعب على يد قائد المجاهدين الدعاة خالد بن الوليد الذي بعثه الرسول ﷺ إلى هناك وأسلموا وأقبل وفد منهم برفقة خالد بن الوليد بناء على أمر النبي، وجرى حوار لاهب بين الرسول الكريم ﷺ وبينهم^(٣) وانتهى النقاش باقتناع رسول الله ﷺ بحسن إسلامهم وثباتهم على الإيمان ثم أمر عليهم^(٤) قيس بن الحصين وبعد أن انصرفوا بعث إليهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم الصدقات المفروضة، وقد زوده الرسول ﷺ بكتاب عهد إليه فيه عهده^(٥) وجاء في الكتاب:

(١) هو عمرو بن حزم بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي. حضر غزوة الأحزاب، واستعمله الرسول ﷺ على أهل نجران وهم بنو الحارث بن كعب، وكان عمره عند توليته سبع عشرة سنة، وذلك بعد إسلامهم على يد خالد بن الوليد، وتوفي عمرو بن حزم بالمدينة (انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج ٤، ص ٩٨، ٩٩).

(٢) نجران : بالفتح ثم السكون وآخره نون والنجران في كلامهم : خشبية يدور عليها رتاج الباب وقالوا سمي نجران بن زيدان بن سلم بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمّرها ونزلها وقد كان أهل نجران مشركين يعبدون الأصنام وقد دخلتها النصرانية على يد أحد المبشرين النصارى واسمه فيميون وتلميذه النجراني عبدالله بن الثامر وقد سار إليهم ذو نواس، الملك العربي اليمني الذي اعتنق اليهودية ديناً فدعى أهل نجران لاعتناق عقيدته ولكنهم رفضوا، وخيّرهم بين القتل أو اتباع عقيدته فاختر معظمهم القتل فخذ لهم الأخدود وحرق من حرق وقتل من قتل ومثل بهم. وفي ذي نواس أنزل الله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ﴾ إلى آخر السورة.

وفتحت نجران في زمن النبي ﷺ في سنة عشر صلحاً ووفد على النبي وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب والعاقب اسمه عبدالمسيح والأسقف وهو أبو حارثة، وأراد الرسول ﷺ مبايحتهم فامتنعوا وصالحوا النبي فكتب لهم كتاباً بذلك. انظر : معجم البلدان لياقوت، ج ٥، ص ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) قال أحد أفراد وفدهم وهو زيد بن عبدالله المداني محبياً رسول الله ﷺ على أحد الأسئلة الفذة الموجهة للوفد. أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً قال : فمن حمدتم ؟ قالوا حمدنا الله الذي هدانا لك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : « صدقتم » (١) الامام أبو الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، ط ٢ عام ١٣٩٨ هـ، بيروت، دار الفكر، ج ٢، ص ١٩٠.

(٤) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٥) نفس المرجع السابق.

نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله يأياها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهداً من رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين وأن ينهي الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر، وأن يخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشدد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه وقال: «ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله». وأن يبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسسه وفريضته وما أمره الله به، (الحج الأكبر والحج الأصغر «العمرة»).

وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون واسعاً فيخالف بين طرفيه على عاتقه وينهى أن يحتبي الرجل في ثوب واحد ويفضي بفرجه إلى السماء ولا يعقص شعر رأسه في قفاه وينهى الناس إن كان بينهم هيج أن يدعوا القبائل والعشائر ولكن دعاؤهم إلى الله وحده لاشريك له، فمن لم يدع الله ودعا العشائر والقبائل فليقتطعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لاشريك له ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وغسل وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين وأن يمسحوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل.

وأمروا بالصلاة لوقتها وإتمام الركوع والسجود وأن يغسل بالنصب وأن يهجر بالهاجرة حتى تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لاتؤخر حتى لاتبدو النجوم في السماء والعشاء أول الليل وأمره أن يأخذ من السفانم خمس الله وماكتب على المؤمنين من الصدقة فمن العقار وفيما سقى العين وفيما سقت السماء العشر وماسقى الغرب نصف العشر وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي عشرين أربع شياه وفي أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبع أو تبعه جدع أو جدعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فإنها فريضة الله افترضها على المؤمنين فمن زاد فهو خير له ومن أسلم من اليهود أو النصارى إسلاماً خالصاً من نفسه فدان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم، ومن بقي على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايجوز عنها وعلى كل حاله ذكر وأنتى حر أو عبد دينار واف أو عوضه من الثياب، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله ومن منع ذلك فإنه عدو

الله ورسوله والمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته^(١).

ولقد تابع الرسول ﷺ بعث عماله ورجاله وبعض قادة المجاهدين معلمين وفقهاء للأقاليم التي دخلها الإسلام لإعلام الناس بما أفاء الله عليهم بدخولهم الإسلام من السلام والأمن وكذلك لتعليمهم أصول دينهم وتنظيم حياتهم اليومية وواجباتهم نحو دولة الإسلام، ومن النواحي التي شملت عناية وحرص النبي ﷺ «اليمن التي بعث إليها كبار الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وأبو موسى الأشعري وغيرهم. وقد بعث رسالة مماثلة لصحابي جليل من طبقة عمرو بن حزم عندما عينه عاملاً على اليمن وأميراً على عمالها.

(١) الامام أبو الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، ط ٢ عام ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الفكر، ج ٢، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. وانظر : سيرة النبي لأين هشام، ج ٤، ص ٢٦٥. وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ج ١، ص ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥. وانظر : كتاب الخراج لأبي يوسف حيث ذكر العهد لعمر بن حزم مختصراً وجاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم» هذا أمان من الله ورسوله يأبها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي لعمر بن حزم حيث بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله وأن يفعل ويفعل ويأخذ من المغنم خمس الله جل ثناؤه وما كتب على المؤمنين في الصدقة من الثمار : الخراج لأبي يوسف، ص ٧٧ وهناك اختلافات في بعض ألفاظ كما ورد في المجموعة مثل هذا بيان، وعهد من النبي، وكره بدل حرم وزيادات مثل (الذين يصدون عن سبيل الله) وكذلك (وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها والغسل عند الرواح إليها) وغيرها من ألفاظ ولا تخل بالعرض والمقصود من العهد.

المبحث السادس

رسالة صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل^(١)

فبعد أن كتب الرسول الكريم كتاباً باقرار أهل اليمن على ما أسلموا عليه من أموالهم وأملاكهم وجه إليهم رسله وعماله لتعريفهم بشرائع الاسلام وسننه وقبض صدقاتهم، وقاتل الكفار^(٢) ولقد أعلم الرسول ﷺ زعماء اليمن أن أمير رسله هو معاذ بن جبل وأنه «من صالحي أهلي ومن ذوي دينهم فأمركم به خيراً فإنه منظور إليه»^(٣).

وكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ وهو باليمن أن فيما سقت السماء أو سقى غيلا العشر. وفيما سقى بالغرب نصف العشر وفي الحالم أو الحالمة ديناراً أو عدله من المعافر ولا يفتن يهودي عن يهوديته^(٤) هذا وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري خزرجي وينسب إلى بني سلمة ويكنى أبا عبد الرحمن وكان أحد السبعين في العقبة مع الأنصار، وشهد بدرأ والمشاهد كلها مع النبي ﷺ وأخى الرسول بينه وبين الصحابي عبد الله ابن مسعود وكان معاذ من أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٤، ص ٣٧٦، ٣٧٧ وأوعز إليه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٣٤٧، ٣٤٨ وأشار إليه البلاذري في فتوح البلدان ص ٨١، ٨٢ وانظر : الشيخ محمد بن علي الأكواع في الوثائق السياسية اليمنية ص ١٢٥ حيث قال : «كان معاذ جهير الصوت شاباً من أفضل شباب قومه حليماً صبيهاً ذا وسامة ووضاعة وذكاء وفهم وثقة. غزا الشام ومات في طاعون عمواس سنة ١٦ هـ وكانت مكانته عند النبي ﷺ محفوظة حيث يعتبر من كبار الصحابة وفضلائهم فقد أرفده الرسول ﷺ خلفه وقال فيه : معاذ أعلم امتي بالحلل والحرام، معاذ إمام العلماء وغير ذلك».

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري : فتوح البلدان، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص ٧٩، ٨٠.

(٣) فتوح البلدان للبلاذري، ص ٨١.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام : الأموال، ط ٢ عام ١٣٩٥ بالقاهرة، دار الفكر، ص ٣٠. وأوعز إليه الامام إسماعيل ابن كثير في السيرة النبوية، ج٤، ص ١٩٦ حيث زاد فيه (أمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنة ومن كل ثلاثين بقرة تبيعاً، ص ١٩٦. وانظر : البداية والنهاية للحافظ بن كثير، ج٥، ص ١٠١ وص ١٠٢.

أبا موسى الأشعري^(١) ومعاذ بن جبل إلى اليمن وقد بعث كلاهما إلى خلاف^(٢) لأن اليمن كانت مخالفتين وقال لهما الرسول الكريم «يسراً ولا تعسراً وبشراً ولا تنفراً» فانطلق كل واحد منهما إلى عمله وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً منه أحدث به عهد زاره فسلم عليه^(٣) ولقد شيع الرسول الكريم ﷺ أمير رسله على اليمن معاذ بن جبل مودعاً إياه بنفسه حيث نادى بلالاً وبحضور جمع من الصحابة أن يأتيه بعمامة فعمم معاذاً بها وشد له على راحلته وهي ناقة النبي ﷺ وخرج بجمع من المهاجرين والأنصار ومعاذ راكب والرسول ﷺ يسير إلى جنبه يوصيه فقال معاذ : يا رسول الله أنا راكب وأنت تماشيني أنزل لأمشي معك ومع أصحابك. فقال المصطفى ﷺ «إنما أحتسب خطاي في سبيل الله»^(٤).

ولقد زود رسول الله ﷺ معاذاً بتوجيهاته النبوية الشريفة وإرشاداته فأوصاه قائلاً: «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث وأداء الأمانة، وترك الخيانة وحفظ الجار، وخفض الجناح، ولين الكلام، ورحمة اليتيم، والتفقه في القرآن، والجزع من الحساب، وحب الآخرة، يامعاذ لا تفسدن أرضاً ولا تشتم مسلماً ولا تصدق كاذباً ولا تكذب صادقاً ولا تعصي إماماً عادلاً، يامعاذ أوصيك بذكر الله عند كل حجر وشجر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية يامعاذ إني أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لها. يامعاذ.. إني لو أعلم أننا نلتقي إلى يوم القيامة لأقصرن عليك من الوصية ولكني لا أدري أنلتقي إلى يوم القيامة؟ يامعاذ إن أحبكم إلي لمن لقيني يوم القيامة، على مثل هذه الحالة التي فارقتني عليها وكتب له في عهده أن لا طلاق لامريء فيما لاعليه ولا اعتق فيما لاعليه ولا نذر في معصية ولا في

(١) أبو موسى الأشعري هو عبدالله بن قيس من الأشعرين من اليمن قدم على النبي ﷺ في جماعة من الأشعرين فأسلموا وأول مشاهدته خبير وكان له أخوة أسلموا وأبو موسى خفيف الجسم قصيراً، حسن

الصوت، وتوفي سنة ٥٢ هـ وقيل عام ٤٢. انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٦.

(٢) الخلاف بلغة اليمن الكورة، والجمع المخاليف. انظر: البخاري، ج ٤، ص ١٠٨.

(٣) الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ط ١، ج ٥، ص ١٠٧، ص ١١٧.

(٤) محمد بن علي الأكوخ الحولاني، الوثائق السياسية اليمنية، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ، بغداد، درار المرية، ص ١٢٦، ١٢٧.

قطيعة رحم ولا فيما لا يملك ابن آدم وعلى أن تأخذ من كل حال م ديناراً أو عدل معافر، وعلى أن لاتمس القرآن إلا طاهراً وانك إذا أتيت اليمن يسألك نصارها عن مفتاح الجنة فقل مفتاح الجنة لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

يامعاذ إنك تقدم على أهل الكتاب وانهم يسألونك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وانها تحرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل لا يحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصاً رجحت بكل ذنب. يامعاذ تواضع لله عز وجل يرفعك الله، واستدق الدنيا (احتقرها واستصغرها) يؤتك الله الحكمة، فإن من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه، ولا تغضب ولا تقولن إلا بعلم، فإن أشكل عليك أمر فاسأل ولا تستح واستشر فإن المستشار معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله عز وجل ان يعلم منك يؤتك وان التبس عليك فقف، وامسك حتى تبينه أو تكتب إلي فيه ولا تفت فيما لم تجد في كتاب الله ولا في سنتي على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار، وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق، وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فانهم لا يستوون إلا في الحدود لا في خير ولا في شر على قدر ما هم عليه من ذلك، ولاتحابين في أمر الله، وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير، وخذ مما لاسبيل عليه العفو عليك بالرفق، وإذا سألت فاعتذر إلى الناس فعاجل التوبة وإذا أسروا عليك من الجهالة فبين لهم حتى يعرفوا، ولا تحاقدهم وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسنه الاسلام، وأعرض الأخلاق على أخلاق الاسلام ولا تعرضها على شيء من الأمور. وتعاهد الناس في المواعظ القصد القصد والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم، وآثروا شغلها على الأشغال وترفقوا بالناس في كل ما عليهم ولا تفتنهم وانظر في وقت كل صلاة فإن كان أرفق بهم فصلوا بهم أوله وأوسطه وآخره صلوا الفجر في الشتاء وغلسوا بها، وأطل في القراءة على قدر ما يطيقون لا يملون أمر الله ولا يكرهونه ويصلون الظهر في الشتاء مع أول الزوال والعصر أول وقتها والشمس حية، والمغرب حيث يحجب القرص صلها في الشتاء والصيف على ميقات واحد إلا من عذر وأخر العشاء شيئاً ما فإن الليل طويل إلا أن يكون غير ذلك، أرفق بهم وإذا كان الصيف فاسفر بالفجر فإن الليل قصير فيدركها النوم وصل الظهر بعد ما يتنفس الظل وتبرد الرياح وصل العصر في وسط وقتها وصل

المغرب إذا سقط القرص، والعشاء إذا غاب الشفق إلا أن يكون غير ذلك أرفق بهم. وتعاهدوا الناس بالتذكير وأتبعوا الموعدة بالموعدة فإنه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله. ولا تخافوا في الله لومة لائم واتقوا الله الذي إليه ترجعون.

يامعاذ إنني عرفت بلاءك في الدين والذي ذهب به من مالك وركبك في الدين وقد طيبت لك الهدية وإن أهدى الله إليك شيئاً فأقبل»^(١).

وتابع رسول الله ﷺ بعث العمال والولاة لليمن فقد بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب كما بعث غيرهم من كبار الصحابة إلى اليمن^(٢).

ومن دراسة رسائل النبي ﷺ ووصاياه إلى عماله على نجران واليمن: عمرو بن حزم معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وأبي موسى الأشعري وغيرهم نستطيع أن نستخلص الحقائق التالية:

أولاً: دخول اليمن في الإسلام واليمن يشكل موقعاً هاماً من عدة نواح مثل كثافة السكان الذين كان لهم ماضي حضاري مرموق وفيهم نسبة كبيرة من اليهود والنصارى وتوجد باليمن ثروة واسعة يستفاد منها إضافة إلى موقعه العسكري الاستراتيجي لسيطرته على قوافل التجارة القادمة من الهند وغيرها لإمداد شرق أفريقيا وكذلك مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط.

ثانياً: اهتمام الرسول ﷺ باليمن والدليل على ذلك إرساله لأكابر أصحابه ورجاله الذين لعبوا دوراً ذا شأن في الدعوة الإسلامية ونصرتها.

ثالثاً: اهتمامه بتوجيه عماله توجيهاً شاملاً من جميع النواحي.. وخاصة كيفية بث الدعوة في أقوام أصحاب عقائد مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وذلك لكي يضمن النبي ﷺ وقوف دين الإسلام من تلك العقائد موقف القوة التي تدعمها الحجة كما في قوله: «يامعاذ ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك عن

(١) علاء الدين الهندي : كنز العمال، جـ ١٠، ص ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧. وأعز إلى هذه الوصية العظيمة كل من الإمام إسماعيل بن كثير في السيرة النبوية، جـ ٤، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦. وصحيح البخاري، جـ ٥، ص ١٠٨، ١٠٩ والوثائق السياسية اليمنية للشيخ محمد الأكوغ، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(٢) الإمام محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، جـ ٥، ص ١١٠.

مفاتيح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(١).

رابعاً: اقناع القوم بصدق وسلامة عقيدة الاسلام بالتدرج كما في قوله «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم طاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢). ويمكننا أن نخلص من رسائل ووصايا النبي الكريم إلى عماله على اليمن الدلالات الاعلامية التالية:

أولاً: الاهتمام الزائد الذي أولاه صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه باليمن وذلك لا يفاده عدداً كبيراً من الصحابة إلى اليمن كمعلمين ومرشدين وحكام وقضاة، ومن فرط اهتمامه «ﷺ» فإنه أحب أن يختبر أمير عماله معاذاً بن جبل قائلاً له وهو يودعه: كيف تصنع ان عرض لك قضاء؟ قال أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله قال: فسنة رسول الله «ﷺ» قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله قال: أجتهد وإني لا آلو قال: فضرب رسول الله صدري ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله»^(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤).

ثانياً: عهوده ورسائله «ﷺ» تتضمن أنواع الفقه في الدين: الزكاة والديات

(١) محمد بن علي الأكوع، الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٢٨.

(٢) الإمام البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص ١٠٩.

(٣) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص ١٠٣.

(٤) سورة النساء — آية ٥٨، ٥٩.

والأحكام والصلاة كمرجع للعمال للعودة إليها إذا أشكل عليهم كما في قوله: «ويعلم الناس معالم الحج من فرائض وسنن وما أمر الله به وينهى إذا كان بين الناس هيح عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له» وذلك لنبذ عادات الجاهلية الهمجية وتعصبهم لقبائلهم حيث كانت هي الرابطة فأحل الله الاسلام عقيدة التوحيد لتكون هي أقرب وأوثق الروابط.

ثالثاً: تعليمهم شرائع الاسلام وفرائضه وحدوده^(١) وأمر بالصلاة لوقتها «وكما في عهده لعمر بن حزم» والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم وآثروا شغلها على الأشغال.

وكما في وصيته لمعاذ بن جبل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُّكُونَ بِالْكَتِبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٤).

لأن الصلاة تعني استمرار العبادة للمسلم مادام حياً وهي مدرسة تعلم المسلمين كثيراً من الصفات مثل المرونة وهي روح تسري في قلب وجسم المسلم من فترة أدائها إلى يومه كله^(٥)، والصلاة مهمة في حياة الفرد المسلم من مطلع يومه حتى انتهائه.

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٦) وفي الصلاة عدة عناصر تنمي ثقة المسلم بنفسه وهي: الثقة بالله والعناية بالمظهر والقضاء على العزلة الاجتماعية وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٧) وهي صمام الأمان الذي يمنح الانسان توازنه ويجنبه التسرع في اتخاذ القرارات قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٨).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٧.

(٢) سورة الأعراف — آية ١٧٠.

(٣) سورة البقرة — آية ٤٥.

(٤) سورة البقرة — آية ٤٦.

(٥) الأستاذ محمد بهنسي، الصلاة حياة، ط١، الاسكندرية بمصر، منشأة المعارف بالاسكندرية، ص ٦.

(٦) سورة الروم — آية ١٧.

(٨) سورة الأنبياء — آية ٣٧.

(٧) سورة الأعراف — آية ٢٩.

رابعاً: توصية العمال بالعدالة والتشير ومراعاة ظروف الناس واللين في حدود تعاليم الدين كله كما في قوله «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث.. وخفض الجناح ولين الكلام.. ولا تشتم مسلماً.. واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء للنار.. ولا تحايين في أمر الله وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير.. وتعاهدوا الناس في المواعظ وتعاهدوا الناس بالتذكير.. ولا تخافوا في الله لومة لائم».

وفي توصيته «ﷺ» لعمر بن حزم «أمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويلين للناس في الحق ويشد عليهم في الظلم قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) ويبشر الناس بالجنة ويعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين: وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين العقل له مالههم وعليه مثل ما عليهم^(٢).

خامساً: أخذ نصيب من مال الأغنياء صدقة (زكاة سنوية) لتوزيعها على الفقراء وذلك لرفع الحيف عن هذه الطبقة التي كانت في عهد ما قبل الإسلام والتي يزداد عدد أفرادها وينظر إليهم كأنهم ليسوا من المجتمع، فجاء الإسلام فرفع من كيانهم من أموال إخوانهم.

سادساً: عدم إجبار أصحاب العقائد الأخرى على اعتناق ديانة التوحيد وهذا يعني التسامح وعدم إكراههم على دخول الإسلام كما في قوله «ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يردّ منها»^(٣).

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٥).

ويلاحظ أن هذه السماحة كانت تنتقل من أفق إلى أفق فيعم أمرها بين الناس

(١) سورة هود — آية ١٨.

(٢) السهيلي: الروض الأنف، ط ١ عام ١٣٨٧، القاهرة، دار الفكر، ج ٧، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ١٧٩.

(٤) سورة النساء — آية ١٦٥.

(٥) سورة البقرة — آية ٢٥٦.

ليأخذوا الفهم الصحيح عن الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام. ولقد كان من نتائج رسائل النبي ﷺ وتعليماته في الدين: أن انتشر الاسلام في ربوع اليمن بشكل واسع فأعزهم الله بالاسلام وأعز الله الاسلام بهم.

المبحث السابع

توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قادة المجاهدين وبعض الولاة حين يعيّنهم بإحدى المهمات العسكرية أو المدنية

كان النبي ﷺ يوجه قادة المجاهدين ويحملهم رسائل شفوية مضمونها: تألفوا الناس ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم إلى الاسلام، فما على الأرض من أهل بيت من مدر أو وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأولادهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم^(١) وكان ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال «أغزوا بأسم الله وفي سبيل الله، فاقتلوا من كفر بالله لا تغلوا^(٢) ولا تغدروا ولا تمثلوا^(٣) ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: أو خلال فأيتهم ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم. ادعهم إلى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فإن لهم مال المهاجرين وعليهم ماعلى المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»^(٤) وكان ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا»^(٥).

(١) محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة، الطبعة الجديدة عام ١٣٧٩، بيروت، دار المعرفة، ج١، ص ٨٦.

(٢) لا تغلوا: لا تخونوا.

(٣) تمثلوا: التمثيل بالقتل قطع بعض أطرافهم كالأنوف.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ط ٢ عام ١٣٩٥ بالقاهرة، دار الفكر، ص ٣٢، ٣٣.

(٥) علاء الدين الهندي، كنز العمال، ج٧، ص ٩٤.

قال عمر بن الحصين^(١) رضي الله عنه: ما خطبنا النبي خطبة إلا أمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة^(٢) حتى الكفار إذا قتلناهم فإننا لانمثل بهم بعد القتل ولانجدع آذانهم وأنوفهم ولانبقر بطونهم إلا أن يكونوا فعلوا ذلك بنا فنفعل بهم مثل ما فعلوا وترك أفضل كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٣).

بعث الرسول ﷺ عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وبعد أن عممه وسلمه السيف قال له: «أغز باسم الله وفي سبيل الله قاتل من كفر بالله لاتغال ولا تغدر ولا تقتل وليداً» (٤).

وعندما شيع جيش مؤته^(٥) بقيادة زيد بن حارثة زودهم بتعليماته وتوجيهاته الشريفة: «أوصيكم بتقوى الله ومن معكم، وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء» (٦) وعن نافع عن ابن عمر قال: «وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي ﷺ فهي عن قتل النساء والولدان» وعن مجاهد قال: (لا يقتل في الحرب الصبي ولا المرأة ولا الشيخ الفاني).

وكما نرى فقد اشتملت وصاياه ﷺ إلى رجال الدولة الاسلامية من مدنيين وإداريين وعمال وقضاة وولاة وعسكريين وهم قادة المجاهدين على عدة حقائق أهمها:

أولاً: الاهتمام بالعدل والصدق في القول والعمل سواء مع المسلمين أو غيرهم قال

(١) المكنى أبا نجيذ وأسلم قديماً وتوفي في خلافة معاوية بالبصرة سنة ٥٢. انظر: المعارف لابن قتيبة، ص ٣٠٩.

(٢) المثلة: التنكيل.

(٣) سورة النحل — الآيتان ١٢٦، ١٢٧.

(٤) علاء الدين الهندي، كنز العمال، ج ١٠، ص ٥٩٠.

(٥) وهي بأدنى البلقاء دون دمشق وهي من قرى الكرك. انظر: بن سعد الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢٨.

(٦) الأستاذ محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ط ٣، عام ٧٧ بالقاهرة، دار الفكر العربي، ص ٦٢٢، ٦٢٣.

(٧) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٢١١، ٢١٢.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

ثانياً: الحث الدائم على التبشير واعلام الناس بتعاليم الاسلام وأهم أركانه وخاصة: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

ثالثاً: الحث على الجهاد في سبيل الله لأن الاسلام الذي يدعو لخير البشرية وفي سبيل نصرة هذا الدين لا بد من بذل الأنفس والأموال لاعلاء كلمة التوحيد قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢).

رابعاً: وصاياہ «ﷺ» بعدم مباغطة من يدعون للاسلام وإعطائهم الفرصة للتفكير وهذه أمور لم يألفها العالم من قبل لأن شريعة حكام شعوب تلك الفترات كانت شريعة الغاب: وويل للمغلوب من الغالب ويمكننا أن نستنتج بعض الدلالات الاعلامية المستوحاة من رسائل النبي «ﷺ» الشفهية ووصاياہ لمبعوثيه وهي:

أولاً: دعوة الناس إلى الاسلام هي الهدف الأمثل التي يأمل الرسول «ﷺ» تحقيقه من بعث المبعوثين كمعلمين ومرشدين لدين رب العالمين قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤).

ثانياً: الحث على الجهاد في سبيل الدعوة إلى الله، ومع هذا أمر المصطفى عليه السلام قادة المجاهدين بأمور حددها لهم كما في قوله: «قاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تمثلوا» قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ

(١) سورة المائدة — آية ٨.

(٢) سورة التوبة — آية ٤١.

(٣) سورة آل عمران — آية ١٠٤.

(٤) سورة النحل — آية ١٢٥.

(٥) سورة الرعد — آية ١٤.

جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَكُمْ» (١) وأمر المجاهدين وقادتهم بعدم الغدر قبل الدعوة والانداز قبل القتال.

وجاء الاسلام بأسلوب جديد فيه سلام وأمن لمن يدعى من المشركين إلى التوحيد حيث أعطاهم فسحة للتفكير: اما اعتناق الاسلام وفي هذه الحالة سينالهم الأمن والسلام وسينالهم ماينال اخوانهم المسلمين والمجاهدين سواء بسواء، وأما دفع الجزية أو القتال وهي آخر ما دعا إليه الرسول من خصال، وهذه أساليب لم تعدها الشعوب قبل الاسلام اذ تعودوا على الغزو والقتال دون رحمة حيث تسبى الذراري وتنتهك الأعراض وتدمر الأوطان ويقتل الرجال فجاء الاسلام بتعاليمه السمحة الصادقة حيث قضى على هذه الأساليب الوحشية وأحل محلها أسلوب الحرية في التفكير واختيار مايناسب تفكير الشعوب ومستواها وأقبل الناس على اعتناق الاسلام زرافات ووحدانا.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢).

ثالثاً: الالتزام بأساليب التبشير مع عدم التنفير كما في قوله «ﷺ» «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وَلْيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى ۚ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۚ﴾ (٤).

رابعاً: عدم استغلال نشوة النصر للتمثيل بالقتلى أو الاجهاز على الجرحى أو هتك الأعراض أو قتل النساء والأطفال والعباد.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٥).

النتائج:

أقبل الناس على اعتناق الاسلام بسلام دون مزيد من اراقة الدماء وذلك لما اشتمل

(١) سورة الحج — آية ٧٨.

(٢) سورة النصر — الآيات ١، ٢، ٣.

(٣) سورة التوبة — آية ١١٢.

(٤) سورة الأعلى — الآيات ٨، ٩.

(٥) سورة المائدة — آية ٢.

عليه الاسلام من أمان وتوحيد، لأن المجاهدين غلبوا جانب التبشير على التشديد والتنفير وكان الاعتماد على التبشير أكثر من الانذار والتهديد مما حدا بالناس على الاقبال على دين اليسر بيسر وذلك لأن الاسلام لايعرف حقداً ولاضعينة ولايريد شراً بأحد. وهذه بعض الدلالات الاعلامية التي ظهرت من خلال توجيهات ووصايا الرسول الكريم لعماله ولقادة جنده المجاهدين.

أولاً: عند توجه عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل دعا الناس إلى الاسلام فأسلم كثير منهم فسار ابن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الاسلام فأسلم الأصمغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً وكان رأس قومه وأسلم معه اناس كثير من قومه^(١).

ثانياً: لما انتهى معاذ إلى الجند باليمن وأشرف على الجبل أذن فلما سمعوا صوت الأذان سمعوا صوتاً عجبياً.. فجاء القوم وقالوا: من أنت؟ فقال: أنا رسول. قالوا من أرسلك؟ قال نبي الله قالوا: وما النبي؟ قال رسول الله الذي خلق السموات والأرض والذي يذهب بالليل ويأتي بالنهار والذي ينزل الغيث من السماء قالوا: وبم أرسلك؟ قال أرسلني بأن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتركوا عبادة الأوثان قالوا: قد فعلنا ذلك فماذا؟ قال: توصل أرحامكم ويحقن الله دماءكم ويشعب^(٢) الله صدعكم ويجمع الله كلمتكم ويفسح لكم في البلاد ويظهركم الله على عدوكم مع الذخيرة لكم من الله تعالى^(٣) ثم قرأ عهده عليهم فلما فرغ قالوا: نعم الرسول رسولنا ونعم الوافد أنت آمنا وصدقنا فبنى معاذ المسجد وبنى القوم معه^(٤).

ثالثاً: أقبلت الوفود تسعى إلى رسول الله ﷺ لمبايعته على الاسلام نتيجة لصدق صاحب الدعوة وايماناً منهم بها وحسن ايصال الدعوة بوساطة الدعاة الذين شرحوا للناس حقائق الاسلام حتى يستقر في قلوبهم وينتشر في ربوعهم.

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٨٩.

(٢) يشعب أي يجمع : لسان العرب المحيط لابن منظور، ج٢، ص ٣١٩.

(٣) محمد بن علي الأكوخ : الوثائق السياسية اليمنية، ص ١٣١.

(٤) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

الفصل الرابع

كتب المعاهدات والأحلاف وصداها الإعلاني
في شبه الجزيرة العربية

المبحث الأول

كتب المعاهدات والأحلاف

بعد أن استقبل الرسول محمد ﷺ في المدينة استقبال النصر والمؤازرة من الأنصار وبنى المسجد^(١). شعر بالراحة والاطمئنان هو وأصحابه من أذى مشركي قريش. وأصبح هدفه العاجل توحيد المسلمين بالمدينة من مهاجرين وأنصار، وكذلك عقد اتفاق أمان مع البقية الباقية من الوثنيين العرب واليهود حتى يتفرغ للمضي قدماً في تحقيق الهدف الأسمى الذي يسعى إليه ألا وهو التفرغ لنشر الدعوة وإعلاء دين التوحيد. لذلك بدأ العمل على إيجاد وحدة متماسكة بين المسلمين الأنصار (الأوس والخزرج) والمهاجرين حتى تقضي هذه الوحدة على كل أسباب الفرقة والبغضاء التي سادت بينهم قبل الإسلام بمكر من اليهود (بني قريظة، بني النضير، بني قنيقاع) وإلغاء معظم مفاخر الجاهلية من الاحساب والأنساب، وإحلال رابطة الدين بدلاً عن ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾^(٢) فالله سبحانه وتعالى قد جعل مقياس القرب والبعد منه التقوى والعمل الصالح كما يفهم ذلك من الآية السابقة.

وبالنسبة للاتفاق مع اليهود^(٣) فقد رغب النبي ﷺ أن يأمن شرهم بالمعاهدة والصلح لأنهم كانوا أصحاب ثروة وعدد وسلاح وكان الحقد والحسد يملآن نفوسهم المطبوعة على الشر والإيقاع بين الناس، والنبي ﷺ كان عارفاً وعالماً بكل هذه الصفات، فأحب أن يأمن جانبهم بالمعاهدة التي سعى إليها اليهود فقبلها منهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)

(١) عبدالمث بن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج٢، ص ١١٨.

(٢) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٣) عني حسين الأحمدي : مكاتيب الرسول، ج١، ص ٢٤٠.

(٤) سورة الأنفال — آية ٦١.

نص المعاهدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم^(٢) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم^(٣) الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً^(٤) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة^(٥) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وأنه من

(١) أي الحال التي جاء الإسلام وهم عليها أي على شأنهم وعاداتهم من أحكام الديات.

(٢) العاني : الأسير.

(٣) معاقلهم : جمع معقلة من العقل وهو الدية.

(٤) المفرح : المثقل من الدين الكثير والعيال.

(٥) أصل الدسيعة : ما يخرج من حلق البعير إذا رغا وقد استعيرت للعطية كما هنا.

تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وأن المؤمنين يبيء^(١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط^(٢) مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه.

وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ~~مواليهم وأنفسهم~~ إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته، وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وأن جفنة بطن من ثعلبه كأنفسهم، وأن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البر دون الأثم، وأن موالي ثعلبه كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وأنه لا ينحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم^(٤) وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم

(١) يبيء : يمنع ويكف.

(٢) اعتبطه : أي قتله من غير شيء يوجب قتله.

(٣) يوتغ : تقول وتغ الرجل وتغاً إذا هلك وتقول أوتغته إذا أهلكه.

(٤) قال السهيلي : (إنما كتب رسول الله ﷺ هذه الكتابة قبل أن تفرض الجزية إذ كان الإسلام ضعيفاً وكان

لليهود إذ ذاك نصيب في المعجم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحرب. انظر : سيرة النبي لابن هشام، ج ٢، ص ١٢٢.

النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يَأْثِم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لاتجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار^(١) يخاف فسادة فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ وأن الله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبره، وأنه لاتجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم^(٢) يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه (ويلبسونه) فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال بن اسحق: «وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وآثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ».

ومنذ البداية أدرك الرسول ﷺ أن أمته لا يمكن أن تقوم إلا على أساس من وحدة الشعب وتعاونه، وأنه مالم يكن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة أو الجماعة فلا يمكن أن تتألف منها دولة بالمعنى المتعارف عليه، ومن أجل إقامة هذه الدولة الإسلامية التي سوف تحمل راية دعوة التوحيد إلى العالم اتخذ النبي ﷺ من حقيقة الأخوة التي أقامها بين المهاجرين والأنصار أساساً لمبادئ العدالة الاجتماعية لإقامة دولة العدل قال

(١) الاشتجار : الاختلاف.

(٢) دهم يثرب : فاجأها تقول : دهمتهم الخيل إذا فاجأتهم.

عبدالمملك بن هشام : سيرة النبي ﷺ، ج٢، ص ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣. والبدية والنهاية للحافظ بن كثير، ج٣، ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦. وانظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس، ج١، ص ١٩٧ ١٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، ج١، ص ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦. وانظر : الروض الأنف للسهيلى، ج٢، ص ٢٤١، ٢٤٢.

تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (١).

ولذلك جعل الرسول (ﷺ) من تلك الأخوة مسؤولية مؤكدة تسري بين هؤلاء الأخوة الأبرار، وليعلم قريشاً ومن ناصرها واليهود والمنافقين أن ما بين المسلمين من التآخي والمودة والألفة ليس مجرد شعار وهمي وإنما هو حقيقة قائمة (٢).

والوثيقة التي كتبها الرسول (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار، ووادع فيها اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم (٣) تنطق بهذه الحقائق:

أولاً: إنها وثيقة دستورية احتوت على الخطوط الواضحة لنظام الحكومة الإسلامية وسياستها في الداخل وعلاقتها بالشعوب المجاورة وخاصة قريش.

ثانياً: هي إعلام للعرب وللشعوب المجاورة كافة بميلاد أمة ذات نظام وشرعية تأتمر بأمر الرسول (ﷺ).

ثالثاً: شمولية الوثيقة للمسلمين واليهود وغيرهم وهذا يشهد بعدالة الاسلام.

رابعاً: تبرز نصوص الوثيقة تسامح الرسول (ﷺ) مع اليهود وغيرهم كما في قوله (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

خامساً: إشراك الجميع في تعقب ومطاردة مثيري الفتن والمجرمين وضرورة القبض عليهم، وتقديمتهم للسلطة لتنفيذ الأحكام فيهم.

كما في قوله (ﷺ): «لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو أن يؤويه وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يؤخذ منه صرف ولا عدل».

(١) سورة النور — آية ٥٥.

(٢) محمد سعيد البوطي: فقه السيرة، ط ٧ عام ١٣٩٨هـ، دار الفكر بدمشق، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١، ص ١٩٧.

وهذه الإنجازات السياسية والإدارية لتؤكد مدى عمق تصور الرسول «ﷺ» النابع من كونه نبياً مرسلًا لإدارة دفة الأمور وتؤكد كذلك قوة المسلمين وأنهم العنصر الموجه وصاحب الكفة الراجحة في المدينة^(١).

(١) الدكتور عون الشريف قاسم: نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله «ﷺ»، ط ٢ عام ١٤٠١هـ، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ص ٣٢.

الأشـار والدلائـل الإعلـامية لوثيـقة الأمان

ومن دراسة الوثيقة والحقائق التي أبرزتها يمكن استنتاج الدلالات الإعلامية التالية:

١ — إعلان قيام دولة الإسلام بالمدينة، وأنها ذات نظام ثابت نال موافقة القبائل العربية في المدينة من مسلمين ومن بقوا على وثنيـتهم وهم قليل.

٢ — أن الرسول ﷺ أصبح سيد الموقف عن رضا الجميع بلا منازع كما في قوله: «كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله».

قال تعالى: ﴿لَو أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾^(١). وقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وقال جل شأنه: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤).

٣ — سيادة الاسلام وارجاع الأمور إلى الله ورسوله كما في قوله: ﴿فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِيَّاكَ هُدِيَ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمَرَ بِالْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَآتَىٰ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَىٰ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٧).

(١) سورة الأنفال — آية ٦٣.

(٢) سورة النساء — آية ٥٩.

(٣) سورة آل عمران — آية ١٠٢.

(٤) سورة البقرة — آية ٢٠٨.

(٥) سورة الأنبياء — آية ١٠٨.

(٦) سورة الأنعام — آية ٧١.

(٧) سورة الحج — آية ٦٢.

٤ — التسامح الديني سمة بارزة في الوثيقة لم تعدها الشعوب بهذه الصفة من قبل، فقد قهر اليهود وشردوا في كل أنحاء العالم نتيجة لذلك وقتل أصحاب الأخدود لنفس السبب وأصبح اليهود ينعمون بالأمن والعبادة كما في قوله «عليه السلام»: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾^(١) وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٧﴾^(٢) وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ ۝٨﴾^(٣).

٥ — إن رابطة الدين الإسلامي أخذت صفة العمومية للتكوين الاجتماعي، وهي المنطلق الذي يدير المجتمع. كما هو الحال بين المسلمين سواء من قريش أو يثرب ومن تبعهم فلحق بهم. وجاهد معهم كلهم أمة واحدة من دون الناس وبذلك أصبحت رابطة الدم في الدرجة الثانية بعد أن كانت هي الأساس الأول في العلاقات الاجتماعية. وعليه فقد أخذت صفة تنظيمية دنيوية لجميع فئات المجتمع في حياتهم المعيشية «كتكافل بعضهم بعضاً، ووفادة بعضهم بعضاً»، وأصبح المجتمع في هذا التنظيم الإسلامي يكفل بعضه بعضاً مادامت وشيجة الإيمان هي الأساس.

فأي شيء يعارضها تبطله كما في قوله: «وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم».

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۝٤﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١١ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝١٢ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝١٣﴾^(٥).

٦ — عدم إيواء قريش أو حلفائها كما في «وأنه لاتتجار قريش ولا من نصرها»

(١) سورة الكافرون — كاملة.

(٢) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٣) سورة الأنعام — آية ١٠٧.

(٤) سورة المائدة — آية ٢.

(٥) سورة التكوين — الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

وذلك لشدة ايداء قريش للمسلمين وتحاملهم على الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ (١).

٧ — هي بلاغ إعلامي واضح الدلالة على أن المعاهدة أوجبت تعاون سكان المدينة على محاربة المعتدين عليهم. وإنطلاقاً من هذا المفهوم توحدت صفوف أهل المدينة على اختلاف عقائدهم وأهدافهم إطاعة للنبي محمد ﷺ والدفاع عن المدينة ضد كل اعتداء خارجي.

٨ — تمكن النبي ﷺ من جعل أهل المدينة على اختلاف عقائدهم وأجناسهم يداً واحدة ضد الأعداء.

وبذلك بدأ الاستعداد تحت قيادته ﷺ للدفاع عن المسلمين قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (٢).
النتائج التي تمخضت عن تلك الوثيقة النبوية الخالدة:

أ — أوجد الرسول ﷺ وحدة سياسية وتنظيمية بمعناها الواسع في المدينة المنورة والتي لم تكن معروفة من قبل في سائر بلاد الحجاز حيث عقد معاهدة صداقة ومحالفة تكفل حرية العبادة. ولم يسبق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام إلى مثل هذا نبي أو رسول (٣).

ب — أضحت المدينة وماحولها حرماً لسكانها عليهم أن يدافعوا عنها وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام قرارات هذه الوثيقة وما فيها من الحقوق والواجبات (٤).

ج — قضى الرسول ﷺ بهذه المعاهدة على كل تعصب للجنس أو اللون أو القرابة أو الوطن، وأصبحت صلة المسلم بغير المسلم بفضل الله جل شأنه ثم بجهود رسول الإنسانية ﷺ تقوم على أساس الوشيجة العامة التي تربط الانسان بأخيه الإنسان حيث جعل أساسها قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(١) سورة آل عمران آية ٢٨.

(٢) سورة الأنفال — آية ٦٠.

(٣) محمد حسين هيكل : حياة محمد، ط٤، بالقاهرة، ص ٢٣٦.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٤١.

د — فتح باب الصلح لمن أراد^(١).

هـ — أوجد قوة سياسية وعسكرية تقف في وجه كل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين وخاصة قريشاً العدو الأول للمسلمين.

(١) أمين دويدار : صور من حياة الرسول ﷺ، ط٤، ص ٢٦٧.

ثانياً: صلح الحديبية^(١)

أجاب رسول الله ﷺ كبار الصحابة على تساؤلاتهم المتعلقة بعدم أخذ عدة للحرب في حالة تحرشات قريش فقال عليه أفضل الصلاة والسلام (لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً)^(٢) وأحرم بالعمرة اشعاراً للناس بعدم رغبته في الحرب وأن خروجه لزيارة البيت الحرام وتعظيماً له^(٣)، وكان النبي ﷺ يخشى من تعرض قريش له بحرب أو أن يصدوه عن البيت^(٤)، لذلك بعث عيناً له من خزاعة يخبره الخبر^(٥).

وعاد الخزاعي مبعوث الرسول ﷺ فأخبره أن قريشاً أعدت العدة لقتاله وصدده ومنعه^(٦) من زيارة البيت الحرام، وأثناء الرحلة توقفت ناقة رسول الله ﷺ، فقال بعض الناس خلأت^(٧)، فقال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل^(٨) عن مكة. وقال : «والذي نفسي بيده لا تدعني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة رحم إلا أعطيتهم اياها»^(٩). وأرسلت قريش سفراءها للتفاوض مع رسول الله ﷺ بغرض منعه من الزيارة. وآخر من أرسلته إليه هو سهيل بن عمرو، كما أرسل رسول الله ﷺ عدداً من سفرائه إلى قريش، موضحاً لهم الهدف من الزيارة بالأدلة الواضحة، وهي الهدى^(١٠)، وحجم العتاد الحربي ونوعيته، وأنه وصحبه يريدون العمرة

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال بئر قرب مكة على تسعة أميال منها وتسمى المكان باسمها، وذلك سنة ست من الهجرة النبوية الشريفة. انظر : إنارة الدجى في مغازي خير الورى لأبي علي حسن بن محمد مشاط المكي، ج٢، ص ٧٨.

(٢) محمد بن عمر بن واقد : كتاب المغازي، ج٢، ص ٥٧٣.

(٣) حسن بن محمد مشاط المكي : إنارة الدجى في مغازي خير الورى، ط٢، ج٢، ص ٧٩، ٨٠.

(٤) حسن بن محمد الحسن الديار بكر : تأريخ الخميس، ط١ عام ١٣٠٢هـ بالقاهرة، ج٢، ص ١٨.

(٥) هو بشر بن سفين بن عويمر الخزاعي. انظر : المرجع السابق، ص ١٨ إلى الآخر.

(٦) الحافظ جلال الدين عبيد بن أبي بكر السيوطي : وكفاية الطالب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، ط١ عام ١٣١٩هـ، حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف النظامية، ص ٢٤٠.

(٧) خلأت : حرنت.

(٨) حابس الفيل : هو الله، وقصة أصحاب الفيل مشهورة وذكرت في القرآن الكريم.

(٩) الحافظ يوسف بن عبدالمبر النعمري : الدرر في اختصار المغازي والسير، ط١ عام ١٣٨٦هـ بالقاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص ٢٠٥.

(١٠) الهدى : ما ينحر عند الكعبة.

لا الحرب والقتال. ومن سفرائه «عليه السلام» لإقناع قريش بعدم صده عن أم القرى الصحابي الكبير عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإعلامهم أن محمداً «عليه السلام» وصحبه لم يأتوا لقتال وإنما جاؤوا معتمرين، وانتهى الأمر بعقد اجتماع بحضور صحابة رسول الله «عليه السلام» وسفير قريش سهيل بن عمرو. وانتهى الأمر بكتابة هدنة، وطال التراجع والتنازع حيال كتابة مقدمة هذه الهدنة، وانتهى الأمر بموافقة النبي «عليه السلام» على الصيغة التي تمسك بها مفاوضو قريش وهو أمر لا يغير من الحقيقة شيئاً في نظر رسول الله «عليه السلام» الذي قطع على نفسه عهداً وهو «لاتدعني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها».

واستاء بعض الصحابة من تعنت وجحود مبعوث قريش ومسايرة الرسول «عليه السلام» لمطالب سفيرها.. وهذا هو نص الهدنة:

«باسمك اللهم»

«أكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه إليه، وأن بيننا عيبة^(١) مكفوفة^(٢)، وأنه لا أسلال^(٣) ولا أغلال^(٤)، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمتم بها ثلاثاً ومعلك سلاح الراكب: السيوف في القرب لاتدخلها بغيرها^(٥). وبادرت قبيلة خزاعة فقالت نحن في عقد محمد وعهده، وبادرت بنو بكر

(١) العيبة : أي بينهم صدر نقى من الغل.

(٢) المكفوفة : أي صدر منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة.

(٣) الاسلال : السرقة والخسة.

(٤) الأغلال : الخيانة.

(٥) حسن بن محمد مشاط المكي : إنارة الدجى في مغازي خير البورى، ط ٢، ج ٢، ص ٩٩. وانظر الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ النمري، ص ٢٠٥ والمجموعة السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٥٨.

فقال نحن في عقد قريش وعهدهم^(١).. ومن دراسة الرحلة النبوية الروحية التعبدية لزيادة البيت العتيق وما جاء في الصلح الذي عقده «ﷺ» مع قريش، يمكننا أن نتبين الحقائق التالية:

الحقائق المستنبطة من صلح الحديبية

- ١ — أن الغرض الأساسي المعلن من الزيارة هو أداء العمرة وإثبات حسن النية وصدق القصد لذا أحرم الرسول «ﷺ» وساق الهدى^(٢) لإعلام قريش والقبائل العربية أنه لا يريد حرباً، وإنما جاء لزيارة البيت الحرام.
- ٢ — خوف قريش واستعدادها لصد الرسول «ﷺ» والمسلمين حيث حشدت الحشود وأرسلت الطلائع، وهذا ما كان الرسول «ﷺ» يحسب حسابه حيث أرسل عيناً له ليتعرف على أخبار القوم وتحركاتهم.
- ٣ — توقفت ناقة الرسول «ﷺ» عن المضي في الرحلة وعندها أعلن الرسول «ﷺ» أن الذي حبسها هو حابس الفيل وهو الله سبحانه وتعالى ولذلك أدلى رسول الله «ﷺ» بالبيان الإعلامي الشريف التالي: لإبلاغ المسلمين كافة سواء المتحفز منهم للقتال أو الذي يريد أن يمضي قدماً للوصول إلى البيت الحرام ولو بقوة السلاح، قال رسول الله «ﷺ» «والذي نفسي بيده لاتدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم نزل»^(٣).
- ٤ — إن كثرة سفراء قريش واستعداداتها الحربية المكثفة لصد نبي الإسلام «ﷺ» وصحبه من دخول أم القرى للزيارة، لدليل واضح على مدى خوفهم من قوة المسلمين، وخشيتهم من استيلاء المسلمين على مكة، ومن ناحية أخرى فإن اهتمام الرسول «ﷺ» بعدم نشوب القتال لنتاج عن غرضه الأساسي وهو العمرة، ولذلك لم يستعد للقتال ولم يعد العدة لحمل سلاح المحاربين، وفي نفس الوقت يؤكد للقبائل العربية مدى تعنت قريش ومنعها الناس من زيارة البيت الحرام.
- ٥ — تشدد المفاوض القرشي في حذف البسملة وصفة الرسول «ﷺ» وموافقة الرسول

(١) حسن بن محمد مشاط المكي: إنارة الدجى في مغازي خير الورى، ط٢، ج٢، ص ١٠٠.

(٢) الهدى: هدى الكعبة، وهو ما يُضحى به عندها وذكر أنه كان ٧٠ ناقة وجمل.

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ بن خلدون، عام ١٣٩٩هـ، م٢، ص ٣٤.

«ﷺ» على ذلك قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(١)،
 لعلم النبي «ﷺ» أن ذلك لن يغير من الحقيقة التي أرادها الله سبحانه وتعالى،
 ولأنه «ﷺ» يهدف إلى أغراض سامية وأهداف ستتحقق علمها النبي «ﷺ» ولم
 يعلمها المفاوض أو بعض المسلمين المتحمسين إلا بعد حين.

٦ — ان ظاهر بعض البنود فيها حيف على المسلمين، ولكن تبين بعد مضي وقت ليس
 بالطويل أنها في صالح المسلمين ووبال على أعدائهم وقصة أبي بصير وأبي
 جندل رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك^(٢).

٧ — اعتراف قريش بمحمد وصحبه وبأنهم أصبحوا قوة يحسب حسابها ولذلك تفاوضوا
 معه «النذ للند» وعقدوا صلحاً معه، لأن الرسول «ﷺ» يؤثر المسالمة والمودة
 في مفاوضاته.

ومن دراسة ماجاء في الصلح والحقائق التي ترتبت على ماجاء فيه من شروط
 يمكننا أن نبرز الدلالات الإعلامية التالية:

الأشـار والدلالات الإعلامية لصلح الحديبية

١ — إن النبي «ﷺ» أعلن هدفه من الرحلة التعبدية إلى البيت الحرام علانية لأهل
 المدينة والقبائل المحيطة بها وأحرم بالعمرة وساق الهدى ليؤكد لهم ولقريش
 صفاء نيته وتعظيمه للبيت العتيق لأن الإسلام يعظم البيت وهو قبلتهم في
 صلاتهم، وأنه لم يخرج لحرب^(٣) وليكشف للعرب مواقف قريش المتناقضة
 ووضعها في موقف حرج لأنه ليس من حقها منع أي عربي من زيارة البيت
 الحرام^(٤).

(١) سورة المزمل — آية ١٠.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ج٣، ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٣) الحافظ يوسف بن عبد البر النمري : الدرر في اختصار المغازي والسير، ط ١ عام ١٣٨٦هـ بالقاهرة، لجنة
 إحياء التراث الإسلامي، ص ٢٠٥.

(٤) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله «ﷺ»، ط ٢ عام ١٤٠١هـ،
 ص ٦٥.

٢ — تأكد الرسول ﷺ أن القتال للوصول إلى البيت الحرام لتعظيمه ليس من الحكمة، وأن الأسلم انطلافاً من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف أداء العمرة في يسر وسلام، ولا سيما وأنه تبين للرسول ﷺ أن استعمال القوة في دخول مكة أمر لا يرضاه الله جل شأنه وذلك لمعرفة ﷺ أن الله دحر أبرهة الحبشي وفيه عندما أراد هدمها، والله سبحانه وتعالى هو الذي حبس ناقة رسول الله ﷺ من المضي في رحلتها حيث صرح النبي ﷺ أن الذي حبسها هو حابس الفيل.

٣ — تعدد السفراء القرشيين المفاوضين وتأكدهم من حسن قصد الرسول ﷺ وأتباعه، وهذا خفف كثيراً من غلواء قريش وجعلها تميل للصلح، وظهور تصدع في جبهة قريش عندما أعلن سيد الأحابيش الحابس بن علقمة معارضته لتصرفات قريش^(١) المتمثلة في صد محمد ﷺ وصحبه عن دخول مكة معتمراً.

٤ — قال عروة بن مسعود أحد مفاوضي قريش لقريش عند عودته من مفاوضة النبي ﷺ مندهشاً من حسن انضباط وطاعة المسلمين لرسول الله ﷺ حيث قال إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه وقال قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها^(٢). وبذلك استطاع النبي ﷺ بحكمته وعمق تفكيره أن يحدث تصدعاً وثغرة في صفوف قريش، مما أضعفها وقوى من مركزه، فتصلب قريش وغطرستها قوبلاً بليونته وحسن تفاهم من محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣).

النتائج الساطعة التي تمخضت عن هذا الصلح:

أولاً: اعتراف قريش ومن حالفها بمحمد ﷺ والمسلمين كقوة، ثم التفاوض معها على قدم المساواة وبصورة علنية، حيث كانت قريش تستخف بقوة المسلمين

(١) الشيخ حسن بن محمد بن الحسين الديار بكر : تاريخ الخميس، ط ١ عام ١٣٠٢هـ، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) الحافظ جلال الدين عيد بن أبي بكر السيوطي : كفاية الطالب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص

الكبرى، ط ١ عام ١٣١٩هـ حيدر آباد، ص ٢٤١.

(٣) سورة يونس — آية ٤٧.

ويوهمون القبائل والدول المجاورة بضعف شأن المسلمين. كما حدث عندما أرسلوا وفدهم للنجاشي لإعادة المهاجرين، وكما جرى عندما سأل مبعوث باذان عن محمد ﷺ حيث توقعت قريش أن يقوم كسرى بالقضاء على دعوته، ولكن رد الله كيدهم في نحورهم قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

ثانياً: رفع الحيف عن المسلمين المستضعفين بمكة المكرمة، وحقن دماءهم مع إعطائهم حرية العقيدة، حيث انتهت المفاوضات دون قتال (٢). قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْأَذْوَ حَظٌّ عَظِيمٌ (٤).

ثالثاً: حرية التنقل والأمن الذي ساد المنطقة مما أدى إلى اختلاط الكفار بالمسلمين مما أتاح للكفار فرصة وحرية الاستماع إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، ومناظرة المسلمين لهم حيث علموا أن الله غالب على أمره، فبدل معظمهم كفره بالإسلام والتسليم لدين الوحداية (٥).

رابعاً: علم المسلمون الذين شعروا بشيء من الضيم، أن صدهم عن البيت الحرام ورجوعهم كان في الظاهر هضماً وفي الباطن عزاً وقوة، قال تعالى: ﴿وَمَاءَ أُنْثَكُمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٦) فأذل الله المشركين، حيث أرادوا العزة، وقهرهم الله حيث رغبوا في الغلبة.

خامساً: فتحت الباب على مصراعيه لمن أراد من القبائل العربية الدخول في حلف محمد ﷺ، حيث انضمت قبيلة خزاعة (٧) إلى عقد الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

(١) سورة آل عمران — آية ١٣٤.

(٢) حسن مشاط المكي : إنارة الدجى، ط ٢، ص ١٠٣.

(٣) سورة فصلت — آية ٣٤، ٣٥.

(٤) رفيق المعروف بعظم زاده : رسالة انتشار الأديان، ط ١ عام ١٣١٣ هـ بالقاهرة، مطبعة الإسلام، ص ٣٢، ٣٣.

(٥) سورة الحشر — آية ٧.

(٦) عروة بن الزبير : مغازي رسول الله ﷺ : تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط ١، ص ١٩٤.

سادساً: زال تعصب قريش وامتناعهم عن مخالطة المسلمين ومعاملتهم بما يكرهونه حيث تغلبت الحجة المقنعة على ضمائر العقلاء من المشركين، فأسلم منهم كثير ومنهم الوجهاء والفرسان أمثال خالد بن الوليد، وعمر بن العاص^(١)، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَ ۚ وَلِيَأْمُرْ شِدًّا﴾^(٢).

سابعاً: موقف الرسول ﷺ من تصرفات قريش، وخاصة صده عن البيت العتيق، وما أظهر من حسن تصرف وزهد في الحرب ورغبة في الصلح أدى إلى تغير نظرة القبائل العربية التي لم تدخل في الاسلام إلى الاسلام والمسلمين قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٤).

ثامناً: انه نتج عن الأمن والسلام الذي نعمت به دولة الاسلام الناشئة ما يأتي:
أ — تفرغ الرسول ﷺ للقضاء على قلعة العدوان والغدر في خيبر حيث كسر شوكتهم^(٥) وأراح العرب جميعاً من مؤامراتهم وفتنهم.

ب — استطاع تأديب بعض القبائل وتطبيع العلاقات «ان صح هذا التعبير» مع قبائل أخرى كانت تشكل خطراً على الاسلام والمسلمين.

ج — قام الرسول ﷺ بحملته الاعلامية الواسعة بوساطة رسله الذين يحملون رسائله لدعوة الملوك والقادة داخل وخارج شبه الجزيرة العربية^(٦) لقبول الاسلام ديناً والاعتراف بمحمد ﷺ رسولاً.

(١) حسن مشاط المكي، إنارة الدجى، ج-٢، ص ١٠١.

(٢) سورة الكهف — آية ١٧.

(٣) سورة الممتحنة — آية ٧.

(٤) محمد زكي بيضون: موكب النور في سيرة الرسول، ص ٢٦٧.

(٥) الدكتور عماد الدين خليل: دراسة في السيرة عام ١٣٩٤هـ بالقاهرة، ص ٩٥.

المبحث الثالث

ثالثاً: المعاهدات مع زعماء مدن الحدود الواقعة شمال حدود شبه الجزيرة العربية وهي (أيلة)^(١)، وجربا^(٢)، وأذرح^(٣):

عرف الفقهاء المعاهدات بأنها اتفاق بين طرفين إما أفراداً أو جماعات أو دولاً على أمر يلتزمونه فيما بينهم لمصلحة مشتركة، والذي نريده هنا هو المعاهدات الخاصة بالهدنة في الحرب لأن تأثير الحرب والسلم على علاقات الدول بعضها ببعض أشد من تأثير غيرها^(٤).

ومن يتدبر القرآن الكريم سيجد فيه من الآيات الكريمة ما يدل على مشروعية المعاهدات، وجواز موادة الحكومة الإسلامية لغيرها من الدول، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥).

ولأن المعاهدات من أسس السلام وقواعده فقد أقرها الإسلام وحض عليها، كما

(١) سميت بأيلة نسبة إلى أيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وهي مدينة على شاطئ البحر الأحمر فيما بين مصر ومكة وهي أول حد الحجاز، وكانت مدينة تجارية جليلة القدر وسكانها أخلاط من الناس وقريب منها جبل الصور حيث نأجى موسى عليه السلام ربه وهي مدينة كثيرة النخل والزرع وبها كثير من اليهود، ويقال أن أيلة هي القرية التي ذكرها الله في كتابه حيث قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا، وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. وكان من خبر القرية أنهم كانوا من بني إسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم اليمس الحيلة وقال إنما نهيتهم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض وكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة لتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلّة الماء فيأخذونها يوم الأحد وانقسم اليهود إلى فريقين أحدهما جاهر بالنهي واعتزل وقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا: «إن للناس لشأناً فعلوا الجدار فإذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس فجعلت تأتيتهم فتشم ثيابهم وتبكي. فيقول الناهون للقردة ألم تنهكم؟ فنقول برأسها نعم». قال قتادة: فصار الشباب قردة والشيوخ خنازير وقيل إن ذلك كان في زمن داود عليه السلام. انظر: خطط المقرئ، ص ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) جربا: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام. انظر: ياقوت الحموي.

(٣) أذرح: بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء. المرجع السابق.

(٤) عبدالله بن ناصر بن سلطان السحيباني: السياسة الخارجية لدولة الإسلامية في عهد النبوة، رسالة ماجستير عام ١٣٩٩هـ بالرياض، ص ٦٤.

(٥) سورة الأنفال — آية ٦١.

أباح الاسلام عقد الاحلاف. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

وبعد أن أصبحت الدولة الاسلامية بعد فتح مكة المكرمة جديرة بحماية حدودها ونشر تعاليم الاسلام، ولأن الدولة الرومانية كانت تتابع عن كثب نتائج الأحداث التي تدور داخل شبه الجزيرة العربية، وما حققته عقيدة التوحيد التي سبق وأن دعاها رسول الله ﷺ إليها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢) أدرك الرومان أن دعوة الاسلام قد وجدت سبيلها إلى بلاد الشام، فإسلام الأسقف ضباط وقتله في الكنيسة وفروة بن عمرو الجذامي واعدامه بأمر هرقل مازال ماثلاً في الأذهان، وزحف الدعوة يمثلاً في نظرهم خطورة على دولتهم^(٣)، وقد علم الرسول القائد ﷺ بتجميع صفوف الروم والقبائل المتنصرة من العرب وانضمام قبائل لخم و جذام إليهم^(٤) واستعدادهم لمهاجمة الدولة الاسلامية، لذلك أمر الرسول ﷺ بالاستعدادات العسكرية في وقت عصيب، وتوجه بجيشه المجاهد إلى تبوك^(٥) عام تسعة من الهجرة ولم يلق كيذا، وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم خوفاً منه ﷺ عندما علموا بمسيرة^(٦) والحكمة من الغزوة هي: اغاظة الكفار وظهور عز الاسلام وفضيحة للمنافقين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

فاتاه يوحنا بن رؤبة أسقف أيلة^(٧) وأهل جربا، وأذرح، وأهدى صاحب آيلة

(١) سورة الممتحنة — آية ٨.

(٢) سورة آل عمران — آية ٦٤.

(٣) محمد فرج : العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، ط ٣ عام ١٩٧٧م، ص ٦٣٧.

(٤) البلاذري : فتوح البلدان عام ١٣٩٨هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٧١.

(٥) تبوك : موقع بينه وبين المدينة المنورة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة على الابل. انظر : إنارة الدجى لحسن

مشاط المكي، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٦) أحمد زيني دحلان : السيرة النبوية عام ١٣١٠هـ، مصر، ج ٢، ص ١٣٢.

(٧) سورة التوبة — آية ١٢٣.

لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه الرسول ﷺ بردا فصالح الرسول ﷺ على الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له الرسول ﷺ كتاباً^(١) هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم» وهذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة، وأهل أيلة لسفنههم ولسياراتهم، ولبحرهم ولبرهم، ذمة الله وذمة محمد النبي ولمن كان معهم من كل مار من الناس، من أهل الشام واليمن وأهل البحر فمن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيبة لمن أخذه من الناس ولا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يردونها من بر أو بحر^(٢).

وكتب رسول الله ﷺ لأهل أذرح وجربا كتاباً هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي ﷺ لأهل أذرح وجربا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان إلى المسلمين ومن لجأ من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين فهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد ﷺ»^(٣)، ومن يمعن النظر في موجبات تحرك الرسول ﷺ إلى حدود دولة الاسلام في الشمال (تبوك) فإنه تحذير وإنذار لدولة الروم وبعض القبائل المتحفزة، وخذلان لروما والقبائل بانحسار جيوشها وعدم مواجهة جيش المجاهدين ومسارعة زعماء مدن الحدود القريبة للوفود إلى الرسول ﷺ لتقديم الطاعة والاعتراف بسيادة الاسلام. ويمكن للدارس لهذه المعاهدات أن يتبين الحقائق التالية:

-
- (١) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : تأريخ اليعقوبي عام ١٣٨٤هـ بالنجف، ج٢، ص ٥٧.
(٢) عروة بن الزبير : مغازي رسول الله ﷺ تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط١ عام ١٤٠١هـ بالرياض، مكتب التربية لدول الخليج، ص ٢٢٩. وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ١، ص ٢٨٩ حيث ذكر في البر والبحر ولهم ذمة محمد رسول الله، ووضع الجزية على أهل أيلة ثلاثمائة دينار كل سنة. وانظر : إنارة الدجى لحسن مشاط المكي، ج٢، ص ٢٩٤. وانظر : كذلك خطط المقرئ، ط١، ص ٣٤٦ مع وجود اختلاف في بعض الألفاظ التي لا تخل بالمعنى.
(٣) الشيخ محمد بن علي الشامي الصالح : مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد عام ١٠٩٦ الرقم الخاص ٦٠٠، الرقم العام ٢٤٢، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ص ٣٣٣. انظر : السيرة النبوية للشيخ أحمد زيني دحلان، ج٢، ص ١٣٢. وانظر : الطبقات الكبرى لابن سعد، ط١، ص ٢٩٠ حيث أفرد الكتاب لأهل أذرح، مع وجود زيادة ونقص في بعض الألفاظ التي لا تخل بالمعنى. وانظر: مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله، ص ٩٠.

أولاً: تأكيد سيادة الدولة الاسلامية على أراضيها استكمالاً لتوحيدها.

ثانياً: قوة تحمل وايمان المجاهدين في التوجه إلى ميدان الجهاد لتلبية لدعوة رسول الله ﷺ رغم سوء الظروف الجوية ووعورة الطرق المؤدية إلى النقطة التي حددها الرسول ﷺ وكذلك ضعف الامكانيات الاقتصادية التي يستوجبها تحرك الجيش على عجل لتلبية نداء الايمان، وكانت تلك الرحلة الجهادية تدريباً عملياً ونفسياً لجند الله على تحمل المشاق في سبيل تأمين سبل الدعوة إلى الله وفي نفس الوقت المبادرة لاطهار قوة المسلمين أمام الروم وغيرهم الذين حشدوا الجيوش للانقضاض على الدولة الاسلامية.

ثالثاً: عدم قدرة جيوش روما وحلفائها على مواجهة المجاهدين، وهذا بدوره عزز قوة المسلمين، وأشعر القبائل العربية بقوة الاسلام والمسلمين، وأن أنصواءهم مع إخوانهم العرب المسلمين خير لهم من أن يكونوا أتباعاً للروم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۝﴾ (١).

رابعاً: إن مبادرة زعماء الحدود بالمثول أمام الرسول ﷺ لتقديم الطاعة والاعتراف بالتبعية لدولة الاسلام وعقد الرسول ﷺ المعاهدات معهم ليعتبر من أبرز الدلالات على مدى ماوصلت إليه القوة الاسلامية بزعامه رسولها القائد ﷺ ودليلاً واضحاً على تمرد هؤلاء الزعماء على سلطة روما بانصوائهم تحت جناح دولة الاسلام لينعموا بعدالة الاسلام والأمن والسلام وحسن الجوار قال تعالى: ﴿وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَدِّيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝﴾ (٢).

ويمكننا من دراسة تمركز قوات المجاهدين بقيادة الرسول ﷺ على الحدود المتاخمة لدولة الرومان أن نستنتج أنها كانت عنوان القوة في ذلك العصر، حيث عقد الرسول ﷺ مجموعة من المعاهدات مع زعماء ورؤساء دويلات الحدود المتاخمة لحدود دولة الاسلام.

(١) سورة المائدة — الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب — آية ٢٧.

الآثار والدلالات الاعلامية لقوة الدولة الاسلامية:

أولاً: بروز القوة الاسلامية الناشئة كدولة ذات قوة وسيادة وتعزيز تلك السيادة بتحريك جيشها الكثيف لاثبات هذا المفهوم والتلويح لدولة روما بعدم تجاوز الحدود، ولوضع حد لتحركات القبائل العربية بايعاز من روما للاحاق الأذى بالمسلمين، ولانذار روما وتلك القبائل بعدم نسيان المسلمين، لما اقترفته روما وبعض القبائل العربية وهو قتل مبعوث الرسول ﷺ (الحارث بن عمير الأزدي) من قبل مجرم الغساسنة شرحبيل بن عمرو الغساني، وكذلك موقعة مؤتة. قال تعالى: ﴿فَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسْ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (١).

ثانياً: اعلام العرب بصفة عامة وعرب الشمال ومنتصرة العرب بصفة خاصة بأن لهم دولة ذات عقيدة ربانية وسيادة وهي أولى بولائهم وتبعتهم لها، وفي هذا عز وكرامة لهم، وأفضل من أن يكونوا تابعين لدولة روما التي تعاملهم معاملة الأتباع الأذلاء، وخير للعربي أن يكون مع أخيه العربي المسلم من أن يكون تابعاً، وسوف تتحقق لهم العزة والكرامة بمجرد اعتناقهم دين التوحيد. قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

ثالثاً: تأكد للعرب جميعاً سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو في الأقاليم المجاورة أن المحرك الأساسي لقوة المسلمين العرب وبروزهم بصورة أذهلت روما هو الدين الاسلامي قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ جُنَدَانَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤).

رابعاً: أصبحت الدولة الاسلامية ملزمة بحماية الشعوب التي عقدت معها المعاهدات، وهذا مؤشر اعلامي للدول والشعوب المجاورة لأخذ العلم بمدى

(١) سورة النساء — آية ٨٤.

(٢) سورة الممتحنة — الآيتان ٧، ٨.

(٣) سورة الروم — آية ٣٠.

(٤) سورة الصفات — الآيتان ١٧٢، ١٧٣.

ماوصلت إليه قوة الاسلام الناشئة، من سلطان أهلها لعقد المعاهدات وفرض الحماية والجزية. قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنَ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

وذلك لأن الرسول ﷺ قد دعا يوحنا للاسلام فلم يستجب.

ومما سبق ذكره يمكن الوقوف على أهم النتائج التي نتجت عن تحرك جيش الدعاة إلى حدود الدولة الشمالية :

١ — شمول سلطان دولة الاسلام على شبه الجزيرة العربية من تبوك شمالاً حتى اليمن جنوباً ومن البحرين وعمان شرقاً حتى البحر الأحمر غرباً.

٢ — خضوع مجموعة من الشعوب والزعامات تحت حماية الدولة الاسلامية كما تبين في البحوث السابقة.

٣ — اقبال الوفود العربية من اليمن ومن كل فج ومسلك لمبايعة رسول الله ﷺ على الاسلام والطاعة، فبدل الله العرب بعد الفرقة اتحاداً وبعد الذل عزاً وثراء وبدل الشرك توحيد رب العالمين، وأصبح الدين هو الأساس في حياة العربي وهو الذي يحكم علاقته بالآخرين بدل التعصب للقبيلة، وبذلك فإن العصبية القبلية قد خفت صوته وأصبح الاسلام بمبادئه سيد الموقف بلا منازع (٣).

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران — آية ٢٠.

(٢) سورة المائدة — آية ١٩.

(٣) محمد أبو زهرة : خاتم النبيين، ج٣، ص ٣٠٢.

(٤) سورة المائدة — الآيتان ١٤، ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (١).

وتدافعت الوفود إلى رسول الله ﷺ فلا تبرح من بين يديه إلا وقد خالطت بشاشة الإيمان والاسلام قلوبهم فيعودون إلى أقوامهم ليتولوا تعليمهم ماتعلموه من الرسول ﷺ تحقيقاً لقول الله جل شأنه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢).

(١) سورة النور، آية ٥٥.

(٢) سورة التوبة — آية ١٢٢.

المبحث الرابع

كتبته صلى الله عليه وسلم في بعض الموضوعات المختلفة

أولاً : كتابه «عليه السلام» إلى بني زهير بن أقيش (١) :

«بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله «عليه السلام» لبني زهير بن أقيش من عكل، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وفارقتم المشركين، وأعطيتهم من المغانم الخمس، وسهم النبي «عليه السلام» والصفى أو قال وصفه فأنتم آمنون (٢) بأمان الله».

ولأن الخالق جل شأنه نصر عبده وخذل الأحزاب والمشركين وأعداء التوحيد حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَمُتَّصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْقَلْبُونَ ﴾ (٣).

أصبح الإسلام مهيمناً، وهيبة رسول الله «عليه السلام» وجند الله المجاهدين من القوة والفعالية بحيث أعز الله بها المسلمين، وخذل المشركين في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وبذلك أصبح الإسلام هو الدين الغالب على أمره في شبه الجزيرة العربية بوجه عام، وأن الشرك أصبح محدود النطاق مشدود الخناق فصار المشركون منبوزين، تعلن نجاستهم ويحظر عليهم دخول المسجد الحرام بعد العام التاسع للهجرة بإعلان يعلن

(١) اسم القبيلة : وهم بنو عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة ومنهم خزيمة بن عاصم بن فطن بن عبد الله بن عبادة ابن سعد بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة العكلي، وفد على النبي «عليه السلام» بإسلام قومه فمسح النبي «عليه السلام» وجهه وكتب له كتاباً يوصي به من ولي الأمر بعده وجعله على صدقات قومه. انظر : جمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت حاشية، ج١، ص ٦٨ والمعارف لابن قتيبة، ص ٧٤ وتعني كلمة عكل الغباوة كما ورد له في المراجع المنوه عنها وأقيش تصغير من الوقش والوقش الحركة الخفيفة كما ورد في الأموال، ص ١٧.

(٢) أمن : الأمان والأمانة، وقد أمنت فأنا آمن وأمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن : ضد الخوف، والأمانة : ضد الخيانة، والإيمان : ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضد التكذيب وفي التنزيل العزيز ﴿وَأَمْنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ سورة قريش آية ٤.

(٣) سورة الصافات — الآيات ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

على جميع الناس يوم الحج الأكبر^(١). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(٢).

وغدا المسلمون بعون الله وقوته وحدة مترابطة دينياً واجتماعياً وسياسياً، والقوة الوحيدة في شبه الجزيرة العربية، وخاصة بعد فتح مكة وغزوة تبوك، وفي هذا الوقت الذي انخلت فيه البقية الباقية من المشركين المترددين وأصحاب العقائد الأخرى، أُسْتُدْعِيَ منهم إما أن يطلبوا الحماية والأمان من رسول الله ﷺ خشية على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وبذلك يحققون لأنفسهم السلام أو تعريض أنفسهم للقتال أما بالنسبة للعرب الوثنيين منهم فقد كان الاختيار محدداً إما الإسلام أو القتال^(٣) وعليه فقد آثروا السلامة والأمن فأرسلوا وفودهم لمبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام وتلقي نصحه وأمره^(٤)، ولتحصل بعض الوفود على وثائق أمن وسلام من نبي الإسلام لإبرازها لمن تسول له نفسه من القبائل الأخرى الاعتداء. ومن بين الوفود التي أسعفها الحظ وتشرفت بمقابلة نبي الله ﷺ وفد بني زهير بن أقيش من عكل الذين نالوا وثيقة السلامة والأمان من رسول الله ﷺ والتي تتضمن:

أ — شرط قبولهم الإسلام، كما في قوله: «إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة» وذلك لأن شهادة أن لا إله إلا الله هي أول ما يجب ذكره، وذلك للتأكيد على أهمية الجوهر الأساسي، لأن الشهادة بتوحيد الله هي الفصيل، وأول ثمرة من ثمار الإيمان بوحدانية الله لتحقيق التماسك الاجتماعي بين جميع المسلمين، حيث أثبتت التجارب أن التماسك الاجتماعي القائم على مشاعر عصبية أو عنصرية، أو على أساس مبادئ وقيم من صنع البشر مهما كانت قوتها لا يدوم طويلاً^(٥).

ب — مفارقة المشركين، وهذا شرط أساسي لمقاطعة من بقوا على شركهم من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وفي ذلك محاصرة للوثنيين وتضييق

(١) محمد عزت دروزة: سيرة النبي، ط ٣ عام ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ٢٨.

(٢) سورة التوبة — آية ٢٨.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ط ٢، عام ١٣٩٥هـ، ص ٣٤.

(٤) محمد عزت دروزة — سيرة النبي، ط ٣ عام ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ٢٦.

(٥) الدكتور عبدالله يسري أحمد: التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ط ١ عام ١٤٠١هـ، ص ٢٥، ٢٦.

الخناق عليهم بصورة غير مباشرة، يأمل معها رسول الله ﷺ أن يدخلوا في الإسلام دون إراقة دماء. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١).

جـ — تعريف ذلك الحي من العرب بالواجبات المطلوبة وهي الخمس من غنائم وسهم النبي ﷺ وصفيه، للصرف من تلك العائدات على أمور الدولة والمجاهدين.

د — إذا أسلموا وفارقوا المشركين وأدوا الواجبات المنصوص عليها في الوثيقة، فسوف يشملهم أمان الله ورسوله، والمخالف لذلك ناقض لأمان الله كما في «فإنهم آمنون بأمان الله»، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣).

الحقائق التي اشتملت عليها الوثيقة النبوية لبني زهير بن أقيش :

أولاً : إن قبول الإسلام يتطلب توحيد الله تعالى ثم الاعتراف برسالة النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤).

ثانياً : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما ركنان هامان لا بد للمسلم أن يؤديهما : فالصلاة صلة بالله العظيم الذي لا حدود لسلطانه ولا نهاية لاحسانه، إنها صلة تجمع الإنسانية في مسجدها الجامع «الأرض» الذي جاءت الإشارة إليه في هذا الحديث «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة — آية ٢٠٨.

(٢) سورة الاسراء — آية ٣٤.

(٣) سورة النحل — آية ٩١.

(٤) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

(٥) سورة المؤمنون — الآيتان ١، ٢.

(٦) سورة هود — آية ١١٤.

وإيتاء الزكاة.. فيه مواساة وتعاطف وتراحم وهي توثق عرا المجتمع الإنساني، وفي أدائها نجاة من موبقات المسألة والحرمان وحيرة العوز ومصائب الحرمان وبلاياه^(١)، وفي أداء الزكاة أيضاً تحقيق للعدالة الاجتماعية، وتقريب الفوارق بين الطبقات، وضمان حد أدنى من الكفاف. والأهم من ذلك الامتثال لأمر الله الذي رزق الإنسان من هذا المال، وهنا تطيب نفسه، ويطهر ماله وتنمو ثروته مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) وبذلك فإن الزكاة تحقق عدة أغراض روحية ومعنوية للفرد والجماعة، وأغراض أخرى اجتماعية واقتصادية بالنسبة للمجتمع الإسلامي^(٣). ولو تفحصنا وثيقة الأمن والسلامة التي منحها رسول الله ﷺ بني زهير بن أقيش من عكل والحقائق التي اشتملت عليها، لأمكننا بيان الدلالات الإعلامية الآتية :

الدلالات الإعلامية لهذه الوثيقة :

- ١ — أصبح الإسلام مصدراً للأمن والسلام، فمن دخل فيه صحت عبادته لخالقه، وضمن السلام في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وفي ذلك حفاظ على الأرواح والأعراض والأموال. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).
- ٢ — إن الإسلام يشترط لمن يدخل فيه أن يشهد بوحدانية الخالق ورسالة النبي محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٥).
- ٣ — إن من يقبل الإسلام ديناً لا بد أن يؤدي الصلاة والزكاة، وهما من الأركان المفروضة. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٦). وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

(١) هاشم محمد سعيد دفتردار : ذكريات طيبة، ط ١ عام ١٣٧٠هـ، ص ٩١.

(٢) سورة التوبة — آية ١٠٣.

(٣) الدكتور حسن حسين شحاته : محاسبة الزكاة، ط ١، ص ٢٨، ص ٤٠.

(٤) سورة البقرة — آية ٢٦٨.

(٥) سورة الصف — آية ٩.

(٦) سورة العنكبوت — آية ٤٥.

مَوْتًا ﴿١﴾. وقال عزّ من قائل : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿٢﴾﴾.

وقال تعالى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

٤ — شرط مفارقة المشركين لما في ذلك من إعلام بأن من يعتنق الإسلام يضمن
الأمن والسلام، ومن يبق على كفره يكن عرضة للقتل والهوان وضياع الأوطان
والأموال، وبالتالي الذل والخذلان. قال تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾
لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾﴾.

٥ — إن لبيت مال المسلمين جزءاً من الأموال للصرف على شؤون الدولة التي تضمن
الأمن والأمان كما في ﴿وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة..﴾ قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ
فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٥﴾﴾.

وقد نتج عن ذلك ما يأتي :

أولاً : اعتناق بني زهير بن أقيش من عكل لدين الإسلام قال تعالى : ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ
هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى ﴿٦﴾﴾.

ثانياً : تمتع أبناء ذلك الحي من العرب بالأمن والسلام الذي ينعم ويتمتع به
إخوانهم الذين سبقوهم للإيمان قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

ثالثاً : إن النتائج التي تمخضت عن الوثيقة النبوية ستكون حافزاً للقبائل الأخرى
لدخول الإسلام مادامت المكاسب منظورة وواضحة : صفاء العقيدة والأمن والسلام

(١) سورة النساء — آية ١٠٣.

(٢) سورة المعارج — الآيات ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة التوبة — آية ٥.

(٤) سورة يس — الآيات ٦٩، ٧٠.

(٥) سورة المعارج — آية ٢٤.

(٦) سورة طه — الآيات ١٢٣، ١٢٤.

(٧) سورة النحل — آية ٩٧.

وَضَمَانَ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ
الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ^(١).
وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ^(٢).

(١) سورة النساء — آية ١١٥.

(٢) سورة الحشر — آية ٧.

ثانياً : الاقطاع^(١)

نص وثيقة الاقطاع :

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله ﷺ للداريين^(٢) إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون^(٣) وحبرون^(٤) والمرطوم وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى أبد الأبد^(٥)».

وعندما سلمهم الكتاب قال «ﷺ» «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين». ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت فلما هاجر رسول الله ﷺ قدموا عليه وسألوه أن يجدد لهم كتاباً آخر فكتب لهم كتاباً آخر. نسخة النص :

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ لتميم الداري^(٦) وأصحابه. أني أعطيتكم

(١) عرف الاقطاع في مصر الفرعونية وفي فارس وفي العصر الروماني كما عُرف في الدولة الإسلامية، وبقيت أصول الاقطاع الإسلامي الأول الذي يركن إليه ولاية الأمور في المنح الاقطاعية التي أخذت بعد ذلك تنتشر منذ العهد الأموي فصاعداً، وظلت فكرة الاستئجار الاقتصادي مثلاً في إحياء الأرض الموات وتعمير الأرض، وفكرة مكافأة العاملين في الإسلام ولاسيما رجال الجيش وكبار الأعيان والأقارب. والسمة الأساسية لهذا التنظيم هي اقتصاد محلي زراعي سياسي. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ١٨٥.

(٢) الداريين ستة نفر : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ويزيد بن قيس أبو هند بن عبدالله وأخوه الطيب بن عبدالله وفاكه بن النعمان. فأسلموا وسألوا رسول الله ﷺ أن يقطعهم من أرض الشام، وكان ذلك في مكة وقبل هجرة الرسول إلى المدينة. انظر : صبح الأعشى للقلقشندي، ج١، ص ١٣٠، ١١٩، والخصائص الكبرى للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بكر السيوطي، ج٢، ص ١٧٧.

(٣) عينون : كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العين ولا يجوز في العربية وقيل هي من قرى بيت المقدس، انظر : معجم البلدان لياقوت، ج٤، ص ١٨٠.

(٤) حبرون : اسم القرية التي فيها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها حبرى، وبينها وبين بيت المقدس يوم واحد. انظر : معجم البلدان لياقوت، ج٢، ص ٢١٢.

(٥) الإمام أحمد القسطلاني، مخطوطة المواهب اللدنية الرقم الخاص ٣٠ خ والعام ٢٤٢ ع والكتاب محمد نور الدين، مكتبة الحرم النبوي الشريف، ج١، ص ٣٨١، وصبح الأعشى للقلقشندي، ط١٣، ص ١١٩.

(٦) تميم الداري ويقال بن قيس ويكنى أبا رقية وهو عم تميم ابن أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار بن لخم بن حبيب بن تجارة من لخم.

انظر : المعجم الكبير للطبراني، ج٢، ص ٣٧ باب الثاء، وأسد الغابة لابن الأثير، ج١، ص ٢١٥، وكان تميم راهب بفسطين وعابد أهل فلسطين وهو أول من أخرج السراج في المسجد وأول من قص. انظر : مكاتيب الرسول للأحمدي، ج٢، ص ٤٨٩.

عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمته وجميع مافيه عطية بت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد فمن آذاهم فيها آذاه الله ﴿١﴾.

ومن تعاليم الدين الحنيف التي يؤمن ويعمل بها المسلمون أن المُلْك كله لله سبحانه وتعالى يوزعه كيفما شاء. قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ ﴿٢﴾.

(١) الشيخ عبدالحى الكتاني : نظام الحكومة النبوية — التراتيب الادارية، ج١، ص ١٤٤، وصبح الأعشى للقلقشندي، ج١٣، ص ١٢٠، مع بعض الاختلاف في الألفاظ مثل «هذا ما أنطى» وذكر «عليه السلام» (وأعطيكُم) و (نطيه).

والسيرة الحلبيه، ج٣، ص ٢٣٧، الخراج لأبي يوسف، ص ٢٣٤ وهذا نص الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري أن له قرية حبرون وبيت عينون قريتهما كلها وسهلها وجبلها وماؤها وحرثها وأبياطها ونقرا ولعقبه من بعده لا يحاقهما فيها أحد ولا يلجها عليهم أحد بظلمة، فمن ظلم وأخذ منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله.

وفي معجم البلدان لياقوت مادة حبرون، ج٢، ص ٢١٢، ٢١٣ مع وجود حذف وإضافات مثل : «هذا ما أعطى» و (التميم) والداري وأصحابه و (إني أعطيتكم) و «يذممهم» و (عطية بت) (ولهم ولأشعابهم) و (الآبدين) بدل الأبد و (فمن آذاهم آذى الله). وانظر : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لقاضي القضاة أبو اليمين القاضي مجير الدين الحنبلي، ص ٨١، ٨٢ حيث قال : «رأيت ورقة مكتوبة في الصندوق الذي فيه القطعة الأديم منسوب هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي تغمده الله برحمته كتب فيها نسخة الاقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطه : الحمد لله هذه نسخة كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداري واخوته في سنة تسع من الهجرة بعد نصرته في غزوة تبوك في قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه نسخة كهنته رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصحابة.

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أنطاه محمد رسول الله ﷺ لتميم الداري واخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم ومافيه نطية بت بينهم ونفذت وسلمت ذلك لهم ولا أعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنة الله، شهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علي بن أبي طالب وشهد، وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهنته، ولعل هذا أصح ما قيل فيه والله أعلم.

وقال القاضي مجير الدين أن الاقطاع استمر بيد ذرية تميم الداري يأكلونه وهم مقيمون ببلد سيدنا الخليل، وهم طائفة كثيرة يقال لهم الدارية، وهذا بركات النبي ﷺ وذلك أن تميم الداري كان أميراً على بيت المقدس وقد تعرض بعض الولاة لآل تميم وأراد انتزاع الأرض منهم، ورفع أمرهم إلى القاضي أبي حاتم الهروي قاضي القدس الشريف. فاحتج الداريون بالكتاب فقال القاضي هذا كتاب ليس بلام لأن النبي ﷺ أقطع تيمماً مالم يملك فاستفتى الوالي الفقهاء وكان الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله حينئذ ببيت المقدس قبل استيلاء الفرنج عليه فقال : «هذا القاضي كافر فإن النبي ﷺ قال زويت لي الأرضي كلها وكان يقطع في الجنة فيقول : قصر كذا فلان فوعده صدق وعطاؤه حق فخرى القاضي والوالي وبقي آل تميم على ما بأيديهم.

(٢) سورة المائدة — آية ١٧.

* عينون : اتضح أنها قرية تقع إلى الجنوب من الكرك وهي مأهولة بالسكان وغالبيتهم من قبيلة المحادين وهم أحد فروع قبيلة الغساسنة حسيما يروى.

وقال جل شأنه : ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءَ﴾. كما أن الأرض والموارد النافعة للنشاط الانتاجي قد أوجدها الله لمنفعة الناس جميعاً^(١). قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

والإسلام يحث صراحة على العمل، وهو ممارسة كافة أنواع النشاط الإنمائي، وتعمير الأرض التي تؤدي إلى إنتاج السلع لإشباع حاجة المجتمع^(٣). قال المصطفى «ﷺ» : «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»^(٤). فالأرض الموات كلها والأرض المحيية التي تركها أهلها بسبب الحروب، ولم يعرف لها مالك فهي لله ولرسوله «ﷺ». وقال النبي «ﷺ» : «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له»^(٥). وقال «ﷺ» : «عادي الأرض لله ولرسوله ثم لكم من بعدي»^(٦). وعن عائشة عن النبي «ﷺ» قال : «من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق»^(٧). ويقول أبو يوسف في الخراج : «ولا أرى أن يترك أرضاً لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها الإمام، فإن ذلك أعمار للبلاد وأكثر للخراج، فهذا حد الإقطاع عندي»^(٨).

وقد أقطع رسول الله «ﷺ» وتألف على الإسلام أقواماً^(٩). ورأى «ﷺ» الصلاح فيما فعل من ذلك حيث تألف القلوب وعمار الأرض^(١٠). وهذه الأهداف التي سعى إلى تحقيقها رسول الإنسانية «ﷺ» من عملية الإقطاعات التي أقطعها لعدد كبير

-
- (١) الدكتور عبدالرحمن يسري أحمد : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ط ١ عام ١٤٠١هـ، ص ٤٢.
 (٢) سورة البقرة — آية ٢٩.
 (٣) الدكتور عبدالرحمن يسري : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام، ص ٤٣.
 (٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
 (٥) علي بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية، ط ٣ عام ١٣٩٣هـ، ص ١٧٧.
 (٦) نفس المرجع، ص ١٩٠.
 (٧) الإمام البخاري : صحيح البخاري، ج ٣، ص ٧٠.
 (٨) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم : كتاب الخراج، ص ٦٦.
 (٩) نفس المرجع ونفس الصفحة.
 (١٠) نفس المرجع، ص ٦٨.

جداً من الكبار أو ممن يرى في إقطاعهم فائدة تعود عليهم وعلى المجتمع^(١) هي أهداف سامية. وتميم الداري رضي الله عنه هو أول من أسرج في المسجد^(٢) وأول من قصّ القصص^(٣). قال المصطفى عليه السلام : «ليس لأحد إلا ما طابت به نفس إمامه»^(٤). ومن يقوم بدراسة وثائق الأعطيات التي منحها رسول الله صلى الله عليه وآله للداريين يمكنه التعرف على الحقائق التالية :

- ١ — إن الرسول صلى الله عليه وآله مؤمن حقاً برسائله التي كلّفه الله بها، وأنها سوف تعم بعون الله ونصره بحيث تشمل ما ذكره للداريين من أوطان مشترطاً كما في «ما وهب محمد رسول صلى الله عليه وآله للداريين إذا أعطاه الله الأرض».
- ٢ — تحديد الأماكن بالاسم حرصاً من الرسول صلى الله عليه وآله على عدم امتداد طمع المعطى لهم إلى مافي أيدي الآخرين ليضمن لهم ما منحهم وعدم التعدي عليهم من قبل الآخرين، وهذا ما حصل فعلاً.
- ٣ — إن هذه العطية كانت عندما كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في مكة، وهذا يعني أن الدعوة المحمدية قد بلغت تلك الأصقاع في بلاد الشام. ولذا حضر الناس للتعرف على صاحب الرسالة وما يدعو إليه. وأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله بالحضور إليه عندما يهاجر إلى المدينة.
- ٤ — إن الكتاب الثاني أكد فيه العطية وبصورة غير مشروطة كما في قوله «هذا ما أعطى» وكما في «عطية بت» لأنه صلى الله عليه وآله متأكد من نصرة دينه وشمول هذا الدين الحق لتلك البلاد التي منحها للداريين. قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ﴾ صلى الله عليه وآله^(٥) . وقال تعالى :

(١) أقطع للداريين وأقطع للزبير بن العوام، وبلال بن الحارث وعقيب بن كعب، وجميع بن رزام، والحصين بن أوس الأسلمي ومجاعة بن مرارة، وبلال بن رباح المزني، وعوكر بن حرملة الجهني، وعباس بن مرداس السلمي، وغيرهم كثير. انظر : الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٩١، ١٩٢، وص ١٩٧، ١٩٨، ومكتيب الرسول للأحمدي، ج ٢، ص ٤٩٢.

(٢) الطبراني : المعجم الكبير، ج ٢، ص ٣٧.

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(٤) علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي : الأحكام السلطانية، ط ٣، ص ١٧٧.

(٥) سورة النجم — الآيات ٣، ٤، ٥.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١).

٥ — إن العطية كانت خالصة للداريين ولأعقابهم من بعدهم «أبد الأبد» أي إلى آخر الزمان.

٦ — معرفة الرسول ﷺ بأن تلك المناطق سوف يشملها الإسلام يعتبر من معجزاته ﷺ لأن هذا حدث فعلاً في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم. وبدراسة وثائق الأعطيات للداريين ولغيرهم ممن منحهم رسول الله ﷺ أراضي يمكن استخلاص الدلالات الإعلامية الآتية :

الدلالات الإعلامية لوثائق الأعطيات :

أولاً : إن الإسلام بلغ جهات خارج شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة حيث آمن بدعوته عدد من الناس ومنهم الداريون الذين كانوا يعيشون في فلسطين، وأن منحهم الأعطيات من الأسباب التي مهدت الطريق لتعاليم الدين الإسلامي لتسلك سبلها إلى نفوس الناس وقلوبهم، ولكي يقبل على تقبل العقيدة الحقبة أكبر عدد من الناس.

ثانياً : إن الإقطاع سبيل لتأليف كبار القوم ومن تبعهم إلى جانب المسلمين، ولضمان الاستقرار، ولاستصلاح الأراضي الممنوحة وعمارتها، وتضييق نطاق الخلاف بين القبائل، والقضاء على عدوان القبائل على بعضها بإيجاد مورد ثابت للرزق، وهو الزراعة، ولأن الأرض والموارد الطبيعية قد خلقت لمنفعة البشر جميعاً. قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢).

ثالثاً : يهدف الرسول ﷺ من الأعطيات وتحديدتها بالاسم إلى المحافظة على الأمن والسلام بين القبائل العربية المتنازعة، وحفظ حقوق القبائل الأخرى في أملاكها.

رابعاً : إعطاء الأراضي وسيلة هامة لاستصلاح الأراضي الموات، إضافة إلى كونها وسيلة ذات أثر فعال في تأليف القلوب لمن كان لهم خطر من زعماء القبائل، ولضمان ولائهم.

(١) سورة البقرة — آية ١٠٧.

(٢) سورة البقرة — آية ٢٩.

- وهذه بعض النتائج التي ترتبت على إقطاع الرسول ﷺ للداريين وغيرهم :
- ١ — حسن إسلام الدارين وارتفاع شأنهم ولاشك أنه تبعهم عدد كبير من الناس. فمن أسلم شمله عز الإسلام وبركاته ومن بقي على كفره أصابه الذل والهوان. وعن تميم الداري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل حتى يدخل بيت المدر وبيت الوبر حتى يعز الله الإسلام، ويذل الكفر. قال تميم فقد عرفت ذلك في أهل بيتي قد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، وأصاب من ثبت منهم على الكفر الذل والصغار والجزية^(١)».
 - ٢ — استقرار القبائل ونبذ نكرة العدوان بينها. وأصبحت الرابطة هي الأخوة الإسلامية، حيث صرفوا نشاطهم لنصرة دين الله، وقاتل من أشرك بالله.
 - ٣ — اتساع رقعة الأراضي التي استغلت للزراعة نتيجة للإقطاعات، وهذا عامل مهم في الاستقرار، ومضاعفة الإنتاج الذي يعود بالفائدة على الفرد والجماعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٢).
 - ٤ — إقبال الناس على الإسلام للنجاة من غارات القبائل الأخرى، لأنهم وجدوا في الدين الإسلامي ضمان سلامة العقيدة والأمن والسلام. قال تعالى: ﴿فَقَاوَنكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِصُرَّةٍ وَّرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).
 - ٥ — تحديد اسم العطاء خشية من أن تمتد إلى أملاك الغير، ولحفظ حقوق الآخرين، ولضمان حيابة أرض بعينها، وتحديد مدى الإجازة.

(١) الطبراني : المعجم الكبير، ج ٢، ص ٤٧.

(٢) سورة البقرة — آية ٢٦٧.

(٣) سورة الأنفال — آية ٢٦.

ثالثاً : المؤلفه قلوبهم^(١)

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

والمؤلفة قلوبهم فئة من سادة العرب كان النبي ﷺ يتألفهم^(٣) ويأمر بإعطائهم ليرغبوا من وراءهم في الإسلام^(٤)، والمؤلفة قلوبهم من قريش والقبائل العربية وهم أشرف قومهم، ولم تصح بصائرهم في بداية الدعوة المحمدية، لذلك كان ﷺ يتألفهم بالعطية.

واختلف فيهم^(٥). وقد كان من أهداف النبي ﷺ من إعطائهم الأعطيات وقوفهم إلى جانب المسلمين ولتألف بهم قومهم^(٦) أيضاً، وهم طوائف، منهم الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، ويراد تثبيتهم عليه، ومنهم من يرجى أن تتألف قلوبهم فيسلموا،

(١) أُلِّفَ بينهما تأليفاً : أوقع الألفة، وتألف فلاناً، داراه وقربه ووصله حتى يستميله إليه.. والقوم : اجتمعوا كاتلفوا والمؤلفة قلوبهم من سادة العرب، والايلاف في التنزيل العهد، وشبه الأجازة بالخفارة وأول من أخذها هاشم من ملك الشام. وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين في امتيازهم وتنقلاتهم شتاءً وصيفاً والناس يتخطفون من حولهم، فإذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم أحد. انظر : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للطاهر أحمد الزاوي، ج١، ص ١٦٨، ١٦٩ والمؤلفة قلوبهم هم الأفرع بن حابس وجبير بن مطعم والجد بن قيس، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وحكيم بن طليق وحويطب بن عبدالعزيز، وخالد بن أسيد، وخالد بن قيس وزيد الخيل، وسعيد بن يربوع، وسهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري وسهيل بن عمرو الجمحي، وصخر بن أمية، ومثعوان بن أمية الجمحي، والعباس ابن مرداس، وعبدالرحمن بن يربوع، والعلاء بن جارية، وعلقمة بن علاثة، وأبو السنابل عمرو بن بعكك، وعمرو بن مرداس، وعمير بن وهب، وعيينة بن حصن، ومخرمة بن نوفل ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن الحارث، والنضر بن الحارث بن علقمة وهشام بن عمرو، وقيس بن عدي وقيس بن مخرمة ومالك بن عوف رضي الله عنهم. انظر : ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي، ج١، ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة التوبة — آية ٦٠.

(٣) ابن قتيبة : القرطبي لابن مطرف الكناني أو كتاب مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة، ج١، ص ١٩٦.

(٤) الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج١، ص ١٦٩.

(٥) القرآن الكريم : مصحف الشروق المفسر، سورة التوبة رقم ٩ آية ٦٠، ص ٢١٥.

(٦) الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري : الدرر، ص ٢٤٦.

وبعضهم أسلموا وثبتوا ويُرجى تأليف قلوب أمثالهم من قومهم ليثوبوا إلى الإسلام عندما يرون نظراءهم يرزقون ويزادون^(١). قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢).

وقيل هم مسلمون يُعطون لضعف يقينهم، مثل أبي سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، وفريق قال: إنهم من الكفار مثل عامر بن الطفيل، وقال آخرون كانوا مسلمين ولهم إلى الإسلام ميل شديد مثل صفوان بن أمية^(٣). وكان النبي ﷺ يعطيهم من الصدقات والفيء ونحوهما وذلك لكفّ ضرر بعضهم عن المسلمين إذا كان كفّهم بالاعطاء^(٤). قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ ﴾^(٥).

ومن هذه الفئة عباس بن مرداس السلمي الذي أعطاه رسول الله ﷺ أباعر قليلة فتسخطها، فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا فاقطعوا عني لسانه». فأعطوه حتى رضي، وكان ذلك قطع لسانه^(٦). وهذا العطاء وإن كان من الناحية الظاهرية هو إعطاء الرؤساء وترك الضعفاء إلا أن الأعمال بالنيّات^(٧). يقول الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى». واختلف في بقاء المؤلفة قلوبهم، فمنهم من قال هم زائلون، وأخذ به مالك، وقيل في كل زمان وحقهم في الصدقات ثابت إذا كان في ذلك معونة للإسلام وتقويته^(٨). يقول سيد قطب — رحمه الله — «ولكن المنهج الحركي لهذا الدين سيظل يواجه في مراحل المتعددة كثيراً من الحالات تحتاج إلى إعطاء جماعة من الناس على هذا الوجه، إما إعانة لهم على الثبات على الإسلام إن كانوا يحاربون في أرزاقهم، لإسلامهم، وإما تقريباً لهم من الإسلام كـ بعض الشخصيات غير المسلمة التي يُرجى أن تنفع الإسلام بالدعوة له، كالذود عنه، هنا

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٦٦٩.

(٢) سورة البقرة — آية ٢١٢.

(٣) الإمام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أحكام القرآن، ص ٣٩٤.

(٤) الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٤٦.

(٥) سورة الطلاق — الآيتان ٢، ٣.

(٦) الحافظ يوسف بن عبد البر النمري، ص ٢٤٧.

(٧) ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٤٨.

(٨) مصحف الشروق المفسر، ص ٢١٥.

وهناك^(١). ويقول ابن العربي — رحمه الله — «والذي عندي أنه إن قوي الإسلام، زالوا وإن احتيج إليهم أُعطوا سهمهم، كما كان يعطيه رسول الله ﷺ». وفي الصحيح روي «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

أهم الحقائق المستفادة من إعطاء رسول الله ﷺ لهؤلاء السادة (المؤلفة قلوبهم) :

١ — عدم إغفال رسول الله ﷺ لمراكز هؤلاء السادة الاجتماعية وتأثيرهم على أتباعهم، وعلى القبائل العربية، وهو صلوات الله وسلامه عليه يعلم ما تنطوي عليه أنفسهم من حب للمال ومفخرة بالمظاهر الدنيوية، حيث أن ذلك من أسباب حربهم للإسلام خشية على مراكزهم وأموالهم. وإدراكاً من الرسول ﷺ لهذه الأمور أحب أن يرضيهم بالأمور الدنيوية التي لا تؤثر على العقيدة بقدر ما تفيدها إن هم أسلموا أو وقفوا على الحياد أو أعانوا الإسلام. قال تعالى : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢).

٢ — صرفهم عن معاداة الإسلام والمسلمين وذلك بتخصيص أعطيات لهم من أحد مصارف الزكاة.

٣ — صرفهم عن بعض عادات الجاهلية كالغارات والسلب والنهب وسفك الدماء وذلك بتعويضهم من مصارف الزكاة. قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

٤ — القضاء على عادات الجاهلية وذلك بتوجيههم للاستقرار للاستفادة من مكنونات الأرض.

الأثر الإعلامي من إعطاءات الرسول ﷺ :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما تنطوي عليه الأنفس. قال تعالى : ﴿وَلِئِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(٤).

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٦٦٩.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٠٣.

(٣) سورة المائدة — آية ٢.

(٤) سورة العاديات — آية ٨.

ولذلك جعل رسول الله ﷺ لهذه الفئة حظاً من مصارف الزكاة طمعاً في إسلامهم، أو دفع مضرة إذا لم تدفع إلا بذلك، والمسلم المعطي يُرجى تحسن إسلامه أو إسلام نظيره^(١). قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ثانياً : حرص الرسول ﷺ على تأليف قلوب الناس وخاصة الذين أسلموا حديثاً وعلى رأسهم كبار القوم لما لهم من تأثير فعال على أتباعهم، وذلك لأن الإسلام يدرك حقيقة النفس البشرية وما جبلت عليه. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُمُ اللَّهُ لَمْ يَكُ مَعَكُمْ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُ أَمْرَهُمْ أَنْفُسِهِمْ وَأَنْتَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣).

وإن انتقال النفس البشرية من الشر إلى الخير أمر ليس بالهين وذلك لأن الشيطان يسوّل لهم حب الشهوات والمغريات. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

ولأن في الاعطاء عاملاً ايجابياً يدفعهم إلى الإسلام حباً في اعتناقه والرغبة فيه وذلك لأنه يحمل من المبادئ الإنسانية والمبادئ السامية ما يسعد الفرد ويضمن له الأمن والأمان، والرزق الحلال، ويحفظ له مركزه.

ثالثاً : استطاع الإسلام القضاء على العوامل السلبية في نفوس هؤلاء النفر ذوي الشأن في أقوامهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا أَمْرَهُمْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٥). كما أن الذي يغيّر دينه لا يغيّر شيئاً بسيطاً عادياً، إنما يغيّر مسار حياته كلها، ولذلك كان من الضروري أن يجذب هؤلاء الناس وتؤلف قلوبهم إما بإقطاعهم أرضاً أو الزيادة في صدقاتهم أو بإعطائهم نوعاً من الفخر الدنيوي «من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن».

(١) ابن تيمية : السياسية الشرعية، ص ٤٨.

(٢) سورة يونس — آية ٣١.

(٣) سورة الأنفال — آية ٥٣.

(٤) سورة البقرة — آية ٢٦٨.

(٥) سورة الرعد — آية ١١.

رابعاً : علاج بعض الأمراض النفسية عند بعضهم مثل الشح والبخل. قال تعالى : ﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾^(١). وعن موسى عن أبيه قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال : «فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»^(٢).

أهم النتائج الجليلة من حكمة خير البرية :

١ — استطاع الرسول ﷺ بإعطائهم هذا القضاء على الارتباط بالقديم بما فيه من عادات وعلاقات، وكذلك المصالح الاقتصادية والاجتماعية حيث تغير الأمر بدخولهم في الإسلام.

٢ — علمهم الإسلام فضل البذل والعطاء للمستحقين. قال تعالى : ﴿لَنَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُونَ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٤).

٣ — إسلام من أعطاهم رسول الله ﷺ أمثال: أبي سفيان والأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وغيرهم حيث ساهموا مساهمة فعالة في نصرة دين الله.

٤ — إقبال العرب على الإسلام بصورة واسعة خاصة بعد إسلام قريش.

٥ — أصبحت الأخوة الإسلامية هي الرابطة بين المسلمين وبذلك قضى الإسلام على كثير من العادات العنصرية السخيفة قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

(١) سورة النساء — آية ١٢٨.

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم، شرح النووي، ج ١٥، ص ٧٢.

(٣) سورة آل عمران — آية ٩٢.

(٤) سورة سبأ — آية ٣٩.

(٥) سورة الجمعة — آية ٢.

الفصل الخامس

القيمة الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الملوك والقادة

القيمة الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة

في هذا الفصل نستعرض الخطوط العريضة للقيم الإعلامية التي تتضح لنا من دراستنا لكتب الرسول عليه الصلاة والسلام ورسائله ومعاهداته على اختلاف أنواعها، ونرجو أن نوفق بإذن الله إلى اكتشاف خصائص هذه الرسائل الإعلامية وما تشير إليه من مبادئ سامية، لكي تتضح الرؤية أمام العاملين في ميدان الدعوة، والمشتغلين في مجالات الإعلام المختلفة، فنقول وبالله التوفيق: إن الرسول «ﷺ» قد استهدف أولاً وبالدرجة الأولى من الحملة الإعلامية الواسعة في الداخل والخارج الدعوة إلى الله الواحد الأحد والعمل على نشر الإسلام وإشاعة مبادئ الأمن والسلام المستمدة من دين التوحيد لما فيه من أمن وسلام في الدنيا، ونعيم مقيم في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (١).

فجعل الله شاهداً على الأمم بإبلاغهم الرسالة، وهذا من خصائصه، ومبشراً لأهل الطاعة الذين يستجيبون للدعوة، ونذيراً لأهل المعصية، وداعياً إلى توحيد الله، وسراجاً منيراً يهتدى به للحق (٢)، وذلك لأن المجتمع البشري كله في الأصل وحدة متكافئة متعاونة قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣).

(١) سورة الأحزاب — الآيات ٤٥، ٤٦.

(٢) الشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني: شرح المواهب اللدنية على المواهب اللدنية للإمام القسطلاني، ج٦، ص ١٥٤.

(٣) سورة البقرة — آية ٢١٣.

وفي الحديث الشريف : «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» .
 فالجتماع الإنساني الذي دعا الإسلام لإقامته على أسسه العقائدية مجتمع تضامن متكامل متعاون (١)، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» متفق عليه.

والله سبحانه وتعالى يؤكد لرسوله (صلوات الله وسلامه عليه) ولل بشرية قاطبة أن الإسلام دين الله الخالص للعالمين، وليس كما يصوره أهل الشرك والعقائد الأخرى أنه لقبيل دون قبيل (٢). فقد قال الله تعالى في عدة بلاغات إلهية : ﴿ هَذَا بَلَدٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أَنَّهُمُ الْأَوَّلُونَ ﴾ (٣). وقال جل شأنه : ﴿ قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٤). وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٥). وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦). وقال جل من قائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٧). وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٨). وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٨٧ وَلَنَعْلَمَنَّ نُبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (٩). وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (١٠). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ٦٦ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١١).

وذلك لأن البشر أمة واحدة من أصل واحد وخالقها رب واحد سبحانه وتعالى،

(١) الأستاذ محمد المبارك وآخرون : الثقافة الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٢) الأستاذ محمد الراوي : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط ٢ عام ١٣٩٠ هـ، بيروت، ص ٦٠.

(٣) سورة إبراهيم — آية ٥٢.

(٤) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

(٥) سورة الأنعام — آية ١٩.

(٦) سورة الأنبياء — آية ١٠٧.

(٧) سورة سبأ — آية ٢٨.

(٨) سورة الفرقان — آية ١.

(٩) سورة ص — الآيتان ٨٧، ٨٨.

(١٠) سورة الفتح — آية ٢٨.

(١١) سورة يس — الآيتان ٦٩، ٧٠.

وهي بذلك لا بد أن تكون ذات عقيدة واحدة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٣). وقال جل من قائل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤَارَكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (٤).

وإن الهدف الإسلامي هو إزالة كافة المعوقات التي تعترض طريق نشره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فتنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ (٥).

ولاشك أن أخطر هذه المعوقات وأعناها وأكثرها خطورة هو الحاكم الظالم المستبد أمثال كسرى فارس قال تعالى: ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٦).

ومن ثم فقد سلك الرسول ﷺ مسلكاً واقعياً عندما خاطب السادة الحاكمين من أمثال المنذر بن ساوى حاكم البحرين، والمقوقس عظيم القبط بمصر، وكسرى فارس، وحكام اليمن واليمامة والروم والحبشة وهجر وعُمان وغيرهم فكان «عليه السلام» يقدم رسائله الخطية مشفوعة بإعلام شفهي يقوم به كل رسول على حدة، لإقناع الملك والحاكم أو الرئيس بأن المشركين من نصارى ويهود ووثنيين ومجوس كلهم لا يرقون إلى ما يقرره الإسلام من إيمان خالص لله وحده، لا شريك له وبمحمد نبياً ورسولاً، وذلك لأن الإسلام يهدف إلى نقل كل البشر فكرياً وسلوكياً من العبادات والعقائد المصطنعة بكل أنواعها إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له، وبهذا خاطب رسول البشرية صلوات الله وسلامه عليه هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس برفق ولين لكسب الأنصار والمؤيدين لكي تنطلق الدعوة وتلتف

(١) سورة الأنبياء — آية ٩٢.

(٢) سورة النمل — آية ٩٣.

(٣) سورة هود — آية ١١٨.

(٤) سورة النساء — آية ١.

(٥) سورة البروج — آية ١٠.

(٦) سورة الرعد — آية ٣٣.

حولها القلوب. قال تعالى : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَّاهُ يَدْرِكُ أَوتَيْخَشَىٰ ﴿٤٤﴾ ۝ وَمَجَادَلَةُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَبَاطِرَةِ وَخَاصَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْحُسْنَى كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ قُولُوا فَقُولُوا شَهِدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢). وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (٣) وقال جل من قائل : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ يَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤). فالرسول ﷺ استعمل الأسلوب النافذ بحكمة ولباقة ليلبغ رسالته بالبيانات الإلهية الإعلامية البليغة والمؤثرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٥).

وقد جاء بما معنى الحديث :

«أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٦) قال الرسول ﷺ «كلكم لآدم وآدم من تراب» وخاطب الرسول الكريم ﷺ الملوك والأمراء العرب : حاكم البحرين وملك عُمان وملك اليمامة وبعض الشيوخ بأسلوب مقبول ومن مركز القوة وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل النبي ﷺ من العرب، وهو خاتم الأنبياء والرسل، وجعل القرآن بلسانهم، لذلك أصبح العرب هم قادة الإسلام والمكلفين بنشره بين شعوب الأرض، لذلك لابد من حسم مسألة انضوائهم تحت لوائه ولو بالقوة إذا لزم الأمر (٧) قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٨).

(١) سورة طه — الآيات ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة آل عمران — آية ٦٤.

(٣) سورة العنكبوت — آية ٤٦.

(٤) سورة النحل — آية ١٢٥.

(٥) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٦) هو معنى حديث والحديث «كلكم لآدم وآدم من تراب».

(٧) عبدالله السحبياني : السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ص ٢٢٥.

(٨) سورة البقرة — آية ١٤٣.

وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(١) ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ^(٢). وقال عز من قائل : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣). وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٤).

وكان الرسول «ﷺ» أشد الناس تواضعاً مع العرب وغير العرب مع علو منصبه، وكفى أنه خَيْرُ أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً ^(٥)، ولقد وسع الناس كل الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وأصبحوا عنده في الحق سواء ومجلسه مجلس حلم وحياء وحب، لا ترفع فيه الأصوات، وكانوا يتفاضلون بالتقوى متواضعين، يحترمون فيه الكبير، ويعطفون على الصغير، فكان «ﷺ» حسن الخلق يتجنب الغلظة، ويصبر على الأذى ^(٦).

ولننظر والعالم معنا بإعجاب لحسن تدبير النبي «ﷺ» للعرب الذين هم في بداوتهم بما فيها من جفاء وقسوة مع الطباع المتنافرة كيف ساسهم واحتمل صدهم. وصبر على مشكلاتهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا معه وقتلوا دونه الأهل والآباء والأبناء واختاروه على أنفسهم وهجروا لإرضائه أوطانهم وأحياءهم، لأنه صلوات الله وسلامه عليه أعقل العالمين ^(٧) كان خُلِقَ القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٨).

(١) سورة آل عمران — آية ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال — آية ٦٣.

(٤) سورة الجمعة — آية ٢.

(٥) القاضي عياض : كتاب الشفاء عام ١٣١٢، مطبعة عثمانية، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦) يوسف إسماعيل النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول عام ١٣٠٩، بيروت، المطبعة الأدبية، لبنان، ص ٩٣.

(٧) يوسف إسماعيل النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، عام ١٣٠٩هـ، بيروت، المطبعة الأدبية، لبنان، ص ٨٨.

(٨) سورة القلم — آية ٤.

فكان «عليه السلام» يتجاوز عن سيئاتهم طمعاً في إسلامهم^(١) وهدايتهم، إذ لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله.

قال تعالى : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢).

وكانت الخطوة الثانية التي اتبعها الرسول «عليه السلام» في حملته الإعلامية لنشر الإسلام وسيادة مبادئه مستمدة من الخطوة الأولى وهي مخاطبة الشعب نفسه إما برسائل مباشرة يدعو فيها إلى نبذ عبادات الأوثان وغيرها وكذلك إلى اعتماد الإسلام ديناً لهم قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤). يوجه حركة المجتمع في كافة شؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحيث يصبح المجتمع ينعم بالأمن والسلام والمحبة والوئام. كما هو الحال بالنسبة للأسبيديين بعمان ومن كان منهم بالبحرين «أنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون.. غير أن مال بيت النار ثنيا عليه لله ورسوله»^(٥).

وإلى هجر «أوصيكم بالله وبأنفسكم.. فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله»^(٦)، وإلى المنذر في مجوس هجر «اعرض عليهم الإسلام فإن

(١) عبدالله السحبياني : السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ص ٢٨١.

(٢) سورة آل عمران — آية ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف — آية ١٧٢.

(٤) سورة الأعراف — آية ١٥٨.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ط ٢ عام ١٤٠١هـ، بيروت، إدارة الكتاب اللبناني، ج ١، ص ٣٢٧.

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال، ط ٣ عام ١٤٠١هـ بالقاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر بالقاهرة، ص ١٩١.

أسلموا فلهم مالتنا وعليهم ماعلينا، ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبائهم ولا نكاح لنسائهم»^(١).

وكما في كتابه «عليه السلام» بين المؤمنين وأهل يثرب وموادعة اليهود «وأن المؤمنين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.. وأنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه.. لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم إلا من ظلم وأثم وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي.. وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم»^(٢).

وعند توديعه «عليه السلام» لسرايا المجاهدين في سبيل الله يوصي الأمراء « «أغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»^(٣). وهذه الوصايا التي يوجه بها رسول الله قادة الدعاة هي أسمى ما يمكن أن يتصور في أخلاقيات الحروب وآدابها هذا مع مانعرف من الأساليب الوحشية التي يسلكها هؤلاء مع المسلمين إن ظفروا بهم، ومن ثم هتف الشاعر المسلم بمسلكنا ومسلكتهم فقال يخاطبهم:

ملكننا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وماعجب هذا التفاوت بيننا فكل إناء بالذي فيه ينضح
وكما في كتابه «عليه السلام» لعمر بن حزم حين استعمله على نجران «أمره بتقوى الله في أمره كله. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، وأن يبشر الناس بالجنة، ويعملها وينذر الناس النار وعملها، ومن أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه فدان دين

(١) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ط١، ص ٣٢٤.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال، ط٣ عام ١٤٠١هـ، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٨.

الاسلام فإنه من المؤمنين له مالهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يغير عنها»^(١).

وكما في وصيته «عليه السلام» إلى معاذ بن جبل عند توديعه وهو في طريقه لليمن «يامعاذ أوصيك بتقوى الله العظيم وصدق الحديث وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار وخفض الجناح ولين الكلام ورحمة اليتيم والتفقه في القرآن.. يامعاذ لاتفسدن أرضاً ولا تشتم مسلماً.. وأن تحدث لكل ذنب توبة.. يامعاذ تواضع لله عز وجل يرفعك الله واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار.. ولا تحابين في أمر الله، وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسنه الاسلام.. والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم وآثروا شغلها على الأشغال وترفقوا بالناس وتعاقدوا الناس بالتذكير وأتبعوا الموعدة بالموعدة فإنه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله، ولا تخافوا في الله لومة لائم، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»^(٢).

هذا هو المجتمع الاسلامي الذي ضمن له الاسلام أن ينعم بالأمن والسلام والمحبة والوئام. قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

وقال جل شأنه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(٥).

وكان رسول الله «عليه السلام» لا يعزل الحكام عن مناصبهم طالما آمنوا بالاسلام، واخلوا

(١) الإمام أبو الفداء، إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية، ج-٢، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

(٢) علاء الدين الهندي : كنز العمال، ج-١٠، ص ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧.

(٣) سورة المائدة — الآيات ١٥، ١٦.

(٤) سورة النحل — آية ٩٧.

(٥) سورة النور — آية ٥٥.

بين الشعب ونشر العقيدة الاسلامية، وإلا فإنه يحمل الحاكم مسؤولية وقوفه في سبيل انتشار الاسلام وما يأتي خير شاهد على ذلك:

رسالته إلى هرقل.. (فان توليت فعليك اثم الأريسيين)^(١).

رسالته إلى النجاشي.. (فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي)^(٢).

رسالته إلى المقوقس.. (فإن توليت فعليك اثم القبط)^(٣).

رسالته إلى كسرى.. (فان أبيت فان اثم المجوس عليك)^(٤).

رسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني:

«أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك»^(٥).

رسالته إلى هوزة بن علي الحنفي.. «فاسلم تسلم، وأجعل لك ماتحت يديك»^(٦).

رسالته إلى المنذر بن ساوى.. «فإني أدعوك إلى الاسلام فاسلم تسلم وأجعل لك

ماتحت يديك»^(٧).

رسالته إلى جيفر وعبد أبناء الجلندی.. «فإني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما

تسلما.. وأن أبيتما أن تقرا بالاسلام فإن ملككما زائل»^(٨).

ومن حكمة الرسول ﷺ أن يكرم كريم كل قوم بما يناسبه من التعظيم، ويولي

على كل قوم كبيرهم أو كريمهم ترغيباً له في الاسلام، ومراعاة للأهلية في الولايات،

وترهيباً من ولاية الأسافل، وهذا من حسن تدبيره ﷺ لعلمه بأن القوم أطوع

لكبيرهم^(٩)، وإبقاء على مراكز هؤلاء الكبار لتأليفهم إلى الاسلام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ

يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ

(١) الدكتور عون الشريف : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٠٢.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٠٤.

(٤) نفس المرجع، ص ٣٠٦.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٠٧ وانظر مكاتيب الرسول للشيخ علي

الأحمدي، ص ١٤١.

(٦) الشيخ علي الأحمدي : مكاتيب الرسول، ص ١٣٦.

(٧) نفس المرجع، ص ١٤١.

(٨) نفس المرجع، ص ٤٧.

(٩) محمد قاسم. من شرح المرسوم بالفوائد الجليلة، مطبعة بولاق، القاهرة، عام ١٣٩٦هـ، ج٢، ص ١٦٤.

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَلِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٢﴾.

وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَفُؤَادَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ﴿٤﴾ وهكذا يبدو لنا أن ما يروجه المفترون والمرجفون وما يدعونه كذباً وبهتاناً باتهام الاسلام بأنه قد انتشر بقوة السيف إنما هي أكاذيب تضلل الناس وتزيف التاريخ، وذلك لأن الدعوة الاسلامية تأبى الاكراه وتتنافى معه لأن سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ بِالْقِيَمَةِ أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥﴾.

ففي نظر العقيدة أن ايمان المكره لا يعد ايماناً ﴿٦﴾. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٧﴾.

كل ذلك إنطلاقاً من القواعد الالهية الواضحة في كتاب الاسلام الخالد الذي يقرر حرية الاقتناع والاعتناق وعدم الاكراه قال تعالى في بلاغات الهية صريحة: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٨﴾. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ﴿٩﴾.

(١) سورة النساء — آية ١١٥.

(٢) سورة العنكبوت — آية ١٨.

(٣) سورة الأحقاف — آية ٢٦.

(٤) سورة الغاشية — الآيات ٢١، ٢٢.

(٥) سورة النحل — آية ١٢٥.

(٦) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط ٢ عام ١٣٩٠هـ، بيروت، ص ٤٤.

(٧) سورة غافر — الآيات ٨٤، ٨٥.

(٨) سورة المائدة — آية ٩٩.

(٩) سورة البقرة — آية ٢٥٦.

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(١)

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٢)
 ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾^(٣)

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي:

قالوا غزوت ورسل الله مابعثوا لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم
 جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
 إذ أن الرسول ﷺ لا يكره الناس على اعتناق الإسلام، ولم يتبع ملكاً بدليل أن
 كل ملك أو رئيس قبل الإسلام ديناً احتفظ بملكه وآمن على عرشه ورئاسته لشعبه
 كما هو الحال بالنسبة لأمير البحرين.. «وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين
 ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم. وإنك مهما تصلح فلن نعزلك
 عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»^(٤).

وكما في رسالته الشفهية لبازان مع مرسله.. «وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك
 ماتحت يديك وملككتك على قومك»^(٥).

وهناك دليل آخر على أن المترددين في قبول الإسلام أو الرفضين له من أمثال هودّة
 ابن علي ملك اليمامة والمقوقس حاكم مصر وهرقل إمبراطور الروم كانوا جميعاً
 يرفضون الإعلان عن إسلامهم والجهربه علناً طمعاً في مكسب دنيوي أو خوفاً على
 امتيازاتهم والشواهد هي:

قال هودّة في رسالته لرسول الله ﷺ.. «ما أحسن ماتدعو إليه وأجمله. وأنا شاعر
 قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك»^(٦).

(١) سورة يونس — آي ٩٩.

(٢) سورة الأنعام — آية ١٠٧.

(٣) سورة ق — آية ٤٥.

(٤) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ج١، ص ١١٤.

(٥) الشيخ علي بن حسين علي الأحمدى : مكاتيب الرسول، ص ٩٤.

(٦) أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي : الوفا بأحوال المصطفى، ج٢، ص ٧٣٨. وانظر : ابن سعد، الطبقات

الكبرى، ج١، ص ٢٦٢.

وقال هرقل.. «واني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى ابن مريم، واني دعوت الروم إلى الايمان بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم»^(١).
وقال المقوقس.. «وفهمت ما ذكرت وماتدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام»^(٢).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

ولأن مثل هؤلاء أثروا الحياة الدنيا فقد قال تعالى لرسوله الكريم ليكون على بينة من الأمر ولكيلا يأسف على سوء تصرفاتهم وجور البعض منهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٥).

وانها لسنة المتكبرين من لدن نوح عليه السلام إلى عهد محمد رسول الله ﷺ «أن يقفوا في سبيل انتشار دين الله الذي ارتضاه لعباده، وأن يردوا الناس عن الايمان بالله الواحد القهار، بل انهم يوحون إلى المستضعفين من الناس أن يصدوا عن الصراط المستقيم، وأن يصدوا عن قبول الدين» قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٦).

وقال جل من قائل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْافِ لَهُ عَلْكُؤُ تَغْلِبُونَ﴾^(٧).

(١) أحمد بن يعقوب : تاريخ يعقوبي، جـ ٢، ص ٦٧.

(٢) د. محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٠ وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، جـ ١، ص ٤٣.

(٣) سورة البقرة — آية ١٤٦.

(٤) سورة الأنعام — آية ٢٠.

(٥) سورة الأعراف — آية ١٤٦.

(٦) سورة الرعد — آية ٤٣.

(٧) سورة فصلت — آية ٢٦.

والاسلام من خلال نشاطه الاعلامي، كما ذكرنا، لا يجبر الناس على اعتناقه كرهاً حيث أن مهمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه هي التبليغ لنشر الأمن والسلام، وسيادة العدل الذي يأمر به الخالق سبحانه وتعالى. والعدل عند الاسلام للكل: العدو والصديق والقريب والبعيد، وكذلك الرحمة التي ليست لبني الانسان فقط، وإنما تشمل كل المخلوقات^(١)، كقول الرسول: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. لاتنزع الرحمة إلا من شقي» والله سبحانه وتعالى لم يجعل خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة لعالم دون عالم بل جعله رحمة للعالمين جميعاً وأعلن ذلك^(٢) بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ومع أن للاسلام ينكر على النصرانية واليهودية انحرافهما بالعقيدة إلا أن وسيلته في اقناعهم هي التفاهم بالحسنى والمجادلة بالتي هي أحسن، ويتركهم وما يدينون به ماداموا لم يتعرضوا له ولم يصدوا عن سبيله، وفي نفس الوقت يطالب الاسلام أتباعه بتحقيق العدل والانصاف في معاملتهم^(٤).

قال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَاحِجَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٥).

وبالنسبة للصراع الذي احتدم بين المسلمين والمسيحيين فسببه أن الاسلام ناهض مسيحية القرن السابع الميلادي الفاسدة التي ناصبته العداء، وتقاليد المجوس المنحلة وغطرسة اليهودية التي اتخذت من الرب كنزاً عنصرياً تكتنزه لجنسها^(٦)، فالاسلام دين مليء بروح الرفق والسماحة، يسير الفهم وأنه دين الفطرة^(٧).

(١) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، ط ٢ عام ١٣٩٠ هـ ص ٣٦.

(٢) هاشم محمد سعيد دفردار: ذكريات طيبة، ط ١ عام ١٣٧٠ هـ المدينة المنورة مكتبة العقبة بالمدينة المنورة ص ١٣٨.

(٣) سورة الأنبياء — آية ١٠٧.

(٤) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص ٣٦.

(٥) سورة الشورى — آية ١٥.

(٦) هـ.ج. ولز — ترجمة عبدالعزيز جاويد، معالم تأريخ الانسانية ط ٣ عام ١٩٧٢ م بالقاهرة لجنة التأليف

والترجمة والنشر ج ٣ ص ٨٠١.

(٧) نفس المرجع ص ٨٠٢.

وللرسالة المحمدية الاسلامية العالمية عدة خصائص : أولها السلام وله ثلاثة أركان

هي:

أ — منع سفك الدماء.. قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١).

ب — منع الفساد في الأرض.. قال تعالى: ﴿ بَلِّغْ رِسَالَتِي لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢).

ج — بث روح التعارف.. ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٣) وبث روح السلام.. ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤).

ثانياً: الحرب : لما طغى عدوان الوثنية على النبي ﷺ وصحبه، وتكررت مؤامراتهم وعدوانهم وبطشهم أذن الله له ﷺ برد العدوان. ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٥). والمقصود من هذا الاذن هو دفع الاعتداء عن حرية العقيدة ولولاه لقضى المجرمون على الأديان (٦). يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَاعِقُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (٧).

ومن خصائص الرسالة المحمدية أيضاً وفاؤها لحاجة البشرية فيما يصون وحدتها، ويرعى انسانياتها، وكذلك تشريعاتها التي تتضمن ظهور الانسانية كلها في محيط واحد لاعصبيه دم أو اختلاف لون أو فرقة جنس، واتساق هذا الدين مع حقائق الكون

(١) سورة المائدة — آية ٣٢.

(٢) سورة الرعد — آية ٣٣.

(٣) سورة الحجرات — آية ١٣.

(٤) سورة البقرة — آية ٢٠٨.

(٥) سورة الحج — آية ٣٩.

(٦) هاشم محمد سعيد دفتردار: ذكريات طيبة ص ٨٢ و ص ٨٤.

(٧) سورة الحج — آية ٤٠.

بحيث لا يتعارض مع ما ثبت من حقائق العلم أو يختلف مع منطق الفكر^(١).
ودأب الرسول ﷺ على تشجيع من يقوم بعمل طيب يخدم الإسلام كما فعل
مع المنذر بن ساوى حاكم البحرين وغيره كما في «فإن رسلي قد حمدوك، وأنك
مهما تصلح أصلح إليك وأثيك على عملك»^(٢).

وإلى أهل هجر.. (وإني لوجهت حقي فيكم كله أخرجتكم من هجر فشفت
غائبكم، وأفضلت على شاهدكم فاذكروا نعمة الله عليكم).

وكان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الحياة في مجتمع يسوده الأمن والسلام
والمحبة، وذلك لأن الإسلام من الناحيتين العقائدية والتاريخية دين سلم لا عنف.

والسلم مع الخالق جل شأنه يتم بوساطة القيام بالأعمال الحسنة الطيبة نحو البشر من
كل جنس وكل لون. قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ
رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وََعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

فالإسلام دين اقتناع لا دين اتباع وهذا المبدأ من أصول عظمته^(٥).
قال عز من قائل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٦) وذلك لأن
أساس حكومة الإسلام الأمانة والعدل والطاعة، والنصر بالحجة أقوى من النصر
بالسيف. قال تعالى: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٧) ولعل هذا هو ما يجعل الدين
الإسلامي متميزاً عن الأديان الأخرى ومنفرداً بخصائص واقعية هي بالضرورة تكوين
المجتمع الإسلامي الآمن، بعكس النصرانية واليهودية التي تنتظر ظهور المخلص الذي
يظهر في آخر الزمان ليملاً الدنيا عدلاً وإنصافاً بعد أن تكون قد ملئت ظلماً وجوراً.

(١) الأستاذ محمد الراوي: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٤٥ و ص ٤٦.

(٢) محمد طيب الله عضو البرلمان الهندي، ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم، الإسلام والسلام، ط ١ عام

١٣٩٦هـ بالقاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٢.

(٣) سورة البقرة — آية ١١٢.

(٤) سورة البقرة — آية ٦٢.

(٥) محمد طيب الله عضو البرلمان الهندي، ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم، الإسلام والسلام، ص ٤٨.

(٦) سورة الأنعام — آية ٤٨. (٧) سورة البقرة — آية ٢٨٦.

وبذلك فإن اليهود والنصارى يعتمدون على بشر لانقاذهم من ظلم أنفسهم بينما الاسلام ينقذ من يدخل فيه ويضمن له السلامة لأن السلامة من العذاب هي في سلامة العقيدة كما في قوله «عليه السلام» «اسلم تسلم» ويشر الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) من خلال رسائله أن الدين الاسلامي سيظهر في جميع أنحاء العالم ويعبر عن ذلك بعبارة بليغة تتردد في معظم رسائله اعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر^(١) وبمفهوم ذلك الزمان أن دين الاسلام سيعم العالم، والذي تصل إليه أهم وسائل المواصلات في ذلك العصر وهي الخيل والابل.

أما من يخالف المسلمين فإنه يتحمل مسؤولية عمله، فأما الاسلام أو دفع الجزية بالنسبة لأهل الكتاب والقتال لغيرهم أو الدخول في سلام وهي آخر مايلجأ إليه الاسلام. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢).

وينطبق هذا الكلام على ماحدث من رد فعل عنيف ضد أحد رسل الرسول «عليه السلام» وهو الحارث بن عمير الأزدي من قبل شرحبيل بن عمرو الغساني الذي تعرض له، ومنعه من أداء رسالته ثم قتله.

وبناء على هذا التصرف فلم يكن هناك من سبيل بعد أن نفذت الوسائل الاعلامية السلمية والطرق الاقتاعية إلا اللجوء إلى القوة وهم البادئون بالعدوان قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٥﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٦﴾ لِّيُثْبِتَنَّ فِيهَا آحْقَابًا﴾^(٥).

(١) حافر : غلبة قرنية تنشأ من بشرة الجلد عند أطراف الأصابع في حيوان ثديي ذي حوافر وفي بعض الحيوانات كالغنم والماشية يكون الحافر مشقوقاً وفي بعضها الآخر لا يكون ذلك كالخيل والحمير أما الخف فللبعير. انظر : الموسوعة العربية، ط١، ص ٦٨٥.

(٢) سورة التوبة — آية ٢٩.

(٣) سورة البقرة — آية ٢٠٥.

(٤) سورة الرعد — آية ٣٣.

(٥) سورة النبأ — الآيات ٢١، ٢٢، ٢٣.

وقال عزّ من قائل موضعاً لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه كيفية معاملة المعتدين والذين يصدون عن سبيل الدعوة إلى الله ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٢) فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين. ومن أمثلة ذلك موقعة مؤتة، وذات السلاسل، وغزوة تبوك، وإعداد جيش أسامة.

ولم تكن رسائل الرسول ﷺ مقصورة على نشر الاسلام واعتناقه بل انها كما رأينا قد تجاوزت ذلك إلى مهمة لانقل سمواً، وهي تكوين المجتمع الاسلامي السليم. فقد دامت المراسلات بين الملوك، وبين الرسول ﷺ بعد اعتناق الاسلام لتلقي التوجيهات النبوية الكريمة في التخطيط لبناء المجتمع، وإقامة العدل قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾^(٣) وإشاعة السلام بين ربوع البلاد التي اعتنقت دين الاسلام كما في «فمن استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له مالنا وعليه ماعلينا ومن لم يفعل فعليه دينار من قيمة المعافري»^(٤) وكما في «اعرض عليهم الاسلام»، فإن أسلموا فلهم مالنا وعليهم ماعلينا ومن أبى فعليه الجزية في غير أكل لذبايحهم ولا نكاح لنسائهم».

ولقد لاحظنا من دراستنا لرسائل النبي ﷺ واختيار الرسل الذين كانوا يحملون تلك الرسائل إلى المرسل إليهم من ملوك وأمراء أنهم يختارون على أسس اعلامية وواقعية، بمعنى أن الرسول كسفير للنبي الكريم ﷺ لابد أن تتوفر فيه عدة شروط منها مثلاً حسن المظهر، والقدرة على الاقتناع، فقد قال رسولنا الكريم ﷺ «إذا أردتم بريداً فليكن حسن الاسم حسن الوجه» ولذلك كان يختار رسله من صفوة أصحابه ليستطيع الرسول أن يفصح عن دينه بما عرف من روح رسالته^(٥).

(١) سورة الشورى — آية ٤٠.

(٢) سورة الشورى — آية ٤٠.

(٣) سورة النحل — آية ٩٠.

(٤) أبو يوسف : كتاب الخراج، ص ١٤١.

(٥) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٤.

(٦) الدكتور محمد أحمد البيومي : سيدنا محمد في إبداعه الأدبي، عام ١٣٦٨ هـ رسالة دكتوراة، مكتبة جامعة الأزهر بالقاهرة، ص ١٠٣.

وكان عليه الصلاة والسلام يغير أو يطلب تغيير من كان اسمه قبيحاً لأنه صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل ويكره التطير، ويغير من أسماء الرجال والأماكن ما كان فيه حزازة واشمئزاز نفس^(١) فقد كتب إلى أسبيخت صاحب هجر «وأني سميت قومك بني عبدالله»^(٢).

وقد تبين لنا من دراستنا أن الرسول ﷺ كان يختار مبعوثيه من الذين لهم معرفة طيبة ولديهم معلومات وفيرة عن البلاد التي يوفدون إليها، ولهم معرفة سابقة بعادات القوم وتقاليدهم إذا تحدثوا إليهم أو جرى حوار لكي يكون كل شيء على بصيرة. وأهم من ذلك أن الرسالة الاعلامية الخطية كانت تتكامل دائماً مع رسالة شفوية لها طبيعة خاصة تتناسب مع المرسل إليه، ومع طبيعة القوم الذين يدعون إلى الاسلام مثال ذلك أن المقوقس عظيم القبط هو بطبيعة الحال نتاج ثقافة معينة وحضارة محددة كونت عقليته وحددت شخصيته وتلك الثقافة مستمدة من الثقافتين: الاغريقية والرومانية.

ولما كانت هاتان الثقافتان تتخذان من المنطق أساساً للتفكير، فقد كان لابد أن يلزم المتحدث معهم اعتماد أسلوب الحوار المنطقي والجدل العقلي على النحو الذي فعله دحية بن خليفة الكلبي مع هرقل.

وحاطب بن أبي بلتعة في محاورته الشهيرة مع المقوقس.

قال دحية إلى هرقل: هل تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال نعم، قال فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له. وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم من بعده وعندك من ذلك اثارة من علم تكفي من العيان^(٣).

وقال المقوقس لسفير رسول الله ﷺ «أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً؟ فقلت بلى وهو رسول الله ﷺ» قال فماله حيث كان هكذا. لم يدع على قومه حين أخرجه من بلده؟ فقلت عيسى بن مريم أليس هو نبياً؟

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدى : مكاتيب الرسول، ص ٦١٥.

(٢) الدكتور عون الشريف قاسم : نشأة الدولة الإسلامية، ص ٣٢٩.

(٣) السهيلي : الروض الأنف، ج٧، ص ٥١٦، ٥١٧.

قال أشهد أنه رسول الله قلت حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله.

قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَلَسْ بَعْدُ يَعْرِفُونَ أُنْبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾^(٥) وقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

وعلى العكس من ذلك نجد أن الرسالة الشفهية التي حملها رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام، مع مبعوثي باذان لبازان الفارسي وأتباعه من المجوس، وهم الذين لا يعتقدون إلا بأشياء تخرج عن نواميس القوم وقوانين الطبيعة وهي المعجزات، فكانت الرسالة هي معجزة الاعلام بالغيب وعلى مستويين:

مستوى الاعلام الغيبي بالماضي حين أمارط الرسول عليه الصلاة والسلام اللثام عن حدث فارسيّ جليل ألا وهو اغتيال شيرويه لأبيه كسرى فارس وهناك اعلام بالغيب عن المستقبل الا وهو زوال دولة كسرى، وتمزيق ملكه وانتصار المسلمين عليه وانتشار الاسلام في ربوع امبراطوريتهم، كما في «اللهم مزق ملكه» وكما في قوله لبازان «إن ديني وسلطاني سيبلغ منتهى الخف والحافر» وكما في «وقولا له انك إن أسلمت

(١) الإمام أحمد بن حنبل : مسند الإمام، ج٤، ص ١٩٦.

(٢) سورة البقرة — آية ١٤٦.

(٣) سورة البقرة — آية ٨٩.

(٤) سورة البقرة — آية ١٢٠.

(٥) سورة الجن — آية ٢٠.

(٦) سورة آل عمران — آية ٨٥.

أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك»^(١) وهذا ما حصل فعلاً وتحقق. ومثال ثالث «هو أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما دعي وأصحابه إلى مجلس النجاشي بحضور وفد قريش برئاسة عمرو بن العاص الذي جاء ليؤكد للمسلمين وليردهم إلى قريش، فقد كان الموقف الإعلامي لجعفر بن أبي طالب قائماً على أسلوب إعلامي إسلامي يحرك وجدان النجاشي وعواطفه الدينية لأنه كان نصرانياً فعندما شرح له جعفر في خطبة بليغة موثقة بآيات من القرآن الكريم حقيقة نظرة الإسلام إلى الأنبياء والرسل ومنهم عيسى استطاع جعفر رضي الله عنه أن يكسب المعركة إعلامياً، وأن ينتصر على خصومه رغم ما حملوه للنجاشي من هدايا ثمينة ردها النجاشي إليهم لعدم اقتناعه بحجتهم وقضيتهم الباطلة»^(٢).

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ الرَّاسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥).

حقيقة أن هذه الأساليب الاعلامية متنوعة في شكلها ومتعددة في صورها، ولكنها تصدر جميعاً من مشكاة واحدة هي مشكاة الحق ونور الاسلام ويقين الدين الذي أظهره الله على الدين كله قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورٍ كَاشِفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّنْ مِّصْبَاحٍ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ (٦).

(١) الشيخ علي بن حسين الأحمدى : مكاتيب الرموز، ص ٩٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(۳) سورة البقرة — آية ۱۳۶.

(٤) سورة النساء — آية ١٦٢.

(٥) سورة المائدة — آية ٨٣.

(٦) سورة النور — آية ٣٥.

وقال جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١).

ومع تعدد الرسائل النبوية الشريفة واختلاف مناهجها الاعلامية وفقاً لاختلاف المرسل إليهم، فإنها كانت جميعاً تتسم بالتمسك بالدين الاسلامي، وتتحلى بأدابه، مثال ذلك الاصرار على بدء الرسالة بالبسملة، وهي شعار الاسلام الخالد، كما أن الرسائل جميعاً تتضمن الدعوة إلى التوحيد ممثلة في الشعار الالهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كما أن كل رسالة كانت تتضمن تحميل الحاكم الموجه إليه الرسالة مسؤولية عدم الاستجابة إلى نداء الاسلام، وهي مسؤولية تقع عليه شخصياً كما تقع على قومه. ولكنه هو المسؤول عن قومه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ۗ رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعَنَّا كِبَرًا﴾ (٢) وقد كانت الروح الاعلامية في جميع الرسائل النبوية الاعلامية روحاً سامية بدليل: أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلب في أية رسالة طلبات مادية، وعلى العكس من ذلك كان يؤمن للملوك ملكهم وللرؤساء رئاستهم وللأغنياء أملاكهم، ويعطي ويمنح، ويؤمن في سبيل تأليف القلوب طمعاً في اقبالهم واعتناقهم لدين التوحيد.

ويمكننا تقسيم الاعلام النبوي الشريف إلى نوعين اثنين أساسيين، فالرسائل والكتب الموجهة إلى حكام العرب من أمثال هودّة بن علي حاكم اليمامة، والمنذر بن ساوى، وملكي عُمان، وشيوخ القبائل ووجهاء القوم نعتبرها إعلاماً داخلياً أو إعلاماً محلياً لأنها رسائل وكتب وجهت للأسرة العربية، فهم كانوا يفهمون مضمونها ويقدرّون مراميها ويعرفون قيمتها، ومن ثم لقيت نجاحاً باهراً، وظفرت بتأييد بالغ، كما سبق وأن أوضحنا ذلك عند استقبال كل رسالة.

أما النوع الثاني من الإعلام فيمكن أن نطلق عليه الإعلام الخارجي أو الإعلام الدولي لأنه موجه إلى الملوك والحكام من غير العرب وخارج جزيرة العرب من أمثال هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس وغيرهم. وهؤلاء الحكام أجنب لهم شعوبهم

(١) سورة الصف — آية ٩.

(٢) سورة الأحزاب — الآيتان ٦٧، ٦٨.

وعقائدهم ويعتدون بأنفسهم بحيث ينظرون للعرب بأنهم أقل مستوى منهم وأقل قوة وتنظيماً.

ولنتساءل لماذا نجحت رسائل النبي ﷺ الموجهة للحكام العرب نجاحاً باهراً أظهرت ثماراً عظيمة في مدة قصيرة من الزمن في حين أن الرسائل الموجهة إلى الحكام والملوك من غير العرب لم تظفر بنفس الدرجة من النجاح الداخلي الذي بلغه الإعلام المحلي.. وفي رأي أن السبب في ذلك إنما يعود للتجانس الجنسي واللغوي والعادات والتقاليد والأعراف والاتفاق الحضاري بين المرسل ﷺ وبين المستقبلين العرب. مما يسهل بلوغ الغاية المنشودة. قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(١).

وقال تعالى : ﴿ كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢). وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(٣). وقال جل شأنه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾^(٤).

في حين أن الرسائل الموجهة إلى الحكام والملوك من غير العرب قد لاقت بعض التعثر والإعراض، وذلك بسبب اختلاف اللغة والجنس، والعادات والتقاليد، والأعراف، فضلاً عن التمسك بالمصالح المادية، مما تعذر معه أن تبلغ نفس الغايات التي بلغت الرسائل الموجهة إلى العرب، والتي تمثل الإعلام الداخلي. قال هرقل لقومه : «تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده ونعرفه بصفته التي وُصف لنا فهلّم فلننتبعه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فردوا عليه : (نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً وأكثرهم رجلاً وأقصاه بلداً.. ؟ قال : فهلّم أعطيه الجزية كل سنة أكسر شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه قالوا نحن نعطي العرب الذل والصغار بخرج يأخذونه منا ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنهم بلداً. لا والله لا نفعل هذا أبداً^(٥). وقال كسرى بعد أن مرق كتاب رسول الله يكتب إليّ هذا

(١) سورة يوسف — آية ٢.

(٢) سورة فصلت — آية ٣.

(٣) سورة البقرة — آية ١٤٣.

(٤) سورة التوبة — آية ١٢٨.

(٥) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، ج٤، ص ٢٦٨.

الكتاب وهو عبيد^(١) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَتَاكَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾^(٢) وجعله الله عبرة بأن قتله ابنه شيرويه. قال تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٣).

وقال المقوقس : «وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد أظن أنه يخرج بالشام»^(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٥) وقال جل شأنه : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾^(٦).

وقال عز من قائل : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾^(٧) وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفْزِعْهُ إِلَىٰ مَن لَّا يَهْدِي الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴾^(٨).

وبفضل من الله ثم بحكمة رسوله الكريم ﷺ تمكن الإسلام من قهر عبادة الوثنية بأشكالها المختلفة، وكذلك كشف عن انحراف اليهودية والنصرانية حيث دعا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، والمساواة بين الجنس البشري، حيث يتميز المسلم عن غيره ليس بعله مولده أو لونه أو أي عامل آخر، ولكن بمدى خشيته من الله وأخلاقياته وأعماله الصالحة وتفكيره السديد.

فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٩).

وأسأل الله التوفيق،

أحمد محمد العقيلي

الرياض ص.ب ١٢٣١٥٥

الرمز البريدي ١١٧٤١

(١) الإمام الكلعي، مخطوطة السيرة النبوية الشريفة، عام ١١٤٧هـ، مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، ص ٢٣٢، والوفا بأحوال المصطفى، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) سورة البقرة — آية ٢٠٥.

(٣) سورة الدخان — آية ٤٩.

(٤) الدكتور محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٠٧، وجمهرة رسائل العرب للدكتور أحمد صفوت، ج ١، ص ٤٣.

(٥) سورة العنكبوت — آية ١١.

(٦) سورة القصص — آية ٥٠.

(٧) سورة آل عمران — آية ٨٥.

(٨) سورة القصص — آية ٦٩.

(٩) سورة القصص — آية ٧٨.

(مصادر البحث)

- | | |
|----|--|
| ١ | إتحاف الأنام بخطب رسول الاسلام |
| ٢ | الأحكام السلطانية |
| ٣ | الاسلاميات |
| ٤ | الاسلام والسلام |
| ٥ | اضمحلال الامبراطورية الرومانية |
| ٦ | الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام |
| ٧ | الاعلام الدولي |
| ٧ | الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق |
| ٩ | الاعلام والدعاية |
| ١٠ | الاعلام والدعاية |
| ١١ | الاعلام الاسلامي «المرحلة الشفهية» |
| ١٢ | الاعلام |
| ١٣ | الأموال |
| ١٤ | إنارة الدجى في مغازي خير الورى |
| ١٥ | انتشار الأديان |
| ١٦ | الأنس الجليل وتاريخ القدس والخليل |
| ١٧ | البداية والنهاية |
| ١٨ | التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية |
| ١٩ | التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاسلام |
| ٢٠ | الثقافة الاسلامية |
| ٢١ | الحكم والادارة في الاسلام |
| ٢٢ | الدعوة الاسلامية |
| ٢٣ | الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها |
| | محمد خليل الخطيب |
| | علي حبيب البصري الماوردي |
| | الأستاذ / عباس محمود العقاد |
| | محمد طيب الله — عضو البرلمان الهندي (ترجمة: محمد عبدالفتاح ابراهيم). |
| | ادوارد جي بون |
| | ترجمة: محمد سليم سالم |
| | الامام القرطبي — تحقيق الدكتور / (أحمد حجازي السقا) |
| | د / أحمد بدر |
| | مكتبة الأنجلو المصرية |
| | د / عبداللطيف حمزة |
| | د / محمد عبدالقادر حاتم |
| | د / ابراهيم امام الزركلي |
| | أبو عبيد القاسم بن سلام |
| | أبو علي حسن بن محمد مشاط |
| | رفيق المعروف بعظم زاده |
| | القاضي مجير الدين الحنبلي |
| | الحافظ بن كثير |
| | النبهاني |
| | د / عبدالله يسري أحمد |
| | محمد المبارك، وآخرون |
| | د / أكرم رسلان |
| | السيد توماس .و. أرنولد |
| | د / أحمد غلوش |

الدعوة الاسلامية دعوة عالمية	٢٤
الدرر في اختصار المغازي والسير	٢٥
العقد الفريد	٢٦
الدولة الاسلامية تاريخها وحضارتها	٢٧
الروض الأنف	٢٨
السنة المطهرة	٢٩
السياسة الخارجية للدولة الاسلامية	٣٠
السيرة الحلبية	٣١
السيرة النبوية	٣٢
السيرة النبوية	٣٣
السيرة النبوية	٣٤
الصحيحان	٣٥
الصلاة حياة	٣٦
الطبقات الكبرى	٣٧
العبقرية العسكرية في غزوات الرسول	٣٨
العقيدة والشرعة في الاسلام	٣٩
القرآن الكريم	٤٠
القيادة وفاعليتها في ضوء الاسلام	٤١
الكامل في التاريخ	٤٢
المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات العامة	٤٣
المستشرقون	٤٤
المعارف	٤٥
المعجم الكبير	٤٦
المغازي	٤٧
المسند	٤٨
الموسوعة الثقافية	٤٩
الموسوعة الذهبية	٥٠
الموسوعة العربية الميسرة	٥١
النصرانية	٥٢
الأستاذ / محمد الراوي	
الحافظ يوسف النمري	
أحمد بن محمد عبد ربه	
عبد الحميد العبادي	
الامام المحدث عبدالرحمن السهيلي	
عبدالله بن ناصر السحبياني	
الشيخ / علي بن برهان الدين الحلبي	
الامام أبو الفدا اسماعيل بن كثير	
أحمد زيني دحلان	
السيد أبو الحسن الندوي	
صحيح البخاري وصحيح مسلم	
الأستاذ / محمد بهنسي	
ابن سعد	
الأستاذ / محمد فرج	
اجناس جولد تسيهر	
ترجمة / محمد يوسف موسى	
د / أحمد ماهر البكري	
ابن الأثير	
د / حسين محمد علي	
الأستاذ / بخيت العفيفي	
عبدالله بن مسلم (ابن قتيبه)	
الطبراني	
أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي	
الامام أحمد بن حنبل	
د / حسين سعيد	
د / ابراهيم عبده	
محمد شفيق غربال	
الشيخ محمد أبو زهرة	

محمد بن علي الأكوغ الحولاني	٥٣	الوثائق السياسية اليمنية
أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي	٥٤	الوفا بأحوال المصطفى
أحمد حسين شرف الدين	٥٥	اليمن عبر التاريخ
د / عبدالمجيد عابدين	٥٦	بين الحبشة والعرب
عبدالرحمن بن محمد بن خلدون	٥٧	تاريخ بن خلدون
الحضرمي		
د / حسن ابراهيم حسن	٥٨	تاريخ الاسلام
الامام جعفر محمد بن جرير الطبري	٥٩	تاريخ الأمم والملوك
شاهين مكاربوس	٦٠	تاريخ ايران
حسن بن محمد الحسن الديار بكر	٦١	تاريخ الخميس
سيدو — ترجمة / عادل زعير	٦٢	تاريخ العرب العام
أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب	٦٣	تاريخ اليعقوبي
الكاتب		
زين الدين عمر الوردى	٦٤	تمة المختصر في أخبار البشر
الظاهر محمد الزاوي	٦٥	ترتيب القاموس المحيط
د / صفوان التل	٦٦	تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الاسلامي
عبدالرحمن عبدالكريم النجم	٦٧	جغرافية جزيرة العرب
الامام جعفر محمد بن جرير الطبري	٦٨	جامع البيان
أحمد زكي صفوت	٦٩	جمهرة رسائل العرب
ابن تيمية	٧٠	حاشية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية
محمود شيت خطاب	٧١	حاشية الرسول القائد
محمد يوسف الكاند هلوى	٧٢	حياة الصحابة
دكتور / محمد حسين هيكل	٧٣	حياة محمد
الشيخ محمد أبو زهرة	٧٤	خاتم النبیین
المقرئزي	٧٥	خطط
الشيخ محمد الغزالي	٧٦	خلق المسلم
أحمد عطية الله	٧٧	دائرة المعارف الحديثة
المعلم بطرس بستانى	٧٨	دائرة المعارف
محمد فريد وجدي	٧٩	دائرة المعارف القرن العشرين

عون الشريف قاسم	٨٠	دبلوماسية محمد	٨٠
د / عماد الدين خليل	٨١	دراسة في السيرة	٨١
هاشم محمد سعيد دفتر دار	٨٢	ذكريات طيبة	٨٢
الشهرستاني	٨٣	ذيل الملل والنحل	٨٣
ابن قيم الجوزية	٨٤	زاد المعاد	٨٤
محمد عبد الملك بن هشام	٨٥	سيرة النبي	٨٥
محمد عزت دروزه	٨٦	سيرة النبي	٨٦
د / محمد أحمد البيومي	٨٧	سيدنا محمد في إبداعه الأدبي	٨٧
محمد قاسم	٨٨	شرح المرسوم بالفوائد الجليلة	٨٨
الشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني	٨٩	شرح المواهب الدينية على المواهب اللدنية	٨٩
أحمد بن علي القلقشندي	٩٠	صبح الأعشى في صناعة الإنشا	٩٠
الهمداني	٩١	صفة جزيرة العرب	٩١
الشيخ زيد بن فياض	٩٢	صور من الجهاد	٩٢
أمين دويدار	٩٣	صورة من حياة الرسول	٩٣
د / عبد الحميد بخيت	٩٤	ظهور الإسلام وسيادة مبادئه	٩٤
ابن سيد الناس	٩٥	عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري	٩٥
يحيى بن الحسين القاسم	٩٦	عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير	٩٦
أحمد يحيى البلاذري	٩٧	غاية الأمان في أخبار القطر اليماني	٩٧
أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي	٩٨	فتوح البلدان	٩٨
أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن	٩٩	فتوح الشام	٩٩
عبد الحكم	١٠٠	فتوح مصر وأخبارها	١٠٠
محمد سيد العيوطي	١٠١	فقه السيرة	١٠١
محمد صالح البنداق	١٠٢	في صحبة النبي	١٠٢
سيد قطب	١٠٣	في ظلال القرآن	١٠٣
الرائد / محمد مهدي عامر	١٠٤	قصة كبيرة في تاريخ السيرة	١٠٤
القاضي أبو يوسف بن ابراهيم	١٠٥	كتاب الخراج	١٠٥
القاضي عياض	١٠٦	كتاب الشفا	١٠٦
أحمد عبدالرحمن عيسى	١٠٧	كتاب الوحي	١٠٧
الحافظ جلال الدين السيوطي	١٠٨	كفاية الطالب المعروف بالخصائص الكبرى	١٠٨
علاء الدين الهندي	١٠٩	كنز العمال	١٠٩

١١٠	لسان العرب المحيط	لابن منظور إعداد وتصنيف (يوسف خياط)
١١١	مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة	د / محمد حميد الله
١١٢	محاسبة الزكاة	د / حسن حسين شحاده
١١٣	محمد في بشارة الأنبياء	محمود الشرقاوي
١١٤	محمد في التوراة والإنجيل والقرآن	ابراهيم خليل أحمد
١١٥	محمد رسول الله	محمد رضا
١١٦	مروج الذهب	المسعودي
١١٧	مخطوطة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد	الشيخ / محمد بن علي الشامي
١١٨	مخطوطة السيرة النبوية	الامام الكلاعي
١١٩	مخطوطة السيرة النبوية	الامام الكاظمي
١٢٠	مخطوطة المواهب اللدنية	الامام أحمد القسطلاني
١٢١	مشكل القرآن	ابن قتيبة
١٢٢	معالم تاريخ الإنسانية	هـ.ج. ويلز ترجمة لجنة التأليف والنشر
١٢٣	مغازي الرسول	عروة بن الزبير — تحقيق الدكتور / محمد الأعظمي
١٢٤	مكاتيب الرسول	الشيخ علي بن حسين علي الأحمدي
١٢٥	موكب النور في سيرة الرسول	محمد زكي بيضون
١٢٦	نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله	د / عون الشريف
١٢٧	نصب الراية	الزليعي
١٢٨	نظام الحكومة النبوية / التراتيب الإدارية	الشيخ عبدالحى الكتاني
١٢٩	نهاية الأرب	النويري
١٣٠	وسائل الوصول إلى شمائل الرسول	يوسف اسماعيل النبهاني

الفهرس

الصفحة

المقدمة:

٧

الفصل الأول: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة داخل شبه الجزيرة العربية. ١٣

المبحث الأول: رسالته ﷺ إلى المنذر بن ساوى ١٥

المبحث الثاني: رسالته ﷺ إلى هود بن علي ملك اليمامة ٣٢

المبحث الثالث: رسالته ﷺ إلى ملكي عمان ٣٨

المبحث الرابع: رسالته ﷺ إلى ملوك اليمن ٤٩

الفصل الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة خارج شبه جزيرة العرب

وآثارها الإعلامية ٦١

المبحث الأول: رسالته ﷺ إلى هرقل ٦٣

المبحث الثاني: رسالته ﷺ إلى كسرى ٧٨

المبحث الثالث: رسالته ﷺ إلى ملك الحبشة ٩١

المبحث الرابع: رسالته ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ١٠٥

المبحث الخامس: رسالته ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم بصرى ١٣٠

المبحث السادس: رسالته ﷺ إلى أحد أمراء الغساسنة ١٣٦

المبحث السابع: رسالته ﷺ إلى فروة بن عمرو الجذامي ١٤٢

المبحث الثامن: رسالته ﷺ إلى امبراطور الصين ١٤٧

المبحث التاسع: رسالته ﷺ إلى الأسقف ضغاظر ١٥٢

المبحث العاشر: رسالته ﷺ إلى ملك الهند سرباتك ١٥٨

صدى رسائله ﷺ في الداخل والخارج ١٦١

الفصل الثالث: الآثار الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى عماله وولاته ١٦٧

المبحث الأول: رسالته ﷺ إلى مصعب بن عمير ١٧٣

المبحث الثاني: رسالته ﷺ إلى عبدالله بن جحش ١٧٥

المبحث الثالث: رسالته ﷺ إلى خالد بن الوليد ١٧٨

المبحث الرابع: رسالته ﷺ إلى العلاء بن الحضرمي ١٨٢

١٨٨	المبحث الخامس: رسالته «ﷺ» إلى عمرو بن حزم
١٩١	المبحث السادس: رسالته «ﷺ» إلى معاذ بن جبل
١٩٩	المبحث السابع: رسالته «ﷺ» إلى قادة المجاهدين
	الفصل الرابع: كتب المعاهدات والأحلاف وصداها الإعلامي في شبه الجزيرة العربية
٢٠٧	
٢٠٩	المبحث الأول: كتب المعاهدات والأحلاف
٢١٩	المبحث الثاني: صلح الحديبية
	المبحث الثالث: المعاهدات مع زعماء مدن الحدود الواقعة شمال حدود شبه الجزيرة العربية
٢٢٦	
٢٣٣	المبحث الرابع: كتبه «ﷺ» في بعض الموضوعات المختلفة
٢٣٩	الإقطاع
٢٤٥	المؤلفة قلوبهم
٢٥٣	الفصل الخامس: القيمة الإعلامية لرسائل النبي «ﷺ» إلى الملوك والقادة
٢٧٨	مصادر البحث

رقم الإيداع : ١٧/٢٠٦٦
ردمك : ٩٩٦٠-٣١-٧٣٧-٤

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢	١٤١٧هـ - ١٩٩٧م	١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
١٩	١٦	المنذر	المنذر
٥٢	٢٣	البسمه	البسمله
٥٧	٣	لحيتهما	لحيتهما
٥٧	١	والاقرار	والإقرار
٦٩	٣	الايان	الإيمان
٨٠	١٤	يعبدونهما	يعبدونهما
٨٩	١٩	فان	فإن
١٣٢	٢٣	هذا	هذا
١٥٥	٢٣	العنوان يجب أن يكون في صفحة ١٥٢ وأن يكتب عنوان الصفحة ١٥٢ في صفحة ١٥٥.	
١٨٨	٦	بن حزم	بن حزم
١٨٩	١	نص	نص
١٨٩	٢٣	جدع	جدع
١٨٩	٢٥	نفسه	نفسه
١٩٤	٢٢	وأعز	وأوعز
٢٠٩	١٢	وبالنسبة	وبالنسبة
٢٠٩	١٣	يملاّن	يملاّان
٢٢٢	٥	ان	إن
٢٢٧	١٨	-	٧
٢٣٥	٢٠	وواقم	واقم

**Information Indications
& Effect of
Prophet Messages to Kings & Leaders**

Ahmayed Mohammed Al-Eqaili